الدين الخالص

خطيئة المذاهب

تأليف
الدكتور محمد طلبة زايد

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م

طبع بدار النصر للطباعة والنشر
٢٢٢ شارع الجيش - القاهرة
ت : ٨٢٥١٦١ - ٨٢٧٤١٣

إقرأ للمؤلف :

- كمال الشريعة الإسلامية .
- ديوان الطلاق
- ديوان الجنايات

(الخمر – القذف – السرقة – الزنا – الردة – الحرابة – المارقون – الناكثون – البغاة)

- ديوان القصاص .

(القتل العمد والخطأ – إصابات العمد والخطأ – ديات النفس والأعضاء – دية الجنين – القسامة)

الموزعون بالقاهرة

١ – مكتبة وهبه ١٤ شارع الجمهورية (عابدين) ت : ٩٣٧٤٧٠

٢ – دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية (عابدين) ت : ٩١٤٢٢٣

٣ – مؤسسة الأهرام شارع الجلاء ت : ٧٥٥٥٠٠

٤ – مؤسسة أخبار اليوم شارع الصحافة ت : ٧٤٨٨٤٤

٥ – دار حراء ٢٣ شارع شريف ت : ٧٤٨٩٦٣

٦ – مكتبة نهضة مصر ٩ شارع عدلى ت : ٩١٠٩٩٤

٧ – دار النشر للجامعات المصرية ٤١ شارع شريف ت : ٧٧٤٦٠٦

(تنبيـه هـام)

كل نسخة من هذا الكتاب غير ممهورة بختم المؤلف وتوقيعه تعتبر مطبوعة بغير إذن المؤلف وبدون علمه و تتحمل كافة الآثار القانونية المترتبة على ذلك .

عنوان المؤلف
دكتور محمد طلبة زايد
٢٣ شارع الدكتور أحمد أمين - مصر الجديدة - القاهرة
تليفون : ٤٣٦١٢٩

بسم ٱلله الرحمن الرحيم

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد ٱلله مُخلصا له الدين * ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى ٱلله زلفى إن ٱلله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن ٱلله لايهدى من هو كاذب كفار﴾ الزمر ٢ - ٣

﴿قل إنى أمرت أن أعبد ٱلله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسْلمين﴾ الزمر ١١ - ١٢

﴿قل ٱلله ٱعبد مخلصاً له دينى * فٱعبدوا ماشئتم من دونه قل إن ٱلخاسرين ٱلذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المُبين﴾ الزمر ١٤ - ١٥

﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا ٱلله مُخْلصين لَهُ الدينَ حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلكَ دين ٱلقيامة﴾ البينة ٥

« صدق ٱلله العظيم »

مقدمة

الحمد لله ملء السموات والأرض وملء ماشاء من شييء بعد أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا له عبد أنزل علينا الكتاب لاتناقض فيه ولاإختلاف ، وهدانا إلى الصراط المستقيم لايضل سالكه ولايخاف .

وأشهد ألا آله إلا آلله وحده لاشريك له قيوم السماوات والأرض لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولايشرك فى حكمه أحداً أمر المؤمنين أن يعبدوه مخلصين له الدين ألا لله الدين الخالص لايقبل عبادة الذين يتخذون من دونه الأنداد والأولياء ولاعبادة الذين يعبدون معه الأحبار والرؤساء ولاعبادة الذين يشاركونه فى التشريع للعباد ولا الذين يفترون عليه الكذب بتحريم ماأحل أو تحليل ماحرّم ، وحذّر أشد التحذير من الاختلاف فى الكتاب وتوعد فاعله بأشد العذاب ، وحرّم أشد التحريم تفريق الدين في الفرق والشيع والمذاهب والأحزاب ، وأمر المؤمنين جميعاً أن يكونوا أمة واحدة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قد بلّغ التنزيل وأكمل التفصيل وحذّر المختلفين فى التنزيل والتفصيل تعسفاً بالتأويل أو تحكّما بالرأى والهوى بغير سلطان من آلله ولادليل حذرهم من الهلاك باختلافهم فى الكتاب كما هلك الذين من قبلهم باختلافهم فى الكتاب وأخبرنا ، أنه سيكون بعده اختلاف وتغيير وتبديل وأن المعتصمين بالكتاب والسنة بعده قليل وأنه لايخلص من النار منهم إلا مثل هَمَل النعم .

وأصلى عليه وأسلم تسليما والسلام على من إتبع الهدى

أما بعد :

فإن السواد الأعظم من البشر فى كل زمان ومكان ومن بدء الخليقة إلى قيام الساعة هم ضالون مضلون وليس إلا النزر اليسير منهم فقط هم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون .

هذه حقيقة أزلية لامرية فيها وإن كانت تبدو غريبة على الذين لايعلمون، هى سنّة ربَّانية من سنن ٱلله فى العباد سنّة سجّلها القرآن العظيم وفصّلها الرسول الكريم ، وبسطناها فى غير موضع من هذا الكتاب خصُوصا باب (شبهات المتمذهبين) فلن تجد على أية بقعة على سطح الأرض إلا اكثرية ضالة مضلّة وأقلية هادية مهدية هذا قضاء ٱلله المحتوم ، وأمره المقسوم وكان أمر ٱلله قَدَراً مقدوراً فَلِلَّه الحكمة البالغة وهو أحكم الحاكمين .

ولكن كثيراً من الناس يجهلون ذلك ...بل هم يعتقدون عكس ذلك يحسبّون أن الحق والرشد هو مع الأكثرية وأن الزيغ والانحراف هو مع الأقلية قد أشربوا فى قلوبهم هذا الضلال فأسسوا نظمهم وأحكامهم على هذا الفهم المعكوس فصار المنكر عندهم معروفاً والمعروف منكراً والحلال حراماً والحرام حلالاً لا لشيىء إلا لأن هذا هو رأى الأكثرية قد زُيّن لهم سوء عملهم فرأوه حسناً .

وٱلله عز وجل يقول عكس مايقولون ... يقول أن أكثر الناس ضالون مضلون وأن الأقلون هم المهتدون يقول عز وجل وهو أصدق القائلين ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴾[1] ويقول جل شأنه ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾[2] فى كثير جداً من الآيات والأحاديث

(١) الأنعام (١١٦)   (٢) يوسف (١٠٣)

التى تقطع بثبوت ذلك راجع باب (**شبهات المتمذهبين**) فأى القولين تُصدقون أيها المؤمنون ؟ قول ربكم أم قول الخراصين ؟ ! لاجرم أن الأكثرين على رؤوسهم منكوسون وفى الفتنة مُرتكسون وهم فى طغيانهم يعمهون .

هذا هو حال البشر فى كل زمان ومكان هذا هو خُلُق جميع الأمم وليس المسلمون بدعا من الأمم بل هم كغيرهم من الناس أكثرهم ضالون مضلون ، وأقلهم صالحون مهتدون قد فصَّلنا ذلك فى أبواب هذا الكتاب تفصيلاً .

ولئن فَضّل ٱللهُ المؤمنين بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فإن هذا التفضيل ليس وصفاً لأغلبيتهم بل هو وصف للأقلية الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فإذا مكّن ٱلله للأقلية الصالحة فى الأرض فالأكثرية لهم تبع يأتمرون بأمرهم ويذعنون لهديهم واذا ولّى ٱلله الظالمين فالحاكمون والمحكومون فى ضلال مبين قال تعالى : ﴿ **وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** ﴾[1] ثم تبقى الأقلية الراشدة بمعزل عن ولاية الأمر ولكنهم ظاهرون على الحق يدعون إليه ولايخافون فى ٱلله لومة لائم كما أخبر عنهم رسول ٱلله ﷺ [لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتيهم أمر ٱلله وهم على ذلك][2]

فلا تناقض بين وصف المؤمنين بأنهم خير أمة وبين وصف الأكثرية بأنهم يضلون عن سبيل ٱلله الذين عناهم القرآن الكريم بأنهم خير أمة هم الأقلية هم الذين قال ٱلله فيهم ﴿ **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين** ﴾[3] وقال : ﴿ **ثلة من الأولين وثلة من الآخرين** ﴾ **هم الطائفة الظاهرة على الحق** .

(1) الأنعام (١٢٩) (٢) باب عباد ٱلله المخلصين فقرة طائفة ظاهرة

(3) الواقعة (١٣-١٤-٣٩-٤٠)

لاتناقض ولا اختلاف البتة فيما جاء من عند ٱلله وعند رسوله إنما التناقض والاختلاف فيما جاء من عند الناس قال تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير ٱلله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ﴾[1]

والسبب الأوحد فى ضلال الناس أجمعين الأولين منهم والآخرين هو اختلافهم فى الكتاب، اختلافهم فيما أنزل ٱلله لهم من كتاب وفيما فصّل لهم أنْبياؤهم من شرائع وأحكام ومن تنكّب صراط ٱلله فماله من هدى ومن لم يجعل ٱلله له نوراً فما له من نور **﴿ ذلك بأن ٱلله نزّل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ﴾**[2]

الهدى الحق هو ماأنزل ٱلله لاما ابتدعه العلماء والفقهاء ولاما شرعه الوضاعون المفترون **﴿ قل إن هدى ٱلله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾**[3] ومن يطع ٱلله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ومن يعص ٱلله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ،لاجرم أن الإختلاف فى الكتاب هو جماع الخسران والتباب .

ومن تصّور أن فى شرائع الوضاعين من البشر مثقال ذرة من هدى أو عدل أو رشد فقد أمعن فى الضلال وأغرق فى الخيال وتاه فى الظلام وغرق فى الأوهام وطلب المستحيل **﴿ كباسط كفَّيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه ومادعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾**[4] فالذين فرحوا بشرائع الناس وقوانينهم و كرهوا شرائع ٱلله قد تَقَّطع بيننا وبينهم لاحجة بيننا وبينهم ٱلله يجمع بيننا وإليه المصير .

(١) النساء (٨٢) (٢) البقرة (١٧٦) (٣) الأنعام (٧١)

(٤) الرعد (١٤)

وجميع الأمم قد خالفوا شرائع ربهم وتعاليم رسلهم وتفرقوا فى دينهم شيعا وفرقا ومذاهب وأحزاباً والمسلمون قد فعلوا كفعلهم وساروا على دربهم حذْوَ النعل بالنعل اختلفوا فى الكتاب كما اختلف الأولون فى الكتاب واصطنعوا فى دينهم المذاهب والأحزاب كما اصطنع الأقدمون فى دينهم المذاهب والأحزاب وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كما تقطّع الأولون فهم على آثارهم يُهرعون .

لقد بدأ اختلاف المسلمين فى الكتاب بعد قبض رسول الله ﷺ وظل الاختلاف المتزايد مقصوراً على الأفراد حتى اصطنعوا المذاهب بعد قرنين من وفاة النبى ﷺ ومازالت الاختلافات تتزايد والمذاهب تتكاثر حتى تقطّع المسلمون أمرهم بينهم زبرا وضَاعت الخلافة التى كانت تجمع شملهم وتوحد كلمتهم وترهب عدوهم وتمزقت الأمة الإسلامية الواحدة إلى دويلات هزيلة تداعى عليها ألأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها واقتسموها بينهم نهباً ومناطق نفوذ .

فلما تحطم السياج الذى كان يضم المسلمين أمة واحدة وتم تفتتهم تم انفصالهم عن شرائع الإسلام وأحكامه واستبدلوا بها شرائع الكافرين وقوانينهم ولم يبق من الإسلام إلا الأسماء الكاذبة والرسوم البالية والشعارات المتهافتة وصار الإسلام أثراً بعد عين وتحققت نبوءة الرسول الأمين وتم إغتراب الدين وحقت كلمة العذاب على المسلمين .

المسلمون اليوم فى شر أزمانهم وأسود عصورهم فى

ظلمات لم يسبق لها مثيل ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل ٱلله له نوراً فماله من نور** ﴾[1] وصدق رسول ٱلله ﷺ [**لا يأتى عليكم زمان إلا الذى بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم**][2].

قد تم القضاء على الدين وسرى الضلال فى كل شىء وجرى الباطل والإفك والفسوق والعصيان من الناس مجرى الدم،ضلال فى العبادات والمعاملات فى القضاء والخصومات فى الأحكام والشرائع فى كل شىء سرى الضلال فى كل الطبقات فى الجهال والمتعلمين فى العوام والمتفقهين فى الشباب والمسنين فى الرؤساء والمرؤوسين ليس لها من دون ٱلله كاشفه .

وكلما طغى الضلال وتفاقم كلما توارى الحق وتضاءل النور وغاضَ العدل والقسط واختفت العفة ومكارم الأخلاق إلا من قلوب الفئة النادرة إلا من صدور الطائفة الظاهرة التى قضت حكمة ٱلله تعالى أن يبقيها فى الناس رمزاً لنعمته عليهم وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وعلى الرغم من شمول الضلالات والجهالات فى الأمة بأسرها فإن أحداً منهم لايشعر بشىء من ذلك بل هم فرحون بدنياهم يتفاخرون ببلواهم ويتقارضون المديح بطغواهم يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً يعبدون الأنداد والأولياء والأحبار والرؤساء ويحسبون أنهم يعبدون ٱلله يرتكبون صنوف المعاصى ويلصقونها بالدين ويأتون الفواحش

(١) النور (٤٠)

(٢) فح (٧٠٦٨)

ويقولون أمرنا بها رب العالمين ﴿ **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون** ﴾[1]

هذا هو حال الناس أجمعين مسلمين وغير مسلمين زُيِنَ لهم سوء عملهم وفرحوا بما عندهم من العلم ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون .

إن أربعة عشر قرنا قد مضت على بدء الاختلاف فى الكتاب والدين فى تدهور مستمر حتى بلغ مانحن عليه الآن ، هذا حق لامرية فيه لايشك فيه أى مؤمن منير القلب صادق الإيمان روى البخارى فى صحيحه عن أنس ابن مالك قال : [**ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبى ﷺ قيل الصلاة قال أليس صنعتم ماصنعتم فيها ؟**] وعن أنس [**دخل عليه الزهرى بدمشق وهو يبكى فقال مايبكيك قال لاأعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضُيعت**][2] فهذا الصحابى الجليل خادم رسول الله ﷺ ينكر كل ما حوله حتى الصلاة قد تغيّر كل شىء كان يعرفه فى عهد النبى ﷺ فالاختلاف والتغيير كما ترى قد طرأ مبكراً جداً بعد قَبض النبى ﷺ مباشرة .

ولايغير من هذه الحقيقة ولايُهون من شناعتها تلك الفتوحات العظيمة والإنشاءات الجسيمة والخيرات العميمة والأموال الدافقة والقصور الشاهقة فليست هذه من الدين فى شئ إنما هى زهرة الدنيا قد فُتحت على الناس فتنافسُوها

(١) الأعراف (٢٨)

(٢) فح (٥٢٩-٥٣٠)

فَأهلكتهم كما أهلكت الأمم من قبلهم الذين كانوا أكثر أموالاً وأعلى قصوراً ﴿ **كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخُضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون** ﴾[1] وقال ﷺ [**فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**] [2]

ولقد نظرنا فيما يُنقذ الناس من هذا الضلال ويخرجهم من هذا الوبال فوجدنا الاختلاف فى الكتاب هو الأصل فى كل بلاء ولانجاة من هذا الاختلاف ولا أمان من السقوط فيه تارة أخرى إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة وحدهما دون سواهما ومن المستحيل الاعتصام بالكتاب والسنة مع وجود الفرق والشيع والمذاهب والأحزاب لأنها هى المصدر الدائم للاختلافات وهى أول خارج على الاعتصام بالحكم فى الدين بالآراء والأهواء دون النصوص فلابد من إزالة المذاهب والأحزاب لإزالة الاختلافات فى الكتاب .

فالعلاج الحاسم والشفاء الدائم للمسلمين من الضلال والخبال لايكون إلا بإقتلاع جميع المذاهب والأحزاب والاعتصام بالسنة والكتاب وإرساء القواعد الثابتة لتدعيم الإعتصام واقامة الحواجز المانعة من تسرب الخيالات والأوهام .

(١) التوبة (٦٩)　　　　(٢) فح (٣١٥٨)

من أجل ذلك أنشأنا هذا الكتاب لبيان خطيئة المذاهب وإظهار المسلمين على شدة تحريمها والنّهى عنها فى كتاب آلله وسنة رسوله وإطلاع المسلمين على شدة ويلاتها وهول عواقبها وتعريفهم بنشأتها ومداخلها ومراحلها ومزالقها وشبهاتها وبيان أنها هى كبرى الخطيئات على الإطلاق لاشتمالها على أكبر الكبائر وطائفة كبيرة من الكبائر كاتخاذ الأنداد والأولياء وعبادة الأحبار والرؤساء وانعدام الإخلاص فى الدين وتفريق شمل المسلمين وحقائق أخرى مذهلة مبسوطة فى هذا الكتاب كان المسلمون عنها غافلين .

عسى آلله أن يبعث قلوبا من موتتها ويوقظ الهمم من رقدتها وينبّه النفوس من غفلتها ويرد المسلمين إلى الحكم بالكتاب والسنة ويقيمهم على الصراط المستقيم كرةً أخرى إنه تعالى على كل شيء قدير، أنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد آلله الفقير إلى عفو ربه
محمد ابن طلبة ابن خليفة آل زايد

باب (الدين الخالص)

ليس كل الدين خالصاً لله بل أكثر المؤمنين بالله هم فى الحقيقة مشركون وهم لايشعرون قال تعالى : ﴿ **ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾[1] والسبب فى ذلك هو أنهم يباشرون أعمالاً هى عند آلله شرك وهم لايفقهون وفيما يلى بعض تلك الأعمال المبطلة للإخلاص إذ الشرك نقيض الإخلاص .

ألوان من الشرك :

١ – من قال لا اله إلا آلله محمد رسول آلله ثم توسل بالموتى والأضرحة لقضاء حاجته فهو مشرك قطعاً رغم نطقه بالشهادتين قال تعالى : ﴿ **إن الذين تدعون من دون آلله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **أيُشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون** ﴾[3]

٢ – من صلّى وصام وحج البيت ثم اتبع فى ذلك وفى غير ذلك شرائع من عند الله وشرائع من عند غير الله ، شرائع ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ، شرائع من عند البشر الوضاعين وهو يعلمها ، فهو مشرك قطعاً رغم صلاته وصيامه وحجه لأنه جعل لله شركاء يشرعون له كما يشرع الله له ، قال تعالى : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم ، وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾[4] .

٣ – من أطاع الله فى بعض ما أنزل من الأحكام وأطاع الفقهاء والعلماء والرؤساء فيما ابتدعوا من أحكام ليست فى كتاب الله أو هى مخالفة لما أنزل الله ، فقد عبد الله فيما أطاعه من أحكامه التى أنزلها ، وعبد الآخرين فيما أطاعهم من أحكامهم التى افتروها ، فأشرك عبادة ربه بعبادة خلقه فهو مشرك قطعاً رغم عبادته وطاعته ، والله تعالى لا يقبل

(١) يوسف (١٠٦)   (٢) الأعراف (١٩٤)   (٣) الأعراف (١٩١-١٩٢)
(٤) الشورى (٢١)

أبدًا مَن يشرك بعبادته أحدًا ، قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾[1]

٤ –من أطاع حزبه أو مذهبه أو فرقته أو شيعته أو شيخه فى تحريم ماأحل آلله أو فى تحليل ماحرّم آلله فقد عبد هؤلاء فاتخذهم أرباباً من دون آلله فهو مشرك قطعاً رغم ظاهر عبادته لرب العالمين لأن طاعة الناس فيما يُحلون ويُحرمون على خلاف أمر آلله هى عبادة لهم كما بيّن ذلك رسول آلله ﷺ وكما سنفصله فى باب (**عبادة الأحبار**) إن شاء آلله وعبادة غير آلله هى شرك بآلله لا خفاء فيه كذلك فعل الأقدمون عبدوا آلله وعبدوا معه الأحبار، عبدوا آلله وعبدوا معه المسيح ابن مريم فلعنهم آلله بقوله ﴿ **قاتلهم آلله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون آلله والمسيح ابن مريم وماأمروا إلا ليعبدوا الها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾[2]

٥ –من فارق الكتاب والسنة واتخذ لنفسه مذهباً يعكف عليه ولا يأتمر إلا بأوامره ولايدين إلا بدينه ولايتبع غير تعاليمه رغم مخالفته لما فى الكتاب والسنة فقد انخلع عن الكتاب والسنة واتبع مذهبه الذى ارتضاه وانسلخ من آيات آلله واتبع هواه وظلم نفسه بالتحول من الكمال إلى الضلال فضرب آلله له أسوأ الأمثال قال تعالى﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو**

(١) الكهف (١١٠) (٢) التوبة (٣٠-٣١)

تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾[1]

هؤلاء الذين تركوا الكتاب والسنة وانحازوا إلى المذاهب هؤلاء شركهم أبشع من شرك غيرهم لأنهم ليسوا فقط عبدوا مع الله غيره بل هم قد فضلوا معبوداتهم على الله جل وعلا ذلك بأن تلك المذاهب تحّرم ماأحل الله وتحل ماحرم الله فيطيعون المذاهب ويخالفون أمر الله فهؤلاء مشركون اقبح الشرك بتفضيلهم عبادة المذاهب على عبادة الله وهؤلاء المتمذهبون الذين فرقوا دينهم شيعا سماهم الله مشركين قال تعالى: **﴿ منيبين إليه واتقوه واقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾[2]**

يفعلون الشرك وينكرونه

ليس انكار الشرك دليلاً على عدم الشرك فقد كان مشركو العرب ينفون الشرك رغم تمرغهم فى حمأته ظهراً لبطن كانوا يعبدون الأوثان وكانوا يستقسمون بالأزلام ويذبحون لها القرابين على النُّصُب وكانوا يصلون لها وعندها صلاتهم المنكرة مُكاء وتصديةً ثم يزعمون أنهم غير مشركين ويقولون فى تلبيتهم (**لبيك اللهم لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه ومامللك**) كانوا يفعلون الشرك وينكرون الشرك ويمارسون الشرك بالأفعال وينكرونه بالأقوال .

وكذلك كل المشركين فى كل زمان ومكان وكذلك كل العابدين لغير الله فى كل زمان ومكان الجميع يستنكفون من

(١) الأعـراف (١٧٥-١٧٨) (٢) الـروم (٣١-٣٢)

الشرك الذى يزاولونه ومن عبادة غير آلله التى يفترونها ولذلك فهم يسمونها بغير أسمائها تعميةً على أنفسهم وتمويها على غيرهم يُسمّون الشرك بالله تقرباً إلى آلله ويسمون عبادة غير آلله توسّلا وتبّركا ، وهذا هو دأب العصاة والطغاة فى كل حين هذه هى مغالطة المجرمين كما يسمى الزناةُ فواحشهم ترفيها وكما يسمى المقامرون ميسرهم يانصيباً وكما يسمى المغتصبون أموال الناس جرائمهم تأميماً وكما يسمون الرقص العارى حفلات إبتهاج وكما يسمون حصيلة الرجس والخنا بالتبرعات الخيرية وكما يُسمون الخمر التقليدى شراب الكينا الحديدى وضروباً أخرى كثيرة من أمثال ذلك الإفك والزور .

وقديما سمى فرعون إفساده فى الأرض رشاداً وسمى الهدى الذى أنزل آلله فساداً ولقد حكى القرآن الكريم تلك التسمية الكاذبة الخاطئة تلك التعمية الفاجرة والمفتريات الخاسرة بقوله تعالى : ﴿ **وماأريكم إلا ماأرى وماأهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾[1] وبقوله تعالى : ﴿ **وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يُظهر فى الأرض الفساد** ﴾[2] سمى فرعون إجرامه رشاداً وسمى النور الذى أنزل آلله على موسى فساداً فما بَرَّأت تلك الأكاذيب مجرماً ، ولا زكّت عند آلله ظالماً.

ومن البديهى والطبيعى أن هذه الأسماء المنمقة والنعوت الكاذبة الملفقة وتلك الادعاءات الباطلة والاتهامات الفاشلة لاتردّ الباطل حقاً ولا تقلب الكذب صدقاً ولئن اغتر بها الطغاة

(١) غافر (٢٩)

(٢) غافر (٢٦)

لمتجبرون وصفق لها الأذناب الناعقون فإنها لن تغنى عنهم من الله شيئاً ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾[1]

لقد حكى الله تعالى انكار المشركين عندما يُسألون عن شركهم يوم القيامة فإنهم يحلفون بالله ماكانوا مشركين قال تعالى : ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون** ﴾[2]

ومن العجائب الرهيبة التى كشفها الله تعالى فى فطرة هؤلاء المشركين بصائر للناس وقطعا للأمل فى هداية من خُلق شقيا وكان للشيطان ولياً ، من تلك العجائب المذهلة أن خطيئة الشرك التى يخفيها المشركون بالحلف الكذب لا تنفك عنهم ابداً مهما انكروا ولاتفارقهم ابداً مهما رأوا من نكال ومهما شيبتهم الأهوال ، لايزايلهم الشرك ابداً حتى ولو ردوا إلى الدنيا بعد معاينة جهنم فقد أخبرنا الله تعالى أنهم لو ردوا إلى الدنيا بعد عرضهم على النار لكى يعبدوا الله غير مشركين لعادوا إلى الشرك مرة أخرى قال تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾[3]

وكذا المبطلون الظالمون إذا ووجهوا بما فعلوا يُسارعون فى

(١) الشعراء (٢٢٧)

(٢) الأنعام (٢٢-٢٤)

(٣) الأنعام (٢٧-٢٨)

الإنكار والحلف يحلفون للناس فى الدنيا ثم يحلفون لله يوم القيامة قال تعالى : ﴿ **ويوم يبعثهم ٱللهُ جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾[1] .

وليس الأيمان مجرد دعوى باللسان قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون ٱللهَ والذين آمنوا وما يَخْدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾[2] وليس الأيمان الذى يقبله ٱلله تعالى هو الخليط الفاسد من الشرك والأيمان الذى سجله القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **ومايؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾[3] إنما الأيمان الذى يقبله ٱلله تعالى هو الأيمان الذى كان من الشرك مُطهراً ، هو إسلام الوجه لله مُحرراً ، هو الدين الخالص قال تعالى : ﴿ **قل إنى أمرت أن عبد ٱلله مخلصاً له الدين** ﴾[4]

يأبى ٱلله عز وجل قبول أى إيمان فيه شائبة من شرك مهما عللها المشركون بأية علّة أو برروها بأى قصد أو نيّة قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد ٱلله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص والذين إتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى ٱلله زلفى إن ٱلله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن ٱلله لايهدى من هو كاذب كفار** ﴾[5]

(١) المجادلة (١٨-١٩) (٢) البقرة (٨-٢٠)

(٣) يوسف (١٠٦) (٤) الزمر (١١)

(٥) الزمر (٢-٣)

حقيقة الدين الخالص .

والدين الخالص هو ماأنزله ٱللّٰه فى كتابه ، ومافصله نبّيه بقوله وفعله ولاشىء غير ذلك البته ، كل قول أو فعل فى الدين ليس فى كتاب ٱللّٰه ولافى سنّة رسوله كائنا من كان قائله إنما هو شرك واعتداء ، أو إفك وافتراء ، إنما هو ضلالات عمياء ، أو هو عبادة العلماءوالفُقهاء .

ليست هذه النّعُوت من عندنا إنما هى من كلام الله وكلام رسوله فاستمع إن شئت الى البيان الحاسم من كلام رب العالمين ومن قول رسوله الأمين .

١ –من شرع للناس أية شرعة فى الدين ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله وإنما هى من عند نفسه فقد أقام نفسه شريكاً لله فى التشريع للعباد ، ٱللّٰه تعالى يَشرع للعباد ، وهو أيضا يشرع للعباد قال ٱللّٰه تعالى فى هؤلاء : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به ٱللّٰه ولولا كلمة الفْصل لقُضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾[١] سمّى ٱللّٰه الوضاعين الذين يضعُون الشرائع للناس سماهم شركاء ، وأتباعه هم مشركون ، وماهذا بالدّين الخالص الذى يرضاه ٱللّٰه بل هو دين الشرك والأثم العظيم .

٢ –من حرّم برأى نفسه ماأحّل ٱللّٰه أو أحل ماحرّم الله فأنما هو مفتر على ٱللّٰه الكذب قال تعالى فى هؤلاء ﴿ **ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا**

(١) الشورى (٢١)

حرام لتفتروا على آلله الكذب إن الذين يفترون على آلله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾[1]
سمى آلله التحليل والتحريم على خلاف أمر آلله سمى ذلك افتراء الكذب على آلله هؤلاء لايفلحون وماهذا بالدين الخالص .

٣ – من أطاع رئيسه أو شيخه أو مذهبه فى أمر مخالف لأمر آلله ورسوله أو فى شرعة من شرائع الدين لم يأذن بها آلله سمى آلله مثل هذا أنه عابد لرئيسه أو شيخه أو مذهبه من دون الله كما عبد الأقدمون أحبارهم ورهبانهم من دون آلله قال تعالى فى هؤلاء ﴿ **قاتلهم آلله أنّى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾[2]
وعبادة غير آلله شرك وماهذا بالدين الخالص .

٤ – من عمل فى الدين شيئاً لم يكن يعمله رسول آلله ﷺ ولم يكن على عهد رسول الله ﷺ فعمله بدعة مرفوضة وضلالة مردودة قال ﷺ [**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**][3] وقال ﷺ [**من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ**][4] وليست البدع ولا الضلالات من الدين الخالص .

٥ – من اشترط شرطاً فى الدين ليس فى كتاب آلله فشرطه باطل قال ﷺ [**من اشترط شرطا ليس فى كتاب آلله فليس له وإن اشترط مائة شرط**][5] والشرط الباطل فى

(١) النحل (١١٦) (٢) التوبة (٢٩-٣٠)
(٣) مسلم (٥-١٣٣) (٤) (٢٣٩٧) فح ، مسلم (٥-١٣٢)
(٥) (٢٧٢٩-٢٧٣٥)فح

الدين هو تقوّل غير الحق على ٱللهِ ، وماهذا بالدين الخالص .

فمن إجترح شيئاً من تلك الموبقات الخمس فهو كما وصفه ٱللهُ ورسوله إما ظالم مشرك أو مفتر على ٱللهِ الكذب أو ضال مبتدع أو عابد للناس من دون الله قد ضيّع دينه افراطاً أو تفريطاً وما ذلك بالدين الخالص .

الباب الثانى

باب (عباد ٱللهِ المخلصون)

أ ـ تعريف المخلصون

عباد ٱللهِ المخلصون هم الذين يعبدون ٱللهَ مخلصين له الدين هم الذين يتبعون الدين الخالص الذى شرحناه فى الباب السابق وجماع وصفهم وخلاصة القول فيهم هو أنهم الذين يعتصمون بالكتاب والسنة ولايتبعون فى دينهم أية شريعة ليست فى كتاب ٱللهِ ولافى سنّة رسوله وبالتالى لاينتمون إلى أى مذهب أو فرقة أو حزب أو شيعة غير حزب ٱللهِ المعتصمين بالله **(ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم)**[1] لأن هؤلاء جميعا لهم شرائعهم المفتراة على ٱللهِ ورسوله ، المبتدعة بآرائهم وأهوائهم ، فاتباعهم معناه إنْعدام الأخلاص فى دين ٱللهِ ، معناه اجتراح الظلم والشرك والشقاق

(١) آل عمران (١٠١)

البعيد والوقوع فى الهلاك الذى حذّر منه ٱلله ورسوله كما سنفصل ذلك تفصيلاً فى الأبواب التالية إن شاء ٱلله .

ولكن عدم الانتماء إلى الفرق والشيع والمذاهب والأحزاب المختلفة ، وإن كان يفيد النّجاة من عبادة الأحبار والرؤساء ويفيد السلامة من الشرائع المبتدعة والأحكام المصطنعة ويفيد البراءة من تفريق الدين شيعا وتقطيع الأمة زُبَراً إلا أنه لايكفى لتأمين المرء المسلم من الزيغ والزلل فى دينه ، لايكفى ذلك وحده لكى يحفظ ٱلله عليه نعمة الاخْلاص فى الدين ويثبته على الهدى المستقيم لأن الخطايا التى وقعت فيها كل المذاهب والأحزاب إنما كانت بسبب الاختلاف فى الكتاب ، فاذا ذهبت الأحزاب ، وبقى الاختلاف فى الكتاب ،عادت فجيعة المذاهب سيرتها الأولى وانطلقت الدوامة فى حلقة مفرغة عوداً على بدء .

فالاحتراز من الاختلاف فى الكتاب هو الضمان الأول للأخلاص فى الدين فيتعين على الناجين من مصيبة المذاهب أن يحترزوا أولا وقبل كل شيىء من الاختلاف فى الكتاب ، حتى يسلم لهم اخلاص الدين ، ويتم لهم الاستمساك بالعروة الوثقى ، والاعتصام بالله ، والاهتداء إلى الصراط المستقيم .

الفِرَق والشيع والمذاهب والأحزاب قامت على الاختلاف فى الكتاب وزادته سعيراً ، والمختلفون فى الكتاب هالكون لامحالة هكذا قال الله وقال رسوله ، والمُغَيِّرون فى الدين يُساقون حتما الى النار ، والمبدّلون نعْمة ٱلله كفراً أحلوا قومهم دار البوار روى البخارى فى صحيحه أحاديث كثيرة عن عديد من الصحابة عما سيقع للذين غيّروا وبدّلوا بعد

رسول الله ﷺ ومثلها فى صحيح مسلم قد بلغت حد التواتر المستفيض ، نذكر منها حديثين أحدهما عن أبى سعيد الخُدرى والآخر عن أبى هريرة :

١ -عن أبى سعيد الخُدْرى قال [**قال رسول ٱلله ﷺ إنّى فرطكم على الحوض من مرَّ علّى شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً . لَيرِدَنَّ علَّى أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يُحال بينى وبينهم فأقول إنهم منى فيقال إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول سُحقاً سُحقاً لمن غيَّر بعدى**][1]

٢ -عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال [**بينا أنا نائم فأذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلمُ فقلت أين قال الى النار وٱلله قلتُ وماشأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم اذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم قُلتُ أين ؟ قال الى النار وٱلله قلتُ ماشأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يَخلص منهم إلا مثل هَمَل النَّعم**][2]

فعلى المسلمين الذين نجّاهم ٱلله من مصيبة المذاهب أن يتحصنوا من الخَطر الأكبر الذى يتهددهم خَطر الاختلاف فى الكتاب وإن أعظم مايقيهم هذا الخَطَر هو الاعتصام المطلق بالكتاب والسنّة وعليهم أن يحذروا كل الحذر من الحكم فى دين ٱلله بالرأى ، لاينبغى لأحد كائنا من كان أن يحكم فى دين ٱلله برأى نفسه ، ولاينبغى لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يقبل فى الدين أى حكم بالرأى دون النص ، أيا كان

(١) (٦٥٨٤)فح (٢) (٦٥٨٧) فح

مصدرهذا الرأى كل ابن آدم خَطّاء ، والرأى فى الدين كله أخطاء ، فمن اتبعه أوقعه فى البلاء والشقاء لأنه خلاف الكتاب والسنة ، وكل أمر من أمور الدين خَالف الكتاب ، فأنما هو فى تباب قد فصلنا ذلك تفصيلاً فى باب (**خطيئة الاختلاف**)

ب – طائفة ظاهرة .

لايتراجع الفساد بل هو دائماً فى إزدياد سنة ٱلله التى قد خلت فى العباد ، كذلك أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ بقوله [**لا يأتى عليكم زمان إلا الذى بَعده أشر منه حتى تلقوا ربكم**][١] وبقوله ﷺ [**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**][٢] وبقوله ﷺ [**لاتقوم الساعة حتى لايُقال فى الأرض ٱلله ٱلله**][٣]

ومع إزدياد الفَساد يتناقص الرشاد وتتفاحش أعداد الفُجار ويتضاءل عدد الأبرار حتى لايبقى فى الناس إلا حثالة البشر ، كل عُتل جّواظ مستكبر أولئك أهل النار قال ﷺ [**يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لايباليهم ٱلله باله**][٤] ومع تناقص المتقين الصالحين وتزايد الغاوين المفسدين يُرفع العلم ويظهر الجهل (علم الدين والمعاد لاعلم الدنيا والمعاش) قال ﷺ [**إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل ويُشرب الخمر ويَظهر الزنا**][٥]

هذا التدهور المتلاحق هو صفة عامة الزّمان وهو صفة السواد الأكبر من الناس ، ولكن ذلك لاينفى ظهور فترات

(١) (٧٠٦٨) فح (٢) سلم (١ / ٩٠)

(٣) (٦٤٣٤) فح (٤) (٨٠) فح (٥) (٧٠٨٤) فح

إصلاح تتخلّل هذا التدهور الجارف كما أخبر بذلك النبى ﷺ فقد روى البخارى فى صحيحه عن حُذيفة ابن اليمان قال [**كان الناس يَسألون رسول اللّه ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلتُ يارسول الله إنا كنّا فى جاهلية وشر فجاءنا اللّه بهذا الخير فهل بَعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم ..قلتُ وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دَخنٌ ؟ قلت ومادَخنُه ؟ قال قوم يهدون بغير هَدْيى تعرف منهم وتنكر قلت فَهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يارسول اللّه صِفْهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلتُ فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت فأن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال فاعتزل تلْك الفِرق كلَّها ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموتُ وأنت على ذلك**][1] فهذا تدهور فى الفساد ، وتدهور فى فترات الأصلاح التى تتخلله كل فَساد يأتى هو أبشع من الذى سبقه ، وكل إصلاح يأتى هو أضعف من الذى سبقه ، ففترة الأصلاح التى جاء بها النبى ﷺ كانت هى الذروة فى الكمال البشرى ، ثم فترة الأصلاح التى بعده فيها دَخن ، مصلحون يخلطون هدْى الكتاب والسنّة ، بهْدى أنفسهم فترى فى أعمالهم معروفا كما ترى فيها منكراً ثم بعد ذلك يعلو فى الأرض أهل الشر دعاة على أبواب جهنم ، وعند غلبة ذلك الشر الطاغى قد تجد وقد لاتجد جماعة من المسلمين لهم إمام إن وجدتها فالزمها ، وإن لم تجدها فاعتزل جميع الفرق لأنهم دعاة على أبواب

(١) (٧٠٨٤) فح

جهنم ، وليس فيهم جماعة مسلمون ولاإمام مسلم اعتزلهم جميعا حتى يدركك الموت وأنت على ذلك مادامت لاتوجد جماعة من المسلمين لهم امام تتبعهم .

أما اذا هداك ٱللّٰه الى طائفة مؤمنة ظاهرّة على الحق فقد وجب اللحاق بها واتباعها واجتناب جميع الفرق الأخرى الذين هم دُعاة على أبواب جهنم ، ومن فَضْل ٱللّٰه تعالى على هذه الأمة أنه لاتزال طائفة منها ظاهرة على الحق الى يوم القيامة فمن عرفها وجب عليه لزومها كما أمر النبى ﷺ ، هذه الطائفة التى تدعو الى ٱللّٰه بالحق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هى الفائزة قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **وممن خلقنا أمةٌ يهدون بالحق وبه يَعدلون** ﴾ وقيام تلك الطائفة الظاهرة على الحق الى يوم القيامة قد تواترت به أصح الأحاديث تواترا مستفيضا عن عديد من الصحابة فى البخارى ومسلم وعند أبى داود والترمذى وابن ماجة وأحمد ابن حنبل والدارمى نذكر فيما يلى بعض تلك الأحاديث التى فى البخارى ومسلم :

١ - عن المغيرة ابن شعبة عن النبى ﷺ قال [**لايزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر ٱللّٰه وهم ظاهرون**][3]

٢ - عن المغيرة ابن شعبة عن النبى ﷺ قال [**لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر ٱللّٰه وهم ظاهرون**][4]

(١) آل عمران (١٠٤) (٢) الأعراف (١٨١)
(٣) (٣٦٤٠) فح (٤) (٧٣١١) فح

٣ – عن المغيرة ابن شعبة عن النبى ﷺ قال [**لايزال قوم من أمتى ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر ٱللّٰه**][1]

٤ – عن المغيرة ابن شعبة سمعتُ رسول ٱللّٰه ﷺ يقول [**لن يزال قوم من أمتى ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر ٱللّٰه وهم ظاهرون**][2]

٥ – عن معاوية ابن ابى سفيان قال سمعتُ النبى ﷺ يقول [**لايزال من أمتى أمة قائمة بأمر ٱللّٰه لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر ٱللّٰه وهم على ذلك**][3]

٦ – عن معاوية ابن أبى سفيان قال سمعتُ النبى ﷺ يقول [**من يُرد ٱللّٰه به خيرا يفقّهه فى الدين وإنما انا قاسم ويعطى ٱللّٰه ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر ٱللّٰه**][4]

٧ – عن معاوية ابن أبى سفيان سمعتُ النبى ﷺ يقول [**لايزال من أمتى أمة قائمة بأمر ٱللّٰه لايضرهم من كذبهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر ٱللّٰه وهم على ذلك**][5]

٨ – عن معاوية ابن أبى سفيان سمعتُ النبى ﷺ يقول [**من يرد ٱللّٰه به خيراً يفقهه فى الدين ولاتزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة**][6]

٩ – عن معاوية ابن أبى سفيان سمعتُ النبى ﷺ يقول،

(١) (٧٤٥٩) فح (٢) سلم (٦ / ٥٣)

(٣) (٣٦٤١) فح (٤) (٧٣١٢) فح

(٥) (٧٤٦٠) فح (٦) سلم (٦ / ٥٤)

[لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر ٱلله لايضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر ٱلله وهم ظاهرون على الناس][1]

١٠- عن ثوبان قال قال رسول ٱلله ﷺ [لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايَضُرهم من خذلهم حتى يأتى أمر ٱلله وهم كذلك][2]

١١- عن جابر ابن سَمره عن النبى ﷺ قال [لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة][1]

١٢ عن عقبة ابن عامر سمعتُ رسول ٱلله ﷺ يقول [لاتزال عصابة من أمتى يُقاتلون على أمر ٱلله قاهرين لعدوهم لايضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك][2]

١٣- عن عبد ٱلله ابن عمرو ابن العاص صدّق على حديث عقبه لما سمعه منه ثم قال [أجل ثم يبعث ٱلله ريحاً كريح المسك مَسها مَس الحرير فلا تترك نفساً فى قلبه مثقال ذرة من الأيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة][3]

١٤ – عن سعد ابن أبى وقاص قال قال رسول ٱلله ﷺ [لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة][3]

١٥ – عن جابر ابن عبد ٱلله قال سمعت رسول ٱلله ﷺ

(١) سلم (٦ / ٥٣) (٢) سلم (٦ / ٥٢)

(٢) سلم (٦ / ٥٤)

يقول [**لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**][1]

١٦ – عن جابر ابن عبد الله قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول [**لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة**][2]

وأما الأحاديث الواردة فى غير الصحيحين فأنا نكتفى بالأشارة الى مواضعها وهى – (ابو داود) فتن ١ – جهاد ٤ (الترمذى) فتن ٢٧ – ٥١ (ابن ماجه) مقدمة ١ فتن ٩ (الدارمى) جهاد ٣٨ (احمد ابن حنبل) ٥ ، ٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

هذه الطائفة الظاهرة التى تقطع الأحاديث المتواترة بأنها لاتزال قائمة الى يوم القيامة ، لايخلو منها زمان ، هؤلاء العباد المخْلصون الذين يجاهدون فى سبيل الله ، وينافحون عن الحق قد وصفتهم الأحاديث بأنهم لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك ، ووصفتهم بأنهم ظاهرون على الحق فلا يخفى أمرهم على أحد ، نِعْم الصحب هؤلاء ، هم خير مايتمنى المؤمن من قرناء ، فمن كان يطمع أن يكون عند الله من السعداء فليلحق بهذا الرهط من الخلصاء حيثما وجدهم ليكون معهم فى الفردوس الأعلى قال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحِسُن أولئك رفيقاً** ﴾[3] وقال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[4] فاستجيبوا لربكم أيها المؤمنون وكونوا مع الصادقين مع هذه الطائفة الظاهرة على الحق .

(١) سلم (٦ / ٥٣)　　(٢) سلم (١ / ٩٥)
(٣) النساء (٦٩)　　(٤) التوبة (١١٩)

وكونوا مع الصادقين مع هذه الطائفة الظاهرة على الحق .

ج ــ اختيار القرين

وعلى المسلمين أن يتعرفوا على عباد آلله المخلصين على الطائفة الظاهرة على الحق ليكونوا مثلهم أعواناً على الحق استجابة لدعوة آلله عز وجل ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا آلله وكونوا مع الصادقين** ﴾[1] على المسلمين أن يتشبهوا بهم فى الاستجابة لأمر آلله ورسوله لكى يُحييهم آلله فى الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم واعلموا أن آلله يَحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تُحشرون** ﴾[2]

وعلى هؤلاء المخلصين أن يتعرف بعضهم على بعض لما فى ذلك من الأهمية القصوى فى تطبيق الدين الخالص وقيام الأمة الأسلامية الصالحة فانّما كل فَرد منهم لبنة ولايقوم البناء إلا بترابط اللبنات .

ومن العلامات البارزة المميزة لعباد آلله المخلصين انهم لايتخذون من دون آلله أولياء ، انما وليهم آلله وهو يتولى الصالحين قال تعالى : ﴿ **ام اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شيىء قدير** ﴾[3]

وأنهم لايتخذون من دون آلله أنداداً يحبونهم كحب آلله ، لانهم يوقنون أن اعظم العباد سلطانا أو مالا أو علما لايملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتى**

(١) التوبة (١١٩) (٢) الأنفال (٢٤)

(٣) الشورى (٩)

الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيىء قدير ﴾[1]

وأنهم لايتخذون الأحبار أربابا من دون ٱلله ، لايطيعون فى الدين أى عالم أو فقيه مهما علا قدره أو ظَهر فضله وتحدثت به الركبان ، بل يُلزمونه الدليل على أى شيىء يقوله فى الدين ، الدليل من كلام ٱلله أو كلام رسوله فقط ، لا من أصول صانعى الأصول ، ولامن زخرف القول ودق الطبول ولا من خبر كاذب أو حديث معلول .

وأنهم لايُقرون منكراً ولايداهنون جباراً ولايتابعون ظالماً ولا يُحابون خاطئاً ولايخافون فى ٱلله لومة لائم ، ويصدقون فيما يقولون ويَهدون بالحق وبه يَعدلون .

وأنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه لاتكبّلهم التقاليد ولايُعْميهم التعصب العنيد ، ولايحجبهم الفهم البليد ، بل تتسع قلوبهم للقول السديد وتنشرح صدورهم للنور الجديد ، لايفتى أحدهم بالظن وهما ، ولايدعى أنه أحاط بكل شيىء علما ، بل يُخبت إلى ٱلله ويقول رب زدنى علماً .

قد جمع ٱلله لهم رؤوس الفضائل فى سورة الفرقان فى اثنتى عشرة آية فى آخر السورة من ٦٣ - ٧٤ كلهن نور وحُبور ، فليرجع إليهن وليس قرين الخيْر فقط عونا على الخيْرات ومرشداً للصالحات ، بل هو فوق ذلك بركة سابغة على من يجالسه .

قال تعالى للملائكة الذين رفعوا إليه ذكر أهل الذكر﴿ إنى

(١) آل عمران (٢٦)

أشهدكم أنى قد غَفرتُ لهم . قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال هم الجلساء لايشقى جليسهم [1] فهذا غفر ٱلله له لمجرد أنه جالس المخلصين وقال ﷺ [**مَثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**] [2] فمصاحبة المخلصين دائما مأمولة الخير مأمونة الشر .

الباب الثالث

باب (عبادة الأحبار)

تعريف الأحبار .

الأحبار هم علماء الأديان فى كل زمان ومكان ، كالربانيين والحاخامات فى بنى اسرائيل والبابوات والكرادلة والقساوسة فى النصارى ، والأئمة والفقهاء فى المسلمين ، وماشاكل ذلك فى أهل الملل والأديان المختلفة .

ونحن عندما نتكلم عن عبادة الأحبار لانخص ربانيين من قساوسة ، من فقهاء ، من كهان أو رهبان أو سدنة أوثان أو غير ذلك من رؤساء الأديان فى أى ملة ومكان ، وإنما نعنى كل من كان له فى الدين على الناس سلطان يشرع لهم من الدين مالم يأذن به ٱلله ، ويحلّل ويحّرم بمحض رأيه على خلاف أمر ٱلله فيُسمع له ويطاع ، ويُحكم بما يُفتى أو يقضى .

(١) (٦٤٠٨) فح (٢) (٥٥٣٤) فح

ولذلك فنحن رغبةً منا فى الاختصار ، وتجنبا لكثير من التكرار سنشير إلى أى واحد من علماء أو رؤساء الأديان فى أى أمة أو زمان ومكان بلفظ « الأحبار » فعلماء الدين عند اليهود والنصارى أحبار وعلماء الدين من المسلمين أحبار ، وللمجوس من عبدة النار أحبار ، وللصابئين عبَدة النجوم أحبار ، وللسيخ والبوذيين أحبار ، وللوثنيين أحبار ولعبدة الأبقار أحبار .

وهؤلاء الأحبار على اختلاف تسميتهم عند أممهم ، لهم سلطان كبير على العوام وعلى كثير من الخواص ، يتهافت الناس عليهم لاستفتائهم في شئون دينهم ، ويتمسحون بهم رجاء استجابة الدعوات ، والتماس البركات للأحياء منهم والأموات ، وهذا شرك عريض لاريب فيه ، وأكثر الأحبار يستغلون هذه المكانة المرموقة ، للاستعلاء فى الأرض ، ولابتغاء العزة عند الحكام ، ولابتزاز أموال العوام قال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل ٱللهِ** ﴾[1]

ومن أجل ابتغاء العزة عند الحكام ، ومن اجل حماية أنفسهم من بطش الحكام ، ومن أجل الاستكثار من ابتزاز العوام تراهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون ماأنزل ٱلله من البينات والهدى ، مسايرة لأهواء هؤلاء وهؤلاء ومحاذرة من إغضاب هؤلاء وهؤلاء ، قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة وباعوا رضوان ٱلله والجنّة ، بلعاعة فانية من الدنيا ومتاع قليل قال تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى**

(١) التوبة (٣٥)

من بعد مابيّناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم آلله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **وإذْ أخذ آلله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون ﴾**[2]

ومن الأساليب المعروفة لدى جميع الأحبار ، قديما وحديثاً لتنفيذ خططهم ، ونيل مآربهم إحاطة أنفسهم بهالة من القدسية والسحرية .

فتراهم ترمقهم العيون بأجلال مخبول ، وتقديس وثنى جهول ، وتراهم يغمغمون بالمبهم من الكلام ، زيادة فى التلبيس والأيهام قال تعالى ﴿ **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند آلله وماهو من عند آلله ويقولون على آلله الكذب وهم يعلمون ﴾**[3]

وتراهم يدلسّون الأخبار ، ويزيفون الأحكام ويرفعونها زوراً إلى الملك العلام ، ليروجوا الأباطيل والأوهام ، وينشروا الضلالات فى حلكة الظلام ، تلبيساً على من يغترّ بهم ويصدقهم قال تعالى ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند آلله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وَوَيْلٌ لهم مما يكسبون ﴾**[4]

وتراهم إذا أحرجهم ذوفهم ذكى بشىء من السؤال الذى لايملكون له ردًّا شافيا ، وتفسيرا مقنعا تحصنوا بالأحاجى

(١) البقرة (١٥٩ - ١٦٠) (٢) آل عمران (١٨٧)
(٣) آل عمران (٧٨) (٤) البقرة (٧٩) -

والألغاز ، وأسكتوه بدعوى تحريم السؤال فى مثل هذا المقال .

وتراهم يخفون من الشرائع ماأنزل آلله ، ويفترون من الشرائع مالم يأذن به آلله ، يفترون ماتسوله لهم أنفسهم ، ويزينه لهم الشيطان تمكيناً لسلطانهم وتحقيقاً لمآربهم .

هؤلاء هم شرار الأحبار ، هؤلاء هم أكلة النار ، قال تعالى **﴿ إن الذين يكتمون ماأنزل آلله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ماياكلون فى بطونهم إلا النار ولايكلمهم آلله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾**[1]

كيف يُعبـد الأحبار

قليل جداً من الناس من يفهم حقيقة عبادة الأحبار من دون آلله لأنها من أنواع الشرك الخفى الذى يجهله الناس ، يفعلونه وهم لايشعرون فمن ذلك اتخاذ البشر أندادا لله يلجأون إليهم فى مصالحهم الدنيوية من جلب المنافع والخيرات ، ودفع المكاره والنائبات ويحبونهم كحب آلله وهذا شرك وعبادة غير آلله لأن النافع الضار هو آلله وحده دون سواه قال تعالى **﴿ ومن الناس من يتخذ من دون آلله انداداً يحبونهم كحب آلله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾**[2]

ومن ذلك اتخاذ الأولياء من دون آلله ، يستشفعون بهم عند آلله فى المغفرة ومحو السيئات ويتوسلون بهم إليه فى

(١) البقرة (١٧٤ - ١٧٥) (٢) البقرة (١٦٥ - ١٦٧)

التقرب ورفع الدرجات قال تعالى ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى آلله زُلفى إن آلله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن آلله لايهدى من هو كاذب كفار** ﴾[1] وهذا شرك وعبادة غير آلله ، قل لله الشفاعة جميعاً .

ومن ذلك اتخاذ الأحبار أربابا من دون آلله يحكمونهم فى أمور دينهم بمحض آرائهم وأهوائهم فَيشرعون لهم من الدين مالم يأذن به آلله ويحرمون ماأحل آلله ويحلون ماحرم آلله وقد نهى آلله تعالى عَن هذا النوع من العبادة بقوله تعالى ﴿ **قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا آلله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون آلله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾[2] قال تعالى ﴿ **قاتلهم آلله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون آلله والمسيح ابن مريم وماأمروا إلا ليعبدوا إلَهاً واحداً لاإلَه إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾[3] وهذا شرك وعبادة غير آلله .

فتلك بعض صور الشرك الخفى التى يفعلها كثير من الناس وهم عنها غافلون ، فنحن نبين النوع الثالث منها وهو عبادة الأحبار لتعلقه بموضوع الكتاب .

إن خطيئة عبادة الأحبار هى من أعظم الخطايا المضلة للبشر إن لم تكن هى أعظمها على الاطلاق ، ذلك بأن الأحبار فى جميع الأديان قد اختلفوا فى الكُتُب المنزلة من بعد ماجاءتهم البينات ومن بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ، كل واحد منهم مختلف مع نفسه فى مفهوم الكتاب ،

(١) الزمر (٣) (٢) آل عمـــران (٦٤)
(٣) التوبـــة (٣٠ - ٣١)

تضارب أقواله فى القضية الواحدة وفى الشرعة الواحدة من شرائع الدين ، فهذا اختلاف شديد ، وهم فيما بينهم مختلفون فى شرائع الكتاب ، فهذا شقاق بعيد ، وأتباعهم مختلفون باختلافهم فهذا هو هلاك الأمم جميعا قديماً وحديثاً .

والسواد الأعظم من جميع الأمم عوامهم وخواصهم يعبدون أحبارهم من دون آللّٰه ، وليست عبادتهم سجوداً ولا ركوعا ، بل تلْك العبادة كما بينها رسول آللّٰه ﷺ هى أنهم يطيعون أحبارهم فيما يحلون ويحرمون على خلاف ماأنزل آللّٰه فى الكتاب ، ويطيعونهم فيما يشرعون من الدين مالم يأذن به آللّٰه ، فهذه هى عبادة الأحبار فى كل أمة .

لما نزلت آية التوبة ﴿ **قاتلهم آللّٰه أنّى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون آللّٰه** ﴾[1] قال عدىّ ابن حاتم الطائى وكان قبل إسلامه نصرانيا [**قال يارسول آللّٰه إنهم لم يكونوا يركعون لهم ولايسجدون قال ألم يكونوا يحّلون لهم ويُحرمون فيطيعون ؟ قال بلى قال فتلك عبادتهم**][2] فاتّباع الأحبار فيما يشرعون برأيهم مخالفاً لأمر آللّٰه هو عبادة لهم .

فمن أمثلة ذلك ماروى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر قال [**أُتِىَ رسول آللّٰه ﷺ بيهودى ويهودية قد أحدثا جميعاً فقال لهم ماتجدون فى كتابكم ؟ قالوا إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبيه ، قال عبد آللّٰه ابن سلام ادعهم يارسول آللّٰه بالتوراة فأتى بها فوضع أحدهم يده على آية**

(١) التوبة (٣٠ - ٣١) (٢) ترمذى تفسير سورة (٩)

الرجم وجعل يقرأ ماقبلها ومابعدها فقال له ابن سلام ارفع يدك فاذا آية الرجم تحت يده فأمر بهما رسول آلله فرجما قال ابن عمر فرجما عند البلاط فرأيت اليهودى أجنأ عليها][1] فهذا مثل مما غيّر الأحبار برأى أنفسهم فى شرائع آلله ، وأُتباعهم لهم عابدون .

ومن أمثلة ذلك ماحرّم بابوات النّصارى من أكل اللحوم يوم الجمعة ، ثم عادوا فأحلّوها بَعد ذلك ، ومن أمثلة ذلك مأحل البابوات للراهبات من تقصير الثياب وكشف بعض أجزاء الجسد بعد ماكانوا يحرمونه ، فعلوا ذلك اتباعاً لأهواء الناس وآلله تعالى يقول ﴿ **ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون إنهم لن يُغنوا عنك من آلله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض وآلله ولى المتقين** ﴾[2]

ومن أمثلة ذلك فى الأسلام ماحرّفه الوضاعون من قوانين كافرةٍ تورّث الحكومة عدوانا وظلماً من تركات الموتى ، وأموال المسلمين عند آلله محّرمة أشد التحريم كحرمة الدماء والأعراض .

ومن أمثلة ذلك مااستبيحت به شرائع النكاح والطلاق للنساء يتلاعبن بها فيما أَسْمَوْهُ قوانين الأحوال الشخصية .

ومن تلك الأمثلة ٱلمفجعة اكراه اكبر موظف فى أحبارهم على وضع حجر الأساس بيده فى مؤسسة شرك وكفر بالله ورسوله فما لبث إلا قليلا حتى هلك .

(١) (٦٨١٩) فح

(٢) الجاثية (١٨ - ١٩)

ومن أمثلة ذلك تلك الكّرة الخاسرة التى أسموها (**مجمع الأديان**) يريدون بها تأليف الأديان ، فما رضى بذلك أحد من أهل تلك الأديان ، ثم باؤا بغضب الرحمن ، فما أفدح ذلك الخسران ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين** ﴾[1] ولكن ٱللّٰه عز وجل أبطلها وأهلك صانعها ﴿ **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾[2]

ومن أمثلة ذلك الشيء الكثير ، كله مفجع ورهيب ، لو جاز فى الاسلام النياحة ، للطم المسلمون خدودهم وشقّوا جيوبهم ، جزعاً على ماهتك الملاحدة من شرائع الاسلام ، وحزنا على ماخرس الأحبار عن أى احتجاج أو كلام ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

إن إقرار أحبار المسلمين لتْلك الشرائع الكافرة هو شرك وظلم وفسوق (**راجع الباب ٧**) إن سكوتهم عن الأنكار راضين متابعين هو كتمان وعدم بيان ، وذلك أعظم الخسران ، إن متابعة المسلمين أحبارهم فى ذلك هو بمثابة اتخاذهم أرباباً من دون ٱللّٰه .

سبب العبادة .

وماأوقع عامة المسلمين فى هذا الضلال ، وساقهم إلى عبادة الأحبار إلا اعتقادهم الخاطيء أن الأحبار معصومون من الخطأ ، وماأهلك المسلمين شيء مثلما أهلكهم تقديس

(١) البقرة (١٦) (٢) يوسف (٢١)

الأئمة تقديساً وَثَنِياً يَمنعهم حتى من مجرد طلب الدليل على مايشرعون ويحكمون وهذا عين الضلال إذ لاعصمة لأحد ولا حجة فى الدين فى قول أحد كائنا من كان دون رسول ٱللهِ ﷺ

إن مايقوله فى الدين أى حبر من الأحبار غير مردود إلى ٱللهِ والرسول هو كله خطأ وذلك من وجهين :

أولا : اذا كان ماقاله الحبر مطابقا لما أنزل ٱللهُ ومابلّغ الرسول ، فهذا إذاً هو قول ٱللهِ وتبليغ الرسول ، وليس هو قول الحبر ، انما الحبر ناقل أو مترجم وليس هو صانع الحكم أو الشرعة ، وإنه لمن الكذب والتدليس أن يُنسب قول ٱللهِ أو الرسول إلى أحد من الناس ، فلا ينبغى أن يقال قال الفقيه أو المذهب كذا ولكن قال ٱللهُ كذا أو قال رسول ٱللهِ كذا وكذا .

ثانياً : اذا كان ماقاله الحبر مخالفا لما أنزل ٱللهُ وبلّغ الرسل فهذا ليْس خطأ فحسب بل هو شرك وظلم وافتراء الكذب على ٱللهِ وعلى الرسول وابتداع مالم يأذن به ٱللهُ وكفى به اثماً مبيناً .

ففى الحالتين يكون قول الحبر خطأ اذا نسبه إلى نفسه أما اذا نسبه إلى ٱللهِ والرسول فهو قول ٱللهِ والرسول لاقول الحبر .

لاينبغى لحبر أو مذهب أن يقول حُكْمنا فى مسألة كذا هو كذا ، بل يجب أن يُقال حكم ٱللهِ فيها هو كذا ، مع

إيراد النصوص الدالة على صحة ذلك من كلام ٱلله أو كلام رسوله فقط ، لامن مصفنات الفقهاء الطافحة بالأخطاء .

لاينبغى لأى انسان كائناً من كان أن يشرع من الدين برأيه شيئاً ولايُحرم ولايحلّل برأيه شيئاً ، ولايبتدع ولايشترط برأيه شيئاً ، كل مايجب على الأحبار إنما هو البيان تعليماً وتفهيماً ، لاتشريعاً بالرأى ولاتحليلاً ولاتحريماً ولاتعسفاً بالتأويل ، ولاتحكماً فى مراد ٱلله ومراد رسوله بغير دليل ، إنما عليهم شرح متن النصوص ، والحذر كل الحذر من دّس آرائهم واهوائهم فى الشرائع ومن التقّول على ٱلله ورسوله ، ومن اقْتحام حِمَى التأويل ، فقد قال عز وجل ﴿ **ومايعلم تأويله إلا ٱلله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربّنا وما يَذَّكر إلاَّ أولو الألباب** ﴾[1]

لقد كان يكفى عبدَة الأحبار دليلاً على ماهم فيه من البوار أن ينظروا إلى اختلافات أحبارهم وتناقضاتهم التى طفحت بها الأسفار لكى يتبينوا أنهم على شفا جُرُف من النار ، ذلك بأن الشرائع التى من عند ٱلله لااختلاف فيها البته ، وانما الاختلاف هو فى كل ماكان من عند غير ٱلله قال تعالى ﴿ **ولو كان من عند غير ٱلله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾[2] فإذ قد رأوا رأى العين ذلك التناقض الفاحش فى شرائع المذاهب والفقهاء فقد أيقنوا كل اليقين أن تلك التخاليط الفاسدة يستحيل أنْ تكون من عند ٱلله ، فما لنا ولهذا الركام الخبيث ، ونور الهدى من كتاب ٱلله وسنّة رسوله بين أيدينا .

(١) آل عمران (٧)

(٢) النساء (٨٢)

لقد ضربنا طائفةً من الأمثال لاختلافات المذاهب والفقهاء في البابين الخامس والسادس من هذا الكتاب ، وماتلك الأمثال إلا قطرة من بحر ، وفى تلال مصنفات الفقهاء مزيد لمستزيد وحسبك من شَرٍّ سماعُه ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد** ﴾[1]

لاعصمة للأحبار

إذا بَعُدت واستحالت العصمة من الأَخطاء فى الدين على الأبرار الأتقياء من المؤمنين ، فهى على غيْرهم أشد بُعداً واستحالة .

إن من أحمق الحماقات اعتقاد الغوغاء من العوام وغيرهم أن مايسمونهم (**أسيادنا العلما**) معصومون من الخطأ فى الدين ، وأن كل مايقولونه فى الدين هو حق وصواب ، قال الأحمقون هؤلاء أحبار المسلمين وأئمتهم والأئمة أطهار غير مدينين ! ! انظر كيف يُزكون أنفسهم وكفى به إثما مبيناً بل هو اعتقاد فاشل ، هذا عين الباطل ، إن آلله تعالى قد اخبرنا فى القرآن الكريم عكس ذلك تماما ، قال تعالى يصف عموم الأحبار ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل آلله** ﴾[2] فهل للمبطلين الصادّين عن سبيل آلله من عصمة أيها الجاهلون ؟ ! صدق آلله العظيم وكذب الخراصون وقال تعالى فى أحبار اليهود ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية**

(١) ق (٣٧) (٢) التوبة (٣٤)

يحرفون الكلم عن مواضعه ونسُوا حظاً مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن آلله يحب المحسنين ﴾[1]

وقال تعالى فى أحبار النصارى ﴿ **ومن الذين قالوا إنَّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم آلله بما كانوا يصنعون ﴾**[2]

وقال الملائكة للنبى فى أحبار المسلمين حين يُنتزعون عن الحوض ويقول النبى ﷺ يارب **أصحابى ، فيقال له إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فيقول** ﷺ [**سُحقاً سُحقاً لمن غيَّر بعدى**][3] فأىَّ عصمة تجعلونها لهؤلاء ؟ !

وخلاصة ماتقدم هو أن أهم الأسباب التى حملت العوام على عبادة الأحبار وتقديس الأئمة هو :

١ – الاعتقاد الضال فى عصمتهم من الخطأ ولاعصمة فى الدين لأحد كائناً من كان دون رسول آلله ﷺ

٢ – الجهل الكلى باختلافاتهم فى الكتاب وتناقضاتهم فى الشرائع والأحكام .

٣ – الغفلة التامة عن الوصف الفريد لشرائع آلله عز وجل المنزلة فى كتابه أو المنزلة على رسوله وَحْياً وهو أنها شرائع منزهة عن أى اختلاف أو تناقض .

٤ – الذهول المهلك عن شدة تحريم أى شرع فى الدين إلاَّ لله وحده عز وجل وعن شدة تحريم إفتراء الكذب على

(١) المائدة (١٣)　　(٢) المائدة (١٤)

(٣) احاديث الحوض من (٦٥٧٥ - ٦٥٩٣) فح

ٱلله بتحليل أو تحريم برأى الناس ، هذا الذهول الذى أزلف العوام الى قبول شرائع المذاهب المصطنعة .

إنكار المجرم لايبرئه .

ليس أحدٌ من الذين يعبدون المذاهب أو الأحبار يعترف بأنه لهم عابد ، بل يزعمون أنهم يعظمونهم فقط ، وأنهم إنما يطيعونهم فيما يشرعون لهم من الدين وفيما يُحلون لهم ويُحرمون ، لأنهم يُصدّقونهم فيما يقولون ، ذلك قولهم بأفواهم ، وقد كذبوا ، كذّبهم ٱلله ورسوله قال تعالى ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون ٱلله** ﴾[1] فهم بكلام ٱلله عابدون للأحبار و كذبهم رسوله حيث بيَّن أن طاعة الأحبار فيما يشرعون برأى أنفسهم هى عبادة لهم قال ﷺ [**فتلك عبادتهم**][2] فهم ببيان رسول ٱلله ﷺ عابدون للأحبار صدق ٱلله ورسوله و كذب الجاحدون ، وهلك المتنطعون .

كذلك الذين عبدوا الأولياء انكروا هذه العبادة فكذبهم ٱلله زعموا أنهم انما يتقربون بهم الى ٱلله فكشف ٱلله ضلالتهم وكذب مقالتهم قال تعالى ﴿ **والذين اتخذوا من دون ٱلله أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى ٱلله زلفى ان ٱلله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان ٱلله لايهدى من هو كاذب كفار** ﴾[3]

وكذلك المشركون الذين يعبدون الأوثان سيحلفون لله يوم القيامة أنهم ماكانوا مشركين قال تعالى ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤهم الذين كنتم**

(١) التوبة (٣٠) (٢) الترمذى تفسير سورة (٩)

(٣) الزمر (٣)

تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾[1]

وكذلك الذين يوادون أعداء ٱلله يحلفون للمسلمين مافَعلوا ، ويوم القيامة يحلفون لله كذلك ﴿ **يوم يبعثهم ٱلله جميعاًفيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾**[2]

وكذلك كل مجرم حين يُسأل عن ذنبه يلوذ بالانكار فما أخفى الانكار خطيئتهم ، ولاأبطلت الأَيْمانْ عقوبتهم .

فعُباد المذاهب والأحبار يُنكرون تلك العبادة وماالأنكار بمزحزهم من العذاب ، إلا أن يتداركوا أنفسهم بالمتاب ، من قبل أن يواريهم التراب .

فياعَبَدة المذاهب والأحبار انسلخوا من تلك العبادة ، ولاتتخذوا من الضلال وسادة ، قد وصلنا لكم القول لعلكم تذكرون ، وأعْذَرْنَا إلى ٱلله مما تصنعون ، جُفّت الأقلام ، وطُويت الصحف .

صراط حوله سبل .

قد وضع ٱلله صراطاً مستقيما سوِيًّا قويماً لاعوج له يهدى الى الجنة ، وأقام رُسُلَه على هذا الصراط ، يدعون الناس إليه ، وحول الصراط سبل ملتوية ، تهدى الى النار ، قام الشياطين على رؤوسها ، يدعون الناس اليها من أجابهم اليها

(١) الأنعام (٢٢ - ٢٤) (٢) المجادلة (١٨)

قذفوه فيها .

روى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه [**خطّ خطاً ثم قال هذا سبيل الرشد ، ثم خّط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾**[1]] والرسول ﷺ واتباعه المؤمنون يدعون إلى الصراط المستقيم على بصيرة من ربّهم قال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وماأنا من المشركين** ﴾[2]

الله تبارك وتعالى أمر باتباع سبيل واحد هو صراطه المستقيم ونهى عن اتباع السبل الأخرى التى تفرقت عن سبيله ، فالرسول وصالح المؤمنين يدعون إلى هذا الصراط المستقيم ، والفِرَقُ والشّيع والمذاهب والأحزاب الذين اختلفوا فى الكتاب ، وتفرقوا عن الصواب ، يدعون الى سبل متفرقة ، كل منهم معجب بخطته ، ويدعو الى طريقته قال تعالى فيهم ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين** ﴾[3]

خير الأمور الوسط ، لاغلوّ فيها ولاشطط ، والمؤمنون هم أوسط الناس وهم خير الناس قال تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾[4] وقال تعالى ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[5]

(١) الأنعام (١٥٣)

(٢) يوسف (١٠٨) (٣) المؤمنون (٥٣ - ٥٤)

(٤) البقرة (١٤٣) (٥) آل عمران (١١٠)

فالمعتصمون بالكتاب والسنة وحدهما هم أصحاب الصراط المستقيم ، لما اعتصموا بالله هداهم صراطه المستقيم ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هُدى الى صراط مستقيم** ﴾[1] أما المعتصمون بشرائع الوضاعين ، وتفانين المصنفين ، المعتصمون بالشرنبلاليه والخانية والوهبانية والمجتبى وزيلعى وقهستانى وجوهرة ونهر وبحر ومحيط ، وأسفار من جنس ذلك ، هم فى متاهة الضياع والتفريط يستنبطون منها الأحكام ويَردّون اليها الشرائع ، فهؤلاء فى غمرة ساهون ، وفى غيّهم يعمهون ، هؤلاء قد دلجوا فى ظلام حالك ، وتفرقت بهم المسالك ولايهلك على الله إلا هالك .

تخاصم أهل النار .

أجل يوم القيامة لأنساب ولأحزاب ولأصحاب ، قد تقّطعت بهم الأسباب من كانت حجته دفاعاً عن خطيئته مظاهرة الأنساب أو مؤازرة الأصحاب أو متابعة الأحزاب فحجته سراب ، وهو فى تباب .

قال تعالى فى الأنساب ﴿ **فأذا نُفخ فى الصور فلا أنْساب بينهم يومئذ ولايتساءلون** ﴾[2] وقال تعالى فى الأحزاب ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين** ﴾[3] وقال تعالى فى الأصحاب ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين** ﴾[4]

فالاعتداد بالمذاهب والأحزاب ، والاغترار بالأنساب والأصحاب كل ذلك يتلاشى يوم الحساب ويستحيل حسر

(١) ال عمران (١٠١) (٢) المؤمنون (١٠١)
(٣) المؤمنون (٥٣ - ٥٤) (٤) الزخرف (٦٧)

وندامة ، الاحبار وعُباد الأحبار يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة ويَلعن بعضهم بعضاً ، ويكفر بعضهم ببعض ، ويسألون ٱللّٰه مضاعفة العذاب لبعضهم البعض ويتهم كُلُّ فريق الآخر أنه هو السبب فى الضلال والنكال ، يندمون على مافات وتذهب أنفسهم حسرات ، يوم لارجعة ولا إفلات .

قال تعالى ﴿ **فزيّلنا بينهم وقال شركاؤهم ماكنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى ٱللّٰه مولاهم الحق وضل عنهم ماكانوا يفترون** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبعوا لو أنَّ لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم ٱللّٰه أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار** ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ **يوم تُقلّب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا ٱللّٰه وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً** ﴾[3]

وقال تعالى ﴿ **مودّة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار ومالكم من ناصرين** ﴾[4]

وقال تعالى ﴿ **حتى إذا ادّاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتِهِمْ عذاباً ضعفا من النار قال**

(١) يونس (٢٨ - ٣٠) (٢) البقرة (١٦٦ - ١٦٧)
(٣) الأحزاب (٦٦ - ٦٨) (٤) العنكبوت (٢٥)

لكل ضعف ولكن لاتعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾[1]

فهذه صور شتى من تخاصم أهل النار ، وأمثال ذلك فى القرآن العظيم كثير ، يقطع عن التابعين والمتبوعين جميع العلل ، ولايدع لعُباد المذاهب أدنى أمل .

فيا عُبّاد المذاهب والأحبار ، قد حذركم ٱللّٰه دار البوار وأسمعكم تخاصم أهل النار ، فأنقذوا أنفسكم قبل أن ينقلب الحوار الى جؤار ﴿ **ففرّوا إلى ٱللّٰه إلى لكم منه نذير مبين ، ولاتجعلوا مع ٱللّٰه إِلَهاً آخر إنى لكم منه نذير مبين** ﴾[2]

ياعُباد المذاهب والأحبار ، أحباركم اليوم أعداؤكم غداً .

ياعُباد المذاهب والأحبار لايشرعن لكم حبر من الأحبار ، الشرع كله لله الواحد القهار .

الدرك الأسفل .

إن من أعجب ضحايا الضلال ، أنك تجد الرجل الرّشيد المتدين مُكبا على وجهه فى عماية المذهب ، يسمع ويُطيع لكل مايلُقى إليه ، من حكم فاسد ، وقول ضالّ مخالف للكتاب والسنّة ، لايكلف نفسه حتى مؤونة السؤال عن الدليل ، نصا من محكم التنزيل او حديثا صحيحاً من قول الرسول . بل استسلم للتضليل ورضى أن يكون إمَّعَةً من التابعين ، ووليا للمذهب فى زمرةُ العابدين هذا هو الضلال المبين .

(١) الأعراف (٣٨ - ٣٩) (٢) الذاريات (٥٠ - ٥١)

يسمع أمثلة اختلافاتهم فى الكتاب ويسمع قول ٱلله إنَّ الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ، وتُتْلى عليه آيات الوعيد الشديد فيغمض عينيه ، ويُصم أذنيه ، ويَظَل عاكفاً على الخلاف الشديد والشقاق البعيد ! ! ! ماكنت أتصور أن يستحيل الرجل الرشيد إلى خصم لنفسه عنيد .

ليس فى الضلالات أحط من تلْك الدركات ، قال تعالى ﴿ **من أضل ممن هو فى شقاق بعيد** ﴾[1] وليس فى تنطع العقول أسفل من هذا الدرك قال ﷺ [**هلك المتنطعون**] قالها ثلاثا

باب (لاعصمة لأحد دون رسول ٱلله)

اثبات عصمة الرسول .

رسول ٱلله ﷺ كسائر الرسل من قبله ، هو وحده المعصوم من الخطأ فى كل مايُبلغ عن ربه قال تعالى ﴿ **والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى ، ومايَنطقُ عن الهوى إن هو إلا وحىٌ يوحى علّمه شديدا القوى** ﴾[2] أقسم رب العرش العظيم لينفى عن رسوله الضلال والغىّ والنطق عن الهوى ، نفى عنه كل ذلك وأثبت أن كل مايقوله فى الدين ، هو بوحى من رب العالمين ، وبذلك نفى عنه كل خطأ أو ضلال وأثبت له الحق والهدى والصواب والرشد ، وتلك هى الذروة فى العصمة والنهاية فى الكمال .

(١) فصلت (٥٢) (٢) النجم (١ - ٥)

وقال تعالى ﴿ **ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾[1] اثبت ٱلله تعالى استحالة أن يقول رسوله عليه مالم يقل وإلا لفَعل به كذا وكذا ، وليس أقطع من هذا البيان الآلهى فى عصمة رسول ٱلله ﷺ وفى استحالة إدخال أدنى زائدة فى شرائع الدين ، وأن كل مايقوله فى الدين هو الحق المطلق الذى لايشوبه أدنى خطأ وقال تعالى ﴿ **وإن تُطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾[2] أثبت ٱلله تعالى الهدى فى طاعة الرسول ، ولو كان فيما يقوله فى الدين أدنى خطأ ، لما كان فى طاعته هدى ، لأن اتباع الخطأ ليس بهدى وقال تعالى ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع ٱلله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾[3] جعل ٱلله تعالى طاعة رسوله من طاعته ، ومن يطع ٱلله فهو معصوم من الخطأ قطعاً فى الأمر الذى أطاع فيه وقال تعالى ﴿ **وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾[4] ومن المستحيل أن يأمر ٱلله عز وجل باتباع الخطأ ، فهذا قاطع فى عصمته ﷺ من أى خطأ فثبتت بذلك العصمة الكاملة لرسول ٱلله ﷺ فى كل مايبلغ عن ربه .

نفى العصمة عن غير الرسول .

قال ﷺ [**كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون**][5] فهذا إثبات الخطأ لكل بنى آدم بلا استثناء ، واثبات الخطأ هو نفى العصمة بالضرورة وقال تعالى ﴿ **وليس عليكم جناح**

(١) الحاقة (٤٤ - ٤٧) (٢) النور (٥٤)
(٣) النساء (٨٠) (٤) الحشر (٧)
(٥) الترمذى قيامه (٤٩) وابن ماجة زهد (٣٠)

فيما أخطأتم به ولكن ما تعمّدت قلوبكم وكان آلله غفوراً رحيماً ﴾[1] فهذا إثبات للخطأ كصفة لازمة لبنى آدم رفع آلله الجناح عنها برحمته ومغفرته وقال تعالى ﴿ **ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾[2] فهذا اثبات للخطأ والنسيان كصفات فطْرية فى الانسان لقّننا آلله تعالى صيغة الاستغفار والاسترحام منها لكى يغفر لنا ويرحمنا وقال ﷺ [**ان آلله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه**][3]

فثبت من كل ذلك انعدام العصمة من الخطأ عن غير رسول آلله ﷺ.

حتمية الاعتصام بالكتاب والسنّة وحدهما.

فاذا كانت العصمة فى أمور الدين قد ثبتت ثبوتاً قاطعاً لرسول آلله ﷺ وحده دون سواه ، واذا كان انعدام العصمة من الخطأ قد ثبت ثبوتا قاطعا لكل إنسان آخر دون رسول آلله ﷺ ، فقد أصبح فرضا لازماً وحتما واجباً على كل مسلم ينشد الهدى ، ويلتمس الرشاد ألا يتبع فى دينه إلا ماجاء على لسان النبّى الكريم المبلغ عن ربه ، سواء كان ذلك من القرآن الكريم الذى نزّل آلله على قلبه ، أو كان من الأحاديث المتيقنة الصحة ، لأنه ﷺ لايتحدث بها من عند نفسه ، ولكن بوحى يُوحى اليه من ربه فهذا هو الاعتصام الحق بالله ، هذا هو الطريق الوحيد للهدى الذى لايُخالطه ضلال لأن القرآن منّزل من عند آلله ، والحديث بوحى من

(١) الاحزاب (٥) (٢) البقرة (٢٨٦)
(٣) ابن ماجة طلاق (١٦)

آللهِ ، فالكل من عند آللهِ ، وبذا يكون الاعتصام بالكتاب والسنة وحدهما هو عين الاعتصام بالله الذى أراده آللهُ تعالى بقوله ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هُدِى الى صراط مستقيم** ﴾[1]

وكذلك أصبح لزاما وحتْماً محتوماً على كل مسلم يريد أن يَسلَم من الباطل وينجو من الضلال ألا يتبع فى دينه قول أو فعل أى إنسان آخر غير رسول آللهِ ﷺ كائناً مَنْ كان ذلك الأنسان ، ولو طارت بذكره الآفاق ، ولو تمدّح الناس بعلمه بالعشى والأشراق ، فانما هو بشر يَعتريه الوهم والسهو والخطأ والنسيان ، ولاينبغى فى شرائع الدين وهم ولا خطأ ولانسيان ، الدين هو الحق ، والخطأ هو الضلال قال تعالى ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون** ﴾[2]

مراتب الكمال .

الفَضل درجات ، أعلاها فى البشر هى للأنبياء والرسل عليهم السلام ومن دونها درجات الصديقين والشهداء والصالحين ، وكلها فى الذروة من السمو ، ومما لاشك فيه أن أفضل الناس بعد الأنبياء هم أصحاب رسول آللهِ ﷺ من المهاجرين والأنصار قال ﷺ [**خير القرون قرنى ثم الذى يلى ثم الذى يلى**][3] ومع ذلك لم تمنعهم تلك المكانة العالية من الخطأ فى الدين عنْدما يتكلمون برأى أنفسهم دون النّصُوص ، ومن البديهى أنه لايحل اتباع الشرائع الخاطئة ، كائنا من كان قائلها حتى ولو كانوا من الصحابة رضوان آللهِ عليهم .

(١) آل عمران (١٠١)   (٢) يونس (٣٢)
(٣) فح (٢٦٥٢)

ربما توهم الجهال قليلو العلم بالدين من العوام أو الخواص ، استحالة خطأ الصحابة فى الدين ، وهذا جهل مطبق يفضى بالضرورة إلى ضلال بعيد إذ أنه يؤدى إلى اتباع الأخطاء فى الدين ، استنادا إلى صدورها من الصحابة الأكرمين .

فلكى نزيل هذه الغشاوة عن أعين الكثيرين ، سنسوق فيما يلى طائفة من أخطاء الصحابة رضوان ٱلله عليهم فى بعض شرائع الدين وليس بضائرهم صدور بعض تلْك الأخطَاء عنهم لأنهم بشر غيْر معصومين ، ليس الخطأ بنائل شيْئاً من مكانتهم العالية ، ولاهو بموجب عليهم ذنباً أو إثماً ، إذ قد سبقت لهم الحسنى من رب العالمين قال تعالى ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مُبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون** ﴾[1] وهؤلاء ذنوبهم السابقة واللاحقة مغفورة لأنهم بدريون ، ولقد قال رسول ٱلله ﷺ [**لعل ٱلله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة**][2] ثم إن رضوان ٱلله تعالى قد تنزل عليهم يوم بيعة الرضوان فلا يغادرهم أبدا قال تعالى ﴿ **لقد رضى ٱلله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا** ﴾[3]

ولكن ليس معنى ذلك أنهم لايُخطئون ، ولا أن الخطأ فى

(١) الانبياء (١٠١ - ١٠٣) (٢) فح (٣٩٨٣)
(٣) الفتح (١٨)

شرائع الدين يعمل به إذا قاله الصحابى ، فلا يذهبن متنطع جاهل إلى تقرير العصمة فى الدين لغير الأنبياء ، أو إلى جواز العمل فى الدين بالأخطاء ، لمجرد صدورها من العظماء .

والأخطاء التى نسوقها فى البابين ٥ ، ٦ ليست للتشهير بأى حال من الأحوال ، بل ولاينبغى أن يفهم منها أدنى نقص فى محبة وإجلال أصحاب رسول ٱلله ﷺ ، لكن المقصد الأسمى من سوق تلك الأخطاء إنما هو ترسيخ هاتين القاعدتين العتيدتين فى صرح الفقه الأسلامى ، وتمكين ذلك الحق الشامخ فى نفوس المسلمين وهما :

أولا : لاحجة فى الدين فى قول أو فعل أحد كائناً من كان دون رسول ٱلله ﷺ .

ثانيا : المصدران الواحيدان لجميع شرائع الأسلام هما الكتاب والسنّة وحدهما دون سواهما .

وإنما سقنا الحديث عن مراتب الكمال لكى نؤكد مرة أخرى أنه لاعصمة من الخطأ فى الدين لأحد غير الرسل حتى ولو بلغ ذروة الكمال التالية للرسل فالذين يزعمون العصمة للمذاهب والأحزاب إنما يحثون على رؤوسهم التراب ، لاهم بلغوا العتاب ، ولاهم سلموا من العذاب .

الباب الخامس

(طائفة من الأخطاء)

١ -أخطأ عمر وعثمان فى النهى عن التمتع بالعمرة مع الحج .

رغم أن الله تعالى قد فرضها فى القرآن الكريم ، ورغم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر بها أمراً جازماً لازماً إلى يوم القيامة ، وقد عارضهما فى ذلك من الصحابة كلّ من على ابن أبى طالب وابن عباس وأبى موسى الأشعرى وعمران ابن حصين وجابر ابن عبد الله ، فهذا نهى باطل وخاطىء لاشك فيه لايعمل به ولايُحتج به قال تعالى : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾[1]

وروى البخارى فى صحيحه عن جابر إبن عبد الله قال :

[أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم ساق البُدْن معه وقد أهَلُّوا بالحج مفرداً فقال لهم أَحِلوا من إحرامكم بطواف البيت وبين الصفا والمروة وقصروا ثم أقيموا حلالاً حتى اذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج واجعلوا التى قدمتم بها متعة فقالوا كيف نجعلها متعة وقد سمّينا الحج ! فقال إفعلوا ماأمرتكم ولولا أنى سقُت الهدىَ لفعلت مثل الذى أمرتكم ولكن لايحل منى حرام حتى يبلغ الهدى مَحِلَّه ففعلوا)[2]

(١) البقرة (١٩٦) (٢) فح (١٥٦٨)

وروى مسلم فى صحيحه عن جابر ابن عبد آللّه قال : (**قال رسول آللّه ﷺ قد علمتم أنى أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هدبى لحللت كما تحلون ولو استقبلتُ من أمرىَ مااستدبرت لم أسق الهَدْىَ فحِلوا فحللنا وسمعنا وأطعنا**)[1]

وروى مسلم عن سراقة ابن مالك ابن جعشم فى حديث جابر ابن عبد آللّه الطويل عن حجة النبى ﷺ فى العام العاشر من الهجرة (.... **حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : لو أنى استقبلتُ من أمرى مااستدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هَدْىٌ فليحلَّ وليجعلها عمرة فقام سراقة ابن مالك ابن جعشم فقال يارسول آللّه ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبَّك رسول آللّه ﷺ أصابعه واحدةً فى الأخرى وقال دخلت العمرة فى الحج « مرتين » لا بل لأبد أبد**)[2]

وروى مسلم عن جابر بن عبد آللّه قال : (**أمرنا النبى ﷺ أن نحل قال أحلوا وأصيبوا النساء فقلنا لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نُفضى إلى نسائنا فنأتى عرفة تقطر مَذَاكِيرُنا المنى يقول جابر بيده يُحركها فقام النبى ﷺ فقال قد علمتم أنى أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هدْيى لحللتُ كما تحلون ولو استقبلتُ من أمرى مااستدبرت لم أسق الهدى فحلّوا فحللنا وسمعنا وأطعنا**)[3]

فهذه أوامر حاسمة جازمة من القرآن الكريم ومن كلام النبى ﷺ بوجوب العمرة مع الحج لأبد أبد واستمع بعد ذلك إلى

(١) مسلم (٤ - ٣٧)

(٢) مسلم (٤ - ٤٠)

(٣) مسلم (٤ - ٣٧)

النهى الخاطىء عن جمع العمرة مع الحج .

روى مسلم فى صحيحه أن أبا موسى الأشعرى كان يفتى بالمتعة فقال رجل رويدك ببعض فتياك فأنك لاتدرى ماأحدث أمير المؤمنين فى النسك بعد حتى لقيه بعد فسأله فقال عمر **(قد علمت أن النبى ﷺ قد فعله وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا معرسين بهن فى الأراك ثم يروحون فى الحج)**[1]

وروى مسلم عن مطرف قال ..قال لى عمران إبن حصين **(إنى لأحدثك الحديث اليوم فينفعك آلله به بعد اليوم واعلم أن رسول آلله ﷺ قد أعمر طائفة من أهله فى العشر فلم تنزل آية تنسخ ذلك ولم ينه عنه حتى مضى لوجهه ارتأى رجل برأيه ماشاء يعنى عمر)**[2]

وروى مسلم عن عمران إبن حصين قال : **(نزلت آية المتعة فى كتاب آلله « يعنى متعة الحج » وأمرنا بها رسول آلله ﷺ لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول آلله ﷺ حتى مات قال رجل بَعْدُ برأيه ماشاء)**[3]

وروى مسلم عن سعيد ابن المسيب قال **(احتج على وعثمان بعسفان فكان عثمان يَنْهَى عن المتعة فى العمرة فقال على ماتريد إلى أمر فعله رسول آلله تَنْهَى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال إنى لاأستطيع أن أدعك فلما أن رأى علىٌ ذلك أهلَّ بهما جميعا)**[4]

(١) مسلم (٤ – ٤٥) (٢) مسلم (٤ – ٤٧)
(٣) مسلم (٤ – ٤٩) (٤) مسلم (٤ – ٤٦)

وروى البخارى فى صحيحه عن مروان ابن الحكم قال : (**شهدت عثمان وعلياً رضى ٱللّٰه عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينها فلما رأى علىّ أهلَّ بهما لبيك بعمرة وحج قال ماكنت لأدع سنة النبى لقول أحد**)[1]

وروى البخارى فى صحيحه عن نصر ابن عمران قال : (**تمتعت فنهانى ناس فسألت إبن عباس فأمرنى فرأيت فى المنام كأن رجلا يقول لى حج مبرور وعمرة متقبلة**)[2]

فها هنا نهى عمر وعثمان عن التمتع بالعمرة إلى الحج بمحض رأيهما على خلاف القرآن الكريم وخلاف أمر النبى ﷺ الحاسم الجازم فى الصحيحين من رواية الصحابة الذين ذكرنا وخالفهما على ابن أبى طالب وابن عباس وأبو موسى الأشعرى وعمران إبن حصين وجابر ابن عبد الله وآخرون فاعتذار عمر عن مخالفة أمر اللّٰه وأمر رسوله بأنه كره أن يظلوا معرسين بهن فى الأراك ثم يروحون فى الحج هذا عذر غير جائز لأنه ماكان ينبغى له أن يكره شيئاً أحلّه ٱللّٰه وأمر به رسوله قال (**واصيبوا النساء**) وقد سبقه إلى هذا العذر غير المقبول نفر من الصحابة قالوا : (**نأتى عرفة تقطر مذاكيرنا المنى**) ولئن ظن المعتذرون أن الأمساك عن الحلال عفة فرسول ٱللّٰه ﷺ أعفَّ وأطهر من الناس جميعا ولقد زجرهم النبى ﷺ عن هذا العذر غير اللائق بأصدق رد قال : (**قد علمتم أنى أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ففعلوا وسمعوا وأطاعوا**) فهذا نهى خاطىء بكل تأكيد لايعمل به ولايحتج به .

(١) فح (١٥٦٣)   (٢) فح (١٥٦٧)

٢ - أخطأ على إبن أبى طالب وإبن عمر فى النهى عن لحوم الأضاحى بعد ثلاث .

إذ لم تبلغهما الاباحة بعد النهى فهذا نهى خاطىء دون شك لايعمل به ولايحتج به بل الحكم هو الاباحة .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى عبيد مولى أزهر أنه شهد العيد مع عمر ابن الخطاب قال ثم صليت مع على ابن ابى طالب قال فصلى لنا قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال : (**إن رسول الله ﷺ قد نهاكم أن تأكلوا لحم نسككم فوق ثلاث ليال فلا تأكلوا**)

وروى مسلم عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : (**لايأكل أحدٌ من لحم أضحيته فوق ثلاثة أيام قال سالم فكان ابن عمر لايأكل لحوم الأضاحى فوق ثلاث**)[٢]

وروى البخارى فى صحيحه(**خطب على ابن أبى طالب الناس فقال إن رسول الله ﷺ نهاكم أن تأكلوا لحوم نسككم فوق ثلاث**)[٣]

فهذا أمير المؤمنين على إبن أبى طالب وعبد الله إبن عمر رضى الله عنهم بعد قرابة ثلاثين عاماً من وفاة النبى ﷺ ينهون الناس عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث إذ قد بلغهم النهى ولم تبلغهم الإباحة كما فى الأحاديث التالية .

(١) مسلم (٦ - ٧٩)
(٢) مسلم (٦ - ٨)
(٣) فح (٥٥٧٣)

روى البخارى فى صحيحه عن سلمه ابن الأكوع قال .. قال النبى ﷺ (**من ضحى منكم فلا يُصبحن بعد ثالثة وبقى فى بيته منه شيئاً فلما كانوا العام المقبل قالوا يارسول آلله نفعل كما فعلنا العام الماضى قال كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذاك العام كان بالناس جهدٌ فأردت أن تُعينوا فيها**)[1]

وروى فى صحيحه عن عبد الرحمن عن إبن عابس عن أبيه (**قلت لعائشة أنهى النبى ﷺ أن تؤكل لحوم الأضاحى فوق ثلاث ؟ قالت مافعله إلا فى عام جاع الناس فيه فأراد أن يطعم الغنى الفقير وإن كنا لنرفع الكراع ونأكله بعد خمسة عشرة**)[2]

وروى مسلم فى صحيحه عن عَمْرَةَ فقال سمعت عائشة تقول (**دَفَّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول آلله ﷺ فقال ﷺ ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا مابقى فلما كان بعد ذلك قالوا يارسول آلله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويجملون منها الودك فقال رسول آلله ﷺ وماذاك ؟ ! قالوا نهيتنا أن تؤكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث فقال إنما نهيتكم من أجل الدافة التى دَفّت فكلوا وادخروا وتصدقوا**)[3]

(١) فح (٥٥٦٩) (٢) فح (٥٤٢٣)
(٣) مسلم (٦ - ٨٠)

فنهى على إبن ابى طالب وإبن عمر رضى ٱلله عنهم عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث هو نهى خاطىء بكل تأكيد إذ لم تبلغهما الاباحة بعد النهى فلا يُعمل بالنهى ولايحتج به .

٣ - وأخطأ إبن عباس فى الحكم أن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها هو أبعد الأجلين .

أى أربعة أشهر وعشرا أو وضع حملها أيهما أبعد وذلك حكمٌ برأيه مخالف للنص فى القرآن الكريم ورده إلى الصواب كل من أم سلمة أم المؤمنين وأبو هريرة وعبد ٱلله ابن مسعود والصواب هو أن أجلها (أى إنقضاء عدتها) هو أن تضع حملها قرب ذلك أو بعُد كما نبين ذلك فى النصوص القطعية الثبوت التالية :

روى البخارى فى صحيحه قال أخبرنى أبو سلمة قال : (**جاء رجل إلى إبن عباس وأبو هريرة جالس عنده فقال أفتنى فى أمرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الأجلين قلت « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن »[1] قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي يعنى أبا سلمة فارسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها فقلت قتل زوج سبيعة الأسلمية وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول ٱلله ﷺ كان أبو السنابل فيمن خطبها**)[2]

(١) الطلاق (٤) (٢) فح (٤٩٠٩)

وروى فى صحيحه عن محمد إبن سيرين قال لقيت أبا عطية مالك ابن عامر فسألته فذهب يحدثنى حديث سبيعة فقال هل سمعت عن عبد ٱلله فيها شيئاً وقال كنا عند عبد ٱلله فقال أتجعلون عليها التغليظ ولاتجعلون لها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى (**وأولات الأجمال أجهلهن أن يضعن حملهن**)[1]

فهذه الفتوى من ابن عباس هى حكم خاطىء بكل تأكيد لايُعمل بها ولا يُحْتَجَّ بها الحكم للنص دون الرأى .

٤ - وأخطأ أبو هريرة فى النهى عن صوم رمضان لمن أدركه الفجر جُنُبا .

وهذا حكم بالرأى خاطىء فردَّه إلى الصواب كل من أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة كما يتبين من الأحاديث التالية .

روى مسلم عن أبى بكر ابن عبد الرحمن قال سمعتُ أبا هريرة يقول (**من أدركه الفجر جنباً فلا يصُم**)[2]

وروى مسلم عن عائشة قالت (**كان رسول ٱلله ﷺ يدركه الفجر فى رمضان وهو جنب من غير حُلم فيغتسل ويصوم**)[3]

(١) الطلاق (٤)
(٢) فح (٤٩١٠)
(٣) مسلم (٣ - ١٣٦)

وروى مسلم عن أم سلمة قالت (**كان رسول آلله ﷺ يُصبح جنباً من جماع لامن حُلم ثم لايفطر ولايقضى**)[1]

فنهى أبى هريرة عن الصوم لمن أدركه الفجر جُنُباً هو حكم بالرأى خاطىء لمعارضته النصوص القطعية الثبوت فلا يُعمل به ولايُحتج به .

٥ – وأخطأ أبو ذر فى حكمه أن متعة الحج ومتعة النساء لاتصلح إلا للصحابة فقط .

وذلك لمعارضته للنصوص القطعية الثبوت فى القرآن وفى السنة أما متعة الحج (أى متعة العمرة مع الحج) فقد أوجبها القرآن الكريم والأحاديث (فى الصحيحين وغيرهما) على جميع الحجاج إلى يوم القيامة فهى ليست صالحة لجميع الناس فحسب بل هى واجبة وجوباً قال ﷺ (**دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة لأبد أبد**)[2]

وأما متعة النساء فهى محرمة على جميع الناس (الصحابة وغير الصحابة) إلى يوم القيامة لا كما توهم أبو ذر رضى آلله عنه بقوله (لاتصلح إلا لنا خاصة) فقول أبى ذر عن متعة النساء (إنها لاتصلح إلا لنا خاصة) هو خطأ شديد قد أحل حراماً شديد لتحريم وهو لايشعر وقوله عن متعة الحج هى لنا خاصة هو تخصيص خاطىء على خلاف النصوص بل هى واجبة على كل حاج كما أسلفنا فقوله لايحتج به ولايُعمل به .

(١) مسلم (٣ – ١٣٨) (٢) مسلم (٤ – ٤٠)

روى مسلم عن أبى ذز قال (**لاتصلح المتعتان إلا لنا خاصة يعنى متعة النساء ومتعة الحج**) [1]

روى البخارى فى صحيحه عن محمد ابن الحنفية أن علياً رضى آلله عنه قال لابن عباس (**أن النبى ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر**) [2]

وروى مسلم عن سبرة ابن معبد الجهنى قال(**إنه كان مع رسول آلله ﷺ فقال أيها الناس إنى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن آلله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيئاً فليخَلِّ سبيله ولاتأخذوا مما آتيتموهن شيئاً**) [3]

فحكم أبى ذر فى متعة النساء ومتعة الحج هو حكم خاطىء لايحتج به ولايُعمل به .

٦ - وأخطأ إبن مسعود فى حكمه بجعل المأمُومَيْنِ عن يمين الامام ويساره .

وذلك لمخالفة النصوص القطعية الثبوت التى تقضى بجعلهما خلف الامام كما سيأتى .

روى مسلم عن علقمة والأسود أنهما دخلا على عبد آلله بن مسعود قال (**فقوموا فصلوا فجعل أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله**) [4]

(١) مسلم (٤ - ٤٦) (٢) فح (٥١١٥)
(٣) مسلم (٤ - ١٣٢) (٤) مسلم (٢ - ٦٨)

وروى البخارى فى صحيحه عن أنس ابن مالك قال (**صليت أنا ويتيم فى بيتنا خلف النبى ﷺ وأمى – أم سُلَيْم – خلفنا**)[1]

ففعل ابن مسعود بِجَعْلِ المأمومين عن يمين الإمام وشماله هو فعل خاطىء لايحتج به ولايعمل به .

٧ – أخطأ أنس ابن مالك فى قوله إن رسول الله ﷺ طرح خاتما من فضة .

هذا وهم خاطىء منه توهم أن النبى ﷺ قد حرّم خواتيم الفضة على الرجال وهذا خطأ بل الصواب فى القصه هو أنه طرح خاتما له من ذهب كان اتخذه فطرح الناس خواتيم الذهب ثم الأحاديث متواترة فى تحريم لبس الذهب على الرجال لا لبس الفضة فهذا حكم خاطىء لايحتج به ولايُعمل به .

روى البخارى فى صحيحه عن أنس ابن مالك (أنه رأى فى يد رسول الله ﷺ خاتما من وَرِقٍ يوما واحداً ثم إن الناس اصطنعوا خواتيم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله ﷺ خاتمه فطرح الناس خواتيمهم)[2]

وروى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر (**أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصّه مما يلى كفه فاتخذه الناس فرمى به واتخذ خاتما من وَرِق أو فضة**)[3]

(١) فح (٧٢٧) (٢) فح (٥٨٦٨)
(٣) فح (٥٨٦٥)

وروى مسلم عن ابن عمر (**أن رسول ٱللهِ ﷺ اصطنع خاتما من ذهب فكان يجعل فصّه فى باطن كفه إذا لبسه فصنع الناس ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال إنى كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصّه من داخل فرمى به ثم قال وٱللهِ لا ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتيمهم**)[1]

فالفتوى بتحريم خواتيم الفضة على الرجال هى فتوى باطلة مبنية على وهم خاطىء فلايُعمل بها ولايحتج بها .

* * *

هذه نماذج رمزية لأخطاء بعض الصحابة رضوان ٱللهِ عليهم ليست للاحاطة أو الاحصاء إنما هى كلمة من خطاب ، وصفحة من كتاب ، ذكرى لأولى الألباب ، الذين تغنيهم الاشارة عن الاطناب ، إنما أردنا أن نثبت أنه لاعصمة لأحد من الأخطاء دون الرُسل والأنبياء فيما يبلغون عن ربهم عز وجل وإنه من أجل ذلك يصير من الحماقة والضلال أخذ أى شرعة من شرائع الأديان عن غير الرسل والأنبياء .

فالصحابة وهم أفضل الناس بعد الرسل والأنبياء ليس قولهم ولا فعلهم حجة فى الدين لأنهم يخطئون كما يخطىء غيرهم كما أثبتنا آنفا والدين لايؤخذ من أى مصدر يحتمل الخطأ ، كل حكم أو شرع يحتمل الخطأ إنما هو ظنين ، والدين هو عين اليقين ، فلا

(١) مسلم (٦ - ١٤٩)

حجة فى قول أو فعل أحد كائناً من كان دون رسول الله ﷺ .

أما من دون الصحابة من التابعين وسائر الأئمة وفقهاء المسلمين فهؤلاء أخطاؤهم فى الدين فاشية فشوا ذريعاً لاتكاد تمر مسألة من مسائل الدين إلا ولهم فيها تناقضات وإختلافات تصل إلى حد تحليل الحرام أو تحريم الحلال أو شرع مالم يأذن به الله أو ابتداع مالم يفعله رسول الله ﷺ ، ونحن نسرد فيما يلى أمثلة من تلك التناقضات والاختلافات التى لاحصر لها لكى يستيقن كل ذى عقل وبصيرة استحالة أخذ الدين من أقوال المذاهب والفقهاء برأى أنفسهم دون النصوص القطعية الثبوت من الكتاب والسنة .

جميع أقوال الناس فى الدين بالرأى كائنا من كان قائلها انما هى ضلال وخبال ومهلكة يتحتم نبذها ، لامصدر للشرع الإسلامى غير كلام الله وكلام رسوله فقط وكل ماعدا ذلك فهو غثاء يذهب جفاء ، إنما الأئمة والفقهاء معلمون فقط وليسوا مشرعين بأى حال من الأحوال أنجعلهم لله أنداداً ؟ ! ! أنتخذهم أرباباً من دون الله ؟ ! ! .

الباب السادس

(اختلافات المذاهب والفقهاء)

لقد سبق الخبر بوقوع الإختلافات فى الكتاب وتغيير شرائع الدين ورفع العلم وظهور الجهل (علم الدين والجهل بالدين) وانقراض الصالحين وسيادة الأرذلين كل ذلك قد وقع رأيناه ورآه الذين من قبلنا غير أن الشر فى إزدياد مستمر لايأتى زمان إلا والذى بعده أشر منه،أمر الدين فى أفولٍ وتدهور وأمر الدنيا فى ظهور وتطوّر والناس فرحون بعلوم الدنيا وماتضفيه عليهم من ترف ومتاع وإباحية .. وهم معرضون عن علوم الدين ينعتونها بالتخلف والجمود والرجعية كذلك فعل الذين من قبلهم قال تعالى : ﴿ **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون** ﴾[1]

واختلافات المذاهب والفقهاء قديمة جداً بدأت بعد قرنين من وفاة النبى ﷺ ومازالت تتزايد وتطمس معالم الدين الحق حتى إختفت الشرائع المنزلة أو كادت ولم يبق من الدين إلا بعض الرسوم البالية والصور المزيفة النابية ولم يقتصر الشر على اختلافات المذاهب والفقهاء بل قد تجاسر على شرائع الدين الوضاعون من غير الفقهاء بل عتا الشر فوق ذلك حتى لعبت بشرائع الدين النسّاء لاجَرَم أنه قد طّم فى الأرض البلاء .

(١) ظافر (٨٣)

لايستطيع الباحث أن يُحصى إختلافات الفقهاء فى شرائع الدين لكثرتها ولذلك فإن كل مانذكره هنا لايعدو أن يكون قطرة من لُجة نُظهر بها الحق ونُقِيمُ الحجة وفى دواويننا مزيد لمستزيد وفيما يلى أمثلة من تلك الاختلافات .

١ -ألفاظ الطلاق راجع ديوان الطلاق باب (صيغة الطلاق)

أ -**لفظ** (**أنت علىَّ حرام**) من قال لأمرأته ذلك ماحكم المذاهب والفقهاء ؟ ! قال مالك : هذا طلاق ثلاث وامرأته محرمة عليه حتى تنكح زوجاً غيره وقال أحمد ابن حنبل : هذا ظهار عليه كفارة ظهار وقال ابن حزم : هذا لاشيىء وإمرأته حلاله كما كانت وقال الشافعى وأبو حنيفة : هو نيته إن كان نوى بها طلاقاً فهو طلاق وإن كان نوى يميناً فهو يمين وإن كان لم ينو شيئاً فهو لغو ولاشيىء عليه فانظر إلى الخلاف الهائل بين تحريم فاصل وتحليلٍ كامل وبين ظهار بكفارته أو يمين بكفارته وبين تفويض الأمر لنيته ! ! !

الصواب هنا الحكم الرابع (هو نيته) لمطابقته النص الثابت [إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل إمرىء مانوى] فالأحكام الثلاثة الأولى باطلة يتحتم نبذها هى أحكام بالرأى مخالفة للنص .

فيا عباد المذاهب ان كان فى تلك الأحكام المتناقضة حكمٌ صائب فالباقى كلهم حتما باطل فكيف تتبعون فى دينكم

الباطل ؟ ! لمجرد أنَّ مذهبكم قضى بذلك الباطل إن هذا لمن أغرب الغرائب أهدْىُ ٱللهُ ورسوله أحّب إليكم أم شقاق المذاهب ؟ ! لاجرم أن المختلفين فى الكتاب لفى عذاب واصب .

ب -**لفظ انت منى بائن ماحكم من قال ذلك لأمرأته ؟**

قال الأوزاعي : هذا طلاق ثلاث وامرأته عليه حرام حتى تنكح زوجاً غيره

وقال مالك : هو طلاق ثلاث فى المدخول بها وتطليقه واحدة فى غيرالمدخول بها

وقال اسحاق : هو طلقة واحدة

وقال النخعى : هو طلقة واحدة بائنة

وقال ابن حزم : هو لاطلاق

وقال الشافعى وأبو حنيفة : هو نيته

جـ - **لفظ أنتِ البتَّه** .

قال الزهرى : هو طلاق ثلاث

وقال مالك : هو طلاق ثلاث للمدخول بها وطلقة واحدة لغير المدخول بها

وقال ابن حزم : هو لاطلاق

وقال أبو حنيفة : هو نيتِّه

هناك بضعة وعشرون لفظاً من ألفاظ الطلاق تشاكست فيها المذاهب والأئمة على هذا النحو فاكتفينا بالأمثلة التى أوردنا والأسماء التى ذكرنا كلّه شغبٌ واحد .

٢ – **عدة المطلقه** .

قال مالك والشافعى : اذا دخلت فى الحيضة الثالثة بانت من زوجها

وقال أبو حنيفة : له الرجعة عليها اذا اغتسلت من الحيضة الثالثة وبقى من أعضائها التى لم تغسل أكثر من قدر الدرهم البغلى فأن اغتسلت بماء شرب منه حمار فلا رجعة له عليها ! ! ! سُؤْر الحمار ملىء بالأسرار ! ! !

وقال الشافعى وأبو حنيفة : عدتها أقراؤها ماكانت، تقاربت أو تباعدت ولو كانت عشر سنين ! ! !

وقال أحمد ومالك : المطلقة المرتفعة الحيض عدتها سنة ! ! !

فيالضيعة الدين من الحكم فيه بآراء الناس وأهوائهم على خلاف النصوص ويا لضيعة المسلمين فى هذا الشقاق البعيد .

٣ – **القذف** (**أى رمى المحصنات بالزنا**)

أ – **رمى الكافرة والأمة والصغيرة والمجنونه والمكرهة** .

قال مالك : لاحدّ فى رْمى الكافرة ويجب الحد فى رْمى الصغيرة أو المجنونة أو المكرهة

وقال الشافعى : لاحدّ فى رْمى الكافرة ولاحدَّ فى رْمى الصغيرة أو المجنونة أو المكرهة

وقال أبو حنيفة : لاحدّ فى رْمى الكافرة ولا فى رْمى الصغيرة أو المجنونة أو المكرهة أو الأمه

وقال ابن حزم : يجب الحدّ فى كل ذلك

جـ - وطء المحرمات بعقد .

أبو حنيفة : من تزوج أُمَّهُ وهو يعلم أنها أُمَّهُ ، أو تزوج ابنته وهو يعلم انها ابنته أو تزوج نساءً وهن تحت أزواجهن عمداً دون طلاق ولا فسخ فلا حدَّ عليه ، ومن وطىء أَمَة أبيه أو أمة ابنه فلا حدَّ عليه ، والبائع يطأ الأمة التي باعها لاحدَّ عليه ، ووطء الأمة بين شريكين لاحدَّ عليه .

احمد ابن حنبل : من وطىء امرأة ابيه بعقد نكاح يُقتل محصنا كان أو غير محصن .

الشافعي : من وطىء امرأة ابيه بعقد نكاح عليه حدّ الزنا .

مالك : وطء المحرمات بملك اليمين (**الأم والبنت والأخت**) عليه حد الزنا ، وباقي المحرمات لاحدّ عليه ولكن يعاقب .

ابن حزم : عليه حدّ الزنا إن كان عالما بالتحريم ، عالما بالسبب المحرم إلا امرأة أبيه فتضرب عنقه بمجرد العقد عليها حتى ولو لم يدخل بها أبوه .

د - **وطء المستأجرة للخدمة .**

أبو حنيفة : المستأجرة للخدمة لاحدّ فى وطئها .

أبو يوسف وأبو ثور وابن حزم ومالك والشافعي : هو زنا كلّه فيه الحدّ .

ابن الماجشون : سنين كثيرة لاحدّ على المخْدوم إذا وطئها .

٦ - **القتل العمد .**

الحنفية : من أخذ حجرا من قنطار فضرب به متعمداً رأس مسلم ، ثم لم يزل يضربه به حتى شدخ رأسه كلَّه فأنه لاقود فيه وليس قتل عمد ، وكذلك لو تعمد ضرب رأسه بعمود غليظ حتى كسره كلّه ويسيل دماغه ويموت ، ولافرق .

المالكية : من ضرب بيده فخد مسلم فمات المضروب إثر الضربة ففيه القود ويُقتل الضارب .

الشافعى : القتل العمد هو الضرب بما يُمات من مثله وفيه القود .

مالك : القود ممن قَتل بحجر أو عصا .

أبو حنيفة : لاقود إلا فيما قَتل بحديدة تقطع أو بليطة قصب أو حرقه بالنار حتى يموت ، ولو خنقه حتى يموت فلا قَودنى ذلك إلا أن يخنق الناس مراراً فَيُقاد منه ، فلو شدخ رأسه عمداً بحجر عظيم حتى يموت أو أغرقه فى ماء بعيد القعر فى نهر أو بحر أو بئر أو بركة حتى مات ، أو ضربهُ بخشبة ضخمة أبداً حتى مات ، أو فتح فمه كرها ورمى فى حلقة رسمًّا قاتلا فمات فلا قود عليه فى شيىء من ذلك ، وانما فيه الدية كدية العمد على العاقله وفى ماله الكفارة كالقتل الخطأ - قال فلو هدم عليه هدما فمات عمداً لذلك فلا شيىء عليه ، إلا أن تقوم بيّنة أنه كان حيًّا حين الهدم ففيه حينئذ الدية والكفارة .

٧ - الجنايات المهدرة .

أ - فقأ عين المطّلع .

المالكية : فقأ عين المطلع فى بيتك فيها القصاص .

الجمهور : لاشىء فيها هذا مأذون فيه .

ب - جناية الدابة .

الحنفية والحنابلة : لايضمن ماأصابت الدابة برجلها وَذَنَبِها وكانت بسبب ليلاً أو نهاراً ويضمن لما أصابت بيدها وفمها ، وقالوا الراكب والقائد لايضمن والسائق يضمن .

الشافعية ومالك : الضمان لازم مادام مع البهيمة إنسان ، سائقا أو قائدا أو راكبا ليلا أو نهارا سواء أتلفت برجلها أو يدها أو فمها ، وسواء بسبب منه أو لا .

الظاهرية : لاضمان فيما أتلفت البهيمة سواء كانت مفردة أو مَعَهَا سائق أو راكب أو قائد ليلا أو نهاراً لكن يضمن ماكان فعلها بسبب ممن هى معه مثل الزجر أو الطعن أو اللّى .

مالك والشافعى : الضمان فيما أفسدت المواشى ليلا لانهاراً .

أبو حنيفة : لاضمان فيما أفسدت المواشى ليلا أوْ نهاراً .

جـ - جناية الصبى .

أبو حنيفة : جناية الصبى على عاقلة الصبى .

الشافعى : هو فى ماله بكل حال .

د – أصابات الجمادات .

الشافعى : الأصابة من جدار مائل أو شىء فى الجدار (**خشبة أو ميزاب**) الضمان فى كل ذلك ، ولاضمان فى الجدار المائل .

أبو حنيفة : إذا سقط ميزاب من حائط على انسان فقتله ، إن أصابة ماكان خارجا من الحائط ضمن ، وان إصابه ماكان فى الحائط لم يضمن ، وإن جهل ماأصابه ضمن .

ضمن .

الباب السابع

(خطيئة الاختلاف)

كبرى الخطيئات .

الاختلاف فى الكتاب هو كبرى الخطيئات كلها هو أعظم من القتل والربا والزنا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وغير ذلك من الكبائر هو فتنة المسلمين فى دينهم قال تعالى : ﴿ **والفتنة اكبر من القتل** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾[2] الاختلاف فى الكتاب هو دون ريب كبرى جميع الخطيئات ، لأنه يجمع أكبر الكبائر وطائفة أخرى من الكبائر،الاختلاف فى الكتاب يجمع الشرك بالله الذى هو أكبر الكبائر ، ومعه كبائر أخرى كالكفر والظلم والفسق والبغى وغيرها ، فلاشيىء يدانيه فى تحطيم شرائع الدين واهلاك

(١) البقرة (٢١٧) (٢) البقرة (١٩١)

المسلمين ، من أجل ذلك نَعت ٱللَّه الاختلاف فى الكتاب بالشقاق البعيد وتوعد عليه بالعذاب الشديد ، وحذّر النبى ﷺ المختلفين فى الكتاب من الهلاك بسبب اختلافهم قال ﷺ [**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب**] [1]
وقال ﷺ [**لاتختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**] [2]
وقال ﷺ [**سُحقاً سُحقا لمن غيَّر بعدى**] [3]

وفى الحقيقة لايمكن تصور أهوال الاختلاف فى الكتاب تصوراً كاملا محيطاً لأن ويلاته أبعد من كل تصّور فمهما رأى الرائى من تلك الويلات التى بين يديه ومهما امتدت بصيرته إلى ماهو مقبل عليه فلن يحيط بجميعها علما ولن يحصيها عدًّا إذ أن ماجهله من حاضرها هو اكبر مما يعلم ، وماخفى عليه من غائبها هو أشد وأعظم ، والشرور مع الأيام تتفاقم ، والويلات تزيد وتتراكم والفتن تموج كموج البحر والاختلاف لايلد الا اختلافاً والمختلفون يتكاثرون ولا تلد الحية إلا الحية قال نوح فى الكافرين ﴿ **إنَّكَ إِن تَذَرْهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فَاجِراً كفَاراً** ﴾ [4]

أشقى الطائفتين .

ليس بدعاً أن يلقى الدعاة الى الحق بأخلاص الدين لله ، والاعتصام بالكتاب والسنّة ، ونبذ الفرق والشيع والمذاهب ، والتبرؤ من عبادة الأحبار ، ليس بدعاً أن يلقى هؤلاء الدعاة العنت والصدود من عُبّاد المذاهب فتلك سنة ٱللَّه التى لاتتبدل فى كل صراع بين الحق والباطل .

(١) مسلم (٨ – ٥٧) (٢) ٢٤١٠ فح
(٣) فح (٦٥٨٤) (٤) نوح (٢٧)

إن أول مايلقى الدعاه إلى الحق فى كل زمان ومكان هو السخرية منهم من أهل الباطل والعدوان عليهم من أهل الطغْيان ، وإستكبار المبطلين اغترارا بكثرتهم وازدراء المحقين استخفافاً بقلتهم قال قوم نوح ﴿ **مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** ﴾[1] وقال فرعون لأتباع موسى ﴿ **إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلونَ وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون** ﴾[2] وقال أصحاب القرية للمرسلين ﴿ **لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذابٌ أليم** ﴾[3]

المختلفون فى الكتاب يقولون للمعتصمين بالكتاب أنتم مختلفون علينا ، أنتم أقلية قد خالفتم الأغلبية ، أنتم خارجون عن الجماعة ، أنتم متطرفون منحرفون ! ! ! وليس هذا البهتان بدعاً من الأمم السابقة إذ الكافرون والمشركون فى كل زمان ومكان هم الأكثرون المكذبون يرمون الرسل واتباع الرسل وهم الأقلون بالبهتان والعدوان قال المشركون لزعيمهم فرعون يُحرضونه على البطش ﴿ **أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك** ﴾[4] وقال فرعون لموسى وأتباعه ﴿ **انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد** ﴾[5] رمى المفسدون المصلحين بالفساد ، وتنادوا عليهم بالشر والأذى ، فما عاب المصلحين هذا البهتان ، ولازحزحهم قيد شعرة عن الأيمان .

(١) هود (٢٧)
(٢) الشعراء (٥٤ - ٥٦)
(٣) يس (١٨)
(٤) الأعراف (١٢٧)
(٥) غافر (٢٦)

كل محق لابد أن يخالف المبطل فهما دائما مختلفان لكن لايستويان ، المبطل شقى فى النيران ، والمحق سعيد فى الجنة والرضوان ، ولو وافق المحقون المبطلين لكثرتهم أو سطوتهم لكانوا منافقين مداهنين ،وماكانوا مهتدين ، فلتبطش الكثرة الباغية بطغواها ولتصبر القلة الهادية لدعواها ثم إلى ربك منتهاها والعاقبة للمتقين .

إن مخالفة الباطل فضيلة ومخالفة الحق رذيلة لايضر المخالفين المهتدين أنهم أقلية بل هم كذلك دائما ، ولاينفع المخالفين الضالين أنهم اكثرية بل هم كذلك دائما السابقون أصحاب الدرجات عند الله هم الأقلية قال تعالى : ﴿ **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين** ﴾[1] والهالكون أصحاب الدركات فى الآخرة هم الأكثرية قال تعالى ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾[3] فمن هم أخسر الفريقين ؟ ومن هم أشقى الطائفتين ؟ ياأولى الألباب .

صدود المختلفين .

سيقول المختلفون فى الكتاب أصحاب المذاهب عباد الأحبار لعباد الله المخلصين كل مايخطر على البال من صنوف الأذى وسوء المقال بالضبط كما قال الأولون لأتباع الرسل قد زيّن الشيطان للأقدمين كما زيّن للأحدثين طغواهم قد أوحى لأولاهم مثلما أوحى لأخراهم أوحى لهم جدلا

(١) الواقعة (١٣ - ١٤) (٢) يوسف (١٠٣)
(٣) يوسف (١٠٦)

ومكراً ، وأملى لهم بطرا وأشراً قال تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾[1]

المختلفون فى الكتاب أصحاب المذاهب والأحزاب لاحجة لهم من كتاب ٱلله ولاسنّة رسوله لاحجة لهم فى تبرير مذهبيتهم والاصرار على طريقتهم إلا موافقة فعل السواد الأكبر من المسلمين ، وتقليد آبائهم الأولين ، واتباع أقوال مشايخهم ومذاهبهم ، وانهم كلهم من رسول ٱلله ملتمس وشبهات أخرى سنفصلها فى باب (شبهات المتمذهبين) وهذه كلها حجج داحضة وأقوال فاسدة لأيُرد بها على الحجج الراشدة والبراهين الحاشدة من كلام ٱلله وكلام رسوله فأين الثرى من الثريا ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم .

وأصحاب دعوة الحق لايطلبون من المختلفين المعاندين إلا الاستماع الى قول ٱلله وقول رسوله[1] فى الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون[2] وفى الذين اتخذوا احبارهم أرباباً من دون ٱلله[3] وفى الذين اختلفوا فى الكتاب من بعد ما جاءهم البينات بغياً بينهم[4] وفى الذين شرعوا من الدين مالم يأذن به ٱلله[5] وفى الذين يفترون على ٱلله الكذب بتحريم ماأحل ٱلله وتحليل ماحرّم ٱلله[6] وفى الذين كتموا ماأنزل ٱلله من البينات والهدى ليشتروا به ثمناً قليلاً[7] وفى الذين ردّوا أيديهم فى أفواههم وجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً .

(١) الأنعام (١٢١)

دعاة الحق لايطلبون إلى أحد من المسلمين إلا الاستماع الى كلام ٱلله وكلام رسوله ثم بعد ذلك ينظر أحدهم هل يحمله ايمانه على إيثار كلام ٱلله وكلام رسوله على كلام البشر الواهمين المخدوعين أم يحمله التعصب الأعمى على عكس ذلك ؟ ! ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ليس الدعاة موكلين بهداية أحد قال تعالى : ﴿ **ومآأنت عليهم بوكيل** ﴾[1] ولكن هو البلاغ فقد يتنبه الغافل فأن كره فقد برىء وان أنكر فقد سلم قال ﷺ [**من كره فقد برىء ومن انكر فقد سلم لكن من رضى وتابع**][2]

فلا ينبغى لدعاة الحق أن يثنيهم ذلك الصدود أو يُحزنهم هذا الجحود ، فقد أوصى ٱلله رسوله كما أوصى الرسل من قبله ألا يحزنوا لذلك قال تعالى : ﴿ **ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا ٱلله شيئاً يريد ٱلله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم** ﴾[3] بل يجب عليهم أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا كما أمر ٱلله ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا ٱلله لعلكم تفلحون** ﴾[4] ثم بعد ذلك يتوكلون على ٱلله هو وليهم وناصرهم قال تعالى : ﴿ **فتوكل على ٱلله إنك على الحق المبين انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ومآأنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾[5]

(١) الزمر (٤١)
(٢ مسلم (٦ - ٢٣)
(٣) آل عمران (١٧٦)
(٤) آل عمران (٢٠٠)
(٥) النمل (٧٩ - ٨١)

مداخل الاختلاف

لقد نظرنا فى أقوال المختلفين فى الكتاب قديما وحديثا فوجدنا لهم مدخلاً واحداً لاثانى له ، يدخلون منه الى كل تلك الاختلافات المتعددة والمتناقضة لاسبيل الى أى منها إلا من هذا الباب ، هذا المدخل الأوحد الذى لامدخل غيره هو :الحكم فى الدين بالرأى دون النص .

الحكم فى الدين بالرأى دون النصّ

لأن أى حكم فى الدين ليس فى آى الكتاب ، ولافى أحاديث الرسول المفصّل لآى الكتاب ، فأنما هو رأى أحد من الناس ورأى أي إنسان فى أية شرعة فى الدين هو حتما اختلاف فى الكتاب ، لأن كل ماليس فى الكتاب هو بالضرورة اختلاف فى الكتاب ، والكتاب كامل شامل لانقص فيه لايحتاج تكميلاً من أحد قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الأسلام دينا** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **مافرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾[2] والكتاب هو الحق المطلق لايحتاج تصويباً من أحد قال تعالى : ﴿ **وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[3] وتفصيل رسول الله ﷺ لما فى الكتاب شاملٌ مبينٌ لاقصور فيه ولاغموض ولا نسيان لايحتاج إلى تكَميل او تفصيل من أحد قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزّل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **وكل شىء فصلناه**

(١) المائدة (٣) (٢) الأنعام (٣٨)

(٣) فصلت (٤٢) (٤) النحل (٤٤)

تفصيلاً ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾[٢] فتفصيل رسول آلله ﷺ للكتاب يستحيل أن يأتى أحد بأفضل منه أو بما يماثله هو أبلغ وأصدق وأفصح مفصّل للكتاب وما الأئمة والفقهاء الا معلمون فقط لاشأن لهم بالتفصيل ولا بالتأويل .

فكل من كف رأيه عن الحكم فى الدين فهو مبرأ من الاختلاف فى الكتاب ، وقوله فى الدين دائماً صواب ، لأنه لايقول برأيه شيئاً ولايقول ابداً إلا مافى الكتاب ، فعلّة العلل عند جميع المختلفين فى الكتاب هى الحكم فى الدين بالرأى ، والرأى فى الدين دائماً خطأ وباطل لأنه خلاف النصوص ، ولو كان مطابقا النصوص لكان هو أحد النصوص ولم يكن رأى أحدٍ بأى حال ولايخرج رأى أحد من الناس فى أى مسألة من مسائل الدين عن أن يكون أحد الأمور الآتية :

١ - **شرع مالم يأذن به آلله** ، وهذا شرك وظلم بالنص الصريح .

٢ - **تحريم ماأحل آلله أو تحليل ماحرّم آلله** ، وهذا هو إفتراء الكذب على آلله بنص القرآن .

٣ - **إستحداث شىء من الدين لم يكن على عهد رسول آلله** ، فهذا حدث مرفوض .

٤ - **عمل شيىء فى الدين لم يعمله رسول آلله ﷺ** فهذا عمل مردود .

(١) الاسراء (١٢)
(٢) النحل (٨٩)

٥ – **اشتراط شرط ليس فى كتاب آلله** ، فهذا شرط باطل ، وليس له ولو كان مائة شرط .

تلك هى المزالق الخمس التى ينزلق إليها أى رأى فى الدين ، وهى كلها باطلة وحرام ومقترفو أية ضلالة من تلك الضلالات إنما يبررونها بأنها اجتهاد مباح حلال وماهى كذلك .

ماعلمت قط لأحد من العلماء أو الفقهاء قولاً فى الاجتهاد قد ألم فيه بشىء من الصواب بل كلهم جميعاً تعلقوا بالسراب وتقطعت بهم الأسباب ولكن آلله عز وجل قد منَّ على عبده فى ذلك بالحكمة وفصل الخطاب وسأفصل ذلك تفصيلاً شافياً بإذن آلله فى أول ديوان وبالله التوفيق وهو المستعان .

سبحان علام الغيوب جل جلاله لسنا نزكى على آلله أحداً فقد نهانا آلله عز وجل عن ذلك قال تعالى : (**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى**)[1] وقال تعالى : (**ألم ترالى الذين يزكون أنفسهم بل آلله يزكى من يشاء ولايظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على آلله الكذب وكفى به إثما مبيناً**)[2]

ولكن كثيراً ممن اختلفوا فى الكتاب نحسبهم، وآلله حسيبهم، فى الذروة من الايمان من أجل سابقتهم وجهادهم وفضلهم وماسبق لهم من الحسنى من ربهم فهذا يقطع بأن اختلافهم فى الكتاب إنما كان نتيجة اعتقادهم جواز الحكم فى دين آلله برأى أنفسهم إجتهاداً فصنعوا ماصنعوا وهم

(١) النجم (٣٢)　　(٢) النساء (٤٩ – ٥٠)

يحسبونه حلالاً مباحاً وغفلوا عن النصوص الحاسمة التى تبطل ذلك وتحرمه ومن المحال عقلاً أن يفعل أمثال هؤلاء مافعلوا عدواناً وظلما ، غفر الله لنا ولهم وأدخلنا وإياهم فى رحمته وهو أرحم الراحمين .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب ليس مجالا لشرح مسألة الاجتهاد ، وبيان مايحل منه ومايحرم إلا أن من القواعد التى تهيمن على قضية الاجتهاد ، وتوجهها وجهتها الصحيحة ، ماسبق الأشارة إليه فى أسباب منع الحكم فى الدين بالرأى من كمال الدين وتمام التفصيل ، وأن الله عز وجل لايضل ولاينسى مما يبطل أى اجتهاد بدعوى تكميل نقص ، أو تفصيل لبس ، أو استدراك نسيان أو سهو أو ماشابه ذلك مما لامجال له فى الشرائع السماوية كلها ، ماكان للعباد أن يتطاولوا على ربهم بالتكميل ، ولاعلى رسله بالتفصيل .

وهناك النصوص الساطعة كالشمس أنه لااجتهاد إلا فى المسائل التى تأذن نصوصها بالاجتهاد فيها ، لاكما يتوهم الغافلون أن الاجتهاد إنما هو فيما ليس فيه نص وأنه لااجتهاد مع النص ، بل لااجتهاد إلا مع النص ، النص الذى يأذن بالاجتهاد فى مسألة بعينها ، وأى اجتهاد لم يأذن به نص فى موضوعه ، فهو اجتهاد باطل بطلانا مطلقا ، وهو داخل بالضرورة فى أحد المزالق الخمسة التى ذكرناها آنفاً .

فجميع المختلفين فى الكتاب - أى كتاب من الكتب التى نزلها الله - كلهم جميعاً بلا استثناء قد دلفوا إلى اختلافاتهم من هذا .

الباب الأوحد (**باب الحكم فى دين آلله بالرأى دون النص**)
ثم انهم بعد دخولهم الباب ، واطلاقهم العنان للرأى فى شرائع الدين ألفَوْا أنفسهم فى ساحة الضلال ، يتخبطون ذات اليمين وذات الشمال ، ويقعون فى الأخطاء ويتعثرون فى الخبال ، تَتَقَاذَفُهُم الآراء ، وتعصف بهم الأهواء ، ثم أفضت بهم تلْك المفازة الوعرة ، الى ثلاثه مسالك ، هى جماع المهالك وهى :

١ – سبيل اتباع الهوى .

قال تعالى ﴿ **ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل آلله إن الذين يضلون عن سبيل آلله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾[١] فسبب الاختلاف فى الكتاب هنا هو محض استحسان المخالف لرأى نفسه الذى هو على خلاف النصوص ، فهو متبع لهوى نفسه ، وحكمه فى هذه الحالة هو حكم فى الدين بالرأى اتباعاً للهوى .

٢ – سبيل اتباع الظن .

قال تعالى ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغنى من الحق شيئا** ﴾[٢]فسبب الاختلاف فى الكتاب هنا هو سوء فهم النص أو تأويله لما ليس فى النص ، فيظن المختلف أن المراد بالنصّ هو كذا أو كذا على خلاف الحق ، فيحكم بالظن الخاطىء فهذا حكم فى الدين بالرأى اتباع للظن .

(١) صٓ (٢٦)
(٢) النجم (٢٨)

٣ – سبيل اتباع الضلال .

قال تعالى : ﴿ فريقا هَدى وفريقا حق عليهم الضلالة أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون ٱللّٰه ويحسبون أنهم مهتدون ﴾[1] وقال تعالى: : ﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون ﴾[2] فمن فقد الهدى لم يجد الا الضلال ، فسبب الاختلاف فى الكتاب هنا هو اتباع غير الحق ، من خبر مكذوب ، أو قول غير معصوم أو بدعة مبتكرة أو نظرية فاسدة ، فيحكم فى الدين برأيه اتباعا لهذا الضلال .

والمختلف فى الكتاب فى آية واحدة من هذه السبل الثلاثة يفعلها على وجهين :

الوجه الأول : يفعلها فى معارضة نصّ قائم فتقع معارضته على ثلاثة صور :

أ – صورة تبديل شرع ٱللّٰه ، بطريق الهوى ، أو الظن ، أو الضلال .

ب – صورة تحليل ماحرّم ٱللّٰه ، بطريق الهوى ، أو الظن ، أو الضلال .

جـ – صورة تحريم مأحل ٱللّٰه ، بطريق الهوى ، أو الظن ، أو الضلال .

فهذه تسعة طرق للاختلاف فى الكتاب فى معارضة النص القائم .

الوجه الثانى : هو مخالفة الكتاب دون معارضة نص قائم ، وتقع على ثلاثة صور :

أ – شرع مالم يأذن به ٱللّٰه ، بطريق الهوى ، أو الظن ، أو الضلال .

(١) الأعراف (٣٠) (٢) يونس (٣٢)

ب – اشتراط ماليس فى كتاب ٱللَّه ،بطريق الهوى ، أو الظن ، أو الضلال .

جـ – ابتداع مالم يكن على عهد رسول ٱللَّه ﷺ بطريق الهوى ، أو الظن ، أو الضلال .

فهذه تسعة طرق من الاختلاف فى الكتاب فى غير معارضة لنصّ قائم فيجتمع من ذلك ثمانية عشر طريقا للاختلاف فى الكتتاب ، لكل طريق منها امثلة متباينة عند المختلفين من علماء وفقهاء وغيرهم ، نرجو بأذن ٱللَّه أن نفصلها للناس تفصيلا وٱللَّه المستعان .

الباب الثامن

(شبهات المتمذهبين)

عندما تدعو المختلفين فى الكتاب الضالعين فى الفرق والشيع والمذاهب والأحزاب إلى نبذ الخلافات وترك المذاهب والأحزاب وإلى الاعتصام بالسنة والكتاب وعندما تواجههم بحقيقة الخطايا التى هم بها متلبسون وعليها عاكفون وعندما تدلى لهم بالبراهين القاطعة من كلام ٱللَّه وكلام رسوله على شدة تحريم التفرق فى الدين تجدهم أصنافا ثلاثة المستجيبون

والرافضون والمترددون .

أما المستجيبون فهم الذين أحيا ٱلله قلوبهم فهم يسمعون قال تعالى : (**إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم ٱلله ثم إليه يرجعون**)[1] وقال تعالى : (**أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مَثَلُهُ فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زُين للكافرين ماكانوا يعملون**)[2]

وأما الرافضون فهم فى الظلمات قد طبع ٱلله على قلوبهم فهم لايسمعون .

وأما المترددون فهم فى صراعٍ دائم بين الهُدى والضلال لاتسمع منهم قبولاً صريحاً ولارفضاً قبيحاً هم على مفترق الطرق لاندرى ماٱلله فاعلٌ بهم .

المستجيبون هم المؤمنون أهل الإخلاص والصدق هم الذين كانوا من قبل فى غفلة عن هذا الحق فما أن تبين لهم حتى بادروا إليه فاعتنقوه وتيمموا التوحيد والإخلاص فالتزموه بعدما نزعوا رداء الشرك والمذهبية الذى كانوا قد تسربلوه هؤلاء هم الذين أنعم ٱلله عليهم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فلهم البشرى من ٱلله قال تعالى : (**فبشر عباد الذين يستمعون القول**

(١) الأنعام (٣٦)

(٢) الأنعام (١٢٢)

فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم ٱلله وأولئك هم أولو الألباب)[1] أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون .

وأما الرافضون فهم الذين أصروا على ماهم فيه من تفريق الدين شيعاً ومذاهب وعلى عبادة الأحبار بجعلهم مصادر للتشريع وأصروا على كل ماسنورده ونفنِّدُه من ويلات الاختلاف فى الكتاب ، المبينة فى الباب الثالث عشر من هذا الكتاب سواء منهم من أصم أذنيه وأغمض عينيه وأبى الاستماع الى الحجج والبراهين ، ومن منهم إستمع ولكن بوجه كالح وكُرهٍ طافح وجادل بالباطل ليدحض به الحق ، هؤلاء هم الذين قال ٱلله تعالى فيهم : (**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها ٱلله الذين كفروا وبئس المصير**)[2] هؤلاء لما ذُكّروا بآيات ربهم خروا عليها صُماً وعمياناً ، ولما سيقت لهم البراهين ودُعُوا إلى اتباع نهج السابقين من الصحابة الأكرمين الذين لم يكونوا متمذهبين مازادهم إلا نفوراً هؤلاء الرافضون المعاندون لاشأن لنا بهم إن حسابهم إلا على ربهم وما على الداعى بعد إذ أفرغ جهده فى

(١) الزمر (١٧ - ١٨)
(٢) الحج (٧٢)

نصحهم إلا أن يقطع مراءهم متمثلاً قول نوح عليه السلام لقومه (**ولاينفعكم نصحى إن أردتُ أن أنصح لكم إن كان ٱللهُ يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون**)[1]

وأما المترددون فهم الذين لم يصرحوا باستجابة ولابرفض ، هؤلاء لم ينطقوا صواباً ، ولم يكذبوا كِذَّاباً بل ظلوا فى ريبهم يترددون ، لايعزمون حثيث طاعة ، ولايجرؤون على مخالفة الجماعة ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء مازالت تَحيك فى صدورهم الشبهات فتحبسهم فى عَماية المذهب ، وتزين لهم جواز الاختلاف فى الكتاب وتسيغ لهم عبادة الأحبار فنحن بإذن ٱللهِ وعونه وتوفيقه نُفنّد هذه الشبهات ونبدد تلك الظلمات بأنوار التنزيل وبراهين التفصيل (**لكى لايكون للناس على ٱللهِ حجة بعد الرسل وكان ٱللهُ عزيزاً حكيماً**)[2] وحتى يعلم كل إنسان طريقه الذى اختاره (**ليهلك من هَلَكَ عن بينه ويحيا من حَىَّ عن بينه وإن ٱللهَ لسميع عليم**)[3] ومن أهم تلك الشبهات مايلى :

١ - شبهة الأقدمية .

يميل أكثر الناس فى عقائدهم وعباداتهم إلى تصديق كل ماهو قديم وتكذيب كل ماهو جديد دون النظر فى

(١) هود (٣٤) (٢) النساء (١٦٥)
(٣) الأنفال (٤٢)

أدلة الإثبات سواء فى القديم او الجديد لكنهم يعتقدون بإصرار وعناد أن كل مانشأوا عليه وأِلفوه هو الحق والصواب وهو الطريقة المثلى ولذلك فهم يقاومون بشدة كل تغيير فيه سواء بالتعديل والتبديل أو بالنقص والزيادة وخصوصاً إذا كان التغيير يراد به إبطال هذا الفعل المألوف أو إلغاؤه بالكلية بعد إثبات أنه فعلٌ حرام ، مخالف لشرائع الإسلام .

هذا التمسك الشديد بكل قديم والمبالغة فى تعظيمه والتزامه وشدة النفور من مخالفته والتزحزح عنه هو مايعرف بتقديس التقاليد وأشد مايكون ذلك التقديس فى كل مايتصل بالدين من مراسم وطقوس وعبادات وغيرها وهذا هو خُلق الأكثرين لايسلم منه إلا الأفذاذ من الرجال أولى الأيدى والأبصار الَّذين أخلصهم ٱللهٰ بخالصة ذكرى الدّار أولئك الَّذين لايمنعهم تقادم التقاليد من إفساح الصدر والفكر لكل هدى جديد ، والتأمل فيما يقدمه من أدلة وأسانيد ، والتقبل لكل ماتيقنت صحته من شرائع الحق التى كانوا عنها غافلين ، هؤلاء لاتحجبهم شبهة الأقدمية ، عن رؤية الحقائق الجلية ، التى كانت من قبل خفية أو مطوية .

وفى معرض الدفاع عن كل مفهوم قديم والتصدى لكل تصحيح جديد ترى المتمذهبين المعارضين لدعوة الحق يتذرعون بدفوع واهية وردود بالية لا هى تثبت

شرعية الفعل القديم الذى يزاولونه ، ولا هى تنفى فرضية التصحيح الجديد الذى يعارضونه ، ولقد ذكر القرآن الكريم أصنافاً من تلك الدفوع الخاطئة قال تعالى : (**بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**)[1] فهؤلاء المعارضون لدعوة الحق ماكان جوابهم إلا الإصرار على التمسك بالقديم والتعصب بفعل آبائهم الأقدمين وقد علموا أن آباءهم ليسوا معصومين بل هم من البشر الخطائين ألا لاعصمة للخَطَّائين ولابشرى للمجرمين وقال تعالى : (**وإذا قيل لهم إتبعوا ماأنزل ٱلله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صمٌّ بكمٌ عمى فهم لايعقلون**)[2] فهذه الآية الكريمة تندد بكل الَّذين يتبعون الباطل والضلال إقتداءً بالآباء ، حتى ولو كانوا لايعقلون شيئاً ولايهتدون ، ثم تشبههم الآية بالعجماوات التى تردد مايلقى إليها من أصوات ، دون أن تفهم شيئاً من تلك الكلمات ، إلا حركات وسكنات ، كفعل الببغاوات ، ثم تنعتهم الآية بأقبح الصفات (**صم بكم عمى فهم لايعقلون**)[3] فهنيئاً لمقلدى الآباء ، فى كل ضلالة عمياء ، قنطاراً من الجهل والغباء ! ! !

(١) الزخرف (٢٢ - ٢٣) (٢) البقرة (١٧٠ - ١٧١

وقال تعالى فى المقلدين للأقدمين ﴿ **إنهم ألَفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يُهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد ٱلله المخلصين** ﴾[1] نعت ٱلله الأقدمين والمقلدين بالضلال ، جَمَع التابعين والمتبوعين فى حظيرة الجهال ، وحكى ماحاق بهم من النّكال ، إلا عباد ٱلله المخلصين ، الذين لم يتبعوا الأقدمين قد برأهم ٱلله من الضلال ونجاهم من النكال .

وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة لضلال الآخرين تقليدا لفعل الأولين ....فشبهة الأقدمية التى أهلكت الأقدمين هى هى التى أضلت المتمذهبين ، يتبعون نهجهم ويحسبون أنهم مهتدون .

إنّ تقادم العهد على الباطل لايزكيه ، بينما نصوص الحق تبطله وتنْفيه ، ومن أراد الحق نظر فى الدليل ، ولم يغرره تلبّسُ الباطل بالدهر الطويل ليس الهدى فى اتباع الأقدمين ، بل الهدى كل الهدى فى نصوص الدين ، المنّزلة من رب العالمين ، يقول المتمذهبون المتعصبون ، فى صلف عنيد ، وفهم مظلم بليد أأنت وحدك الذى علمت هذا من دون الناس أجمعين ؟ ! ولم يتفتحوا ولو على معنى واحد ، ولم يتفكروا ولو فى دليل واحد من عشرات النصوص والبراهين التى حشرناها عليهم قُبُلا ، بل خرّوا عليها صمًّا وعمياناً كذلك قالت الأمم من قبلهم لكل من أراد بهم الأصلاح ، وجاءهم من عند ٱلله بما فيه النجاة والفلاح قالوا ﴿ **أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر** ﴾[2] وقالوا ﴿ **ماسمعنا بهذا فى**

(١) الصافات (٦٩ - ٧٤) (٢) القمر (٢٥)

الملة الآخرة ان هذا الاَّ اختلاق ﴾[1] وقالوا ﴿ ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ﴾[2]
لو استمعوا إلى النصح السديد حتى ولو لم يسمعه آباؤهم من قبل مع أنه وٱللّٰه قد بلغ جميع الأمم ألا يتفرقوا فى الدين والا يتخذوا من دون ٱللّٰه الأنداد والأولياء وألا يتخذ بعضهم بعضاً أربابا من دون ٱللّٰه ، الكل سمعوا والكل جحدوا ، وماذا يضرهم أن يأتيهم النصح على لسان هذا العبد أو ذاك ؟ ! وماذا يعنيهم وماشأنهم فى تقسيم فضل ٱللّٰه على العباد ؟ ! ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا** ﴾[3] فسقطت بذلك شُبهة الأقدمية ، وخاب من تشبّث بالمذهبية .

٢ – شبهــة الأغلبيــة .

هذه ضَلالة قوية ، وقليل من الناس من يدرى حقيقة أمر الأغلبية أكثر الناس يحسبون الحق دائما فى جانب الأغلبية ، وتلْك هى الضّلالة الأبدية ولقد تأصلت هذه الضلالة فى نفوسهم وأشربتها قلوبهم حتى أصبحت عقيدة راسخة عند جميع الشعوب من قديم الزمان وقلما وُجدت ضلالة أخرى لها مثل هذا الرسوخ فى نفوس الناس وعقولهم ، ولكن لا الرسوخ ولا القِدَمُ ينقصان من بطلانها مثقال ذرة لأن ٱللّٰه قد أبطلها ، وأحق نقيضها فيما أنزل لعباده من النور والبرهان المبين ﴿ **ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** ﴾[4]

من أجل ذلك يَلقى المصلحون أشد العنت وأعظم الصدود

(١) ص (٧) — (٢) المؤمنون (٢٤)
(٣) الزخرف (٢٢) — (٤) الأنفال (٨)

من قومهم عندما يعالجون الضلالات القديمة ، والفساد العريق ، لأنهم يكافحون وهم أقلية ، فساد الشعوب وهم أكثرية ، والناس ينحازون دائما الى جانب الأكثرية .

إن ترجيح حكم الأغلبية هو قول باطل يجرى على كل لسان هو حكم غبى جاهل ، هو رأى غَوِىّ عن نور آللّه غافل ، هو فتنة زيّنها الشيطان للأوائل ، ثم غطّ فيها القرون ليخلط الحابل بالنابل .

ان ترجيح رأى الأغلبية الذى هو ضلال قديم والذى أهلك الأولين والآخرين ، قد أنزل آللّه تعالى نقضه وبطلانه فى القرآن العظيم ، وبيّن فساده وسوء عاقبته النبى الكريم ، فقد استفاضت الآيات والأحاديث المؤكدة بطلان هذا الاعتقاد الخاطىء ، وفيما يلى بعض تلك الأنوار الكاشفة والحجج الناسفة لضلالة ترجيح حكم الأغلبية :

١ – قال تعالى ﴿ **وإن تُطع أكثر من فى الأرض يُضلوك عن سبيل آللّه إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴾[1] جعل آللّه الضلال دائما فى جانب الأكثرية ...الأكثرون يضلون ولايهدون ، ويظنون ولايتيقنون ، ويخرصون ولايصدقون لاأحسب مؤمنا صادق الايمان يقرأ هذه الآية ، بوعّى جامع وقلب سامع ألا سقيط عنده ترجيح رأى الأغلبية وثبت فى يقينه عكس مفهومه القديم لحكم الأغلبية وتحول من فوره عن طريق الضلال والفسق الى صراط الهدى والحق تَحَوَّلَ إلى شرائع الدين الحق ، كلما أعضله أمر يبحث فيه عن الحق والعدل والبر والهدى انما يَسْتَمِدُّهُ من أنوار الحق ، لامن أفواه

(١) الأنعام(١١٦)

الخلق ، ٱلله تعالى يقول الأكثرية دائما هم الضالون ، وأهل الحق دائما هم الأقلون ، وأنتم تقولون الأغلبية هم المحقون ﴿ **ذلكم قولكم بأفواهكم وٱلله يقول الحق وهو يهدى السبيل** ﴾[١]

٢ - وقال تعالى ﴿ **ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين** ﴾[٢] يعنى أن الضلال دائما هو سمة الأغلبية ، فلئن ضللتم أيها المخاطبون وأنتم الأغلبية فقد ضل قبلكم أكثر الأولين ، لاجرم فالضالون دائما هم الأكثرون .

٣ - وقال تعالى ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾[٣] الأكثرية من الناس غير مؤمنين ، والأقلية هم المؤمنون ، هل تريدون أصرح وأفصح من هذا البيان إن كنتم للحق تنشدون ؟ !

٤ - وقال تعالى ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بٱلله إلا وهم مشركون** ﴾[٤] أكثرية المؤمنين مشركون ، فما بالكم بغير المؤمنين ؟ ! ألا ان الغالبية لفى ضلال مبين ، أسمِعوا كلام رب العالمين كلَّ مغرور بالأغلبية مفتون ، وافتحوا هذا النور المبين على الذين هم فى الظلام يتخبطون .

٥ - وقال تعالى ﴿ **وما وجدنا لأكثرهم مِنْ عَهْدٍ ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين** ﴾[٥] الأكثرية لاعهد لهم ، الأكثرية هم الفاسقون ، فكيف تجعلون الحكم في دينكم للفاسقين الذين لاعهد لهم ؟ ! بل الحق دائما عند الأقلية الراشدة اللهم سمعنا

(١) الأحزاب (٤)
(٢) الصافات (٧١)
(٣) يوسف (١٠٣)
(٤) يوسف (١٠٦)
(٥) الأعراف (١٠٢)

وأطعنا ، وبنور الكتاب اهتدينا ، فلك الحمد ماقرأنا فوعينا وماخشينا فاتقينا ﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا ٱلله** ﴾[1]

٦ - وقال تعالى ﴿ **وماكان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾[2] كرر ٱلله تعالى الآية أربعة عشر مرة فى سورة الشعراء ، فهل بعد ذلك من تأكيد أن أكثر الناس فى كل زمان ومكان ماكانوا مؤمنين ؟ ! بل الأكثرية فى جميع الأمم ، غير مؤمنين ، الأكثرية دائما ليسوا على الحق ، الأكثرية دائما يتبعون الهوى ، ويضلون عن سبيل ٱلله ، فانتبهوا أيها الغافلون وارشدوا أيها الغاوون ، الحق عند الأقلين لا الأكثرين ، كذلك قال رب العالمين .

٧ - وقال تعالى فى السابقين ﴿ **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين** ﴾[3]

٨ - وقال تعالى فى أصْحاب اليمين ﴿ **ثلة من الأولين وثلة من الآخرين** ﴾[4]

فالمفلحون من البشر فى كل زمان هم دائما أقلية ، السابقون فى الزمان الأول ثلة وفى الزمان الآخر قلة ، وأصحاب اليمين هم فى الزمان الأول والزمان الآخر ثلة فجميع الصالحين من كل درجة هم دائما فى كل زمان قليلون ، أما الأكثرون فى كل زمانٍ هم دائما الضالون المضلون ، هل أيقنتم الآن أيها المسلمون فى أى جانب يكون الحق ، وفى أى جانب يكون الضلال ؟! الحق دائما

(١) الأعراف (٤٣)
(٢) الشعراء (٩) ومابعدها
(٣) الواقعة (١٣ - ١٤)
(٤) الواقعة (٣٩ - ٤٠)

فى جانب الأقلية والضّلال دائما فى جانب الأكثرية .

٩ - واسمعوا إلى تلك الأحاديث القدسية والنبوية التى تمدكم بمزيد من التّفصيل أن الأكثرية دائما فى تضليل .

قال ﷺ [**يقول الله تعالى ياآدم .. فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك . فيقول أخرج بَعثَ النار .. قال ومابعثُ النار ؟ قال من كل ألفٍ تسعمائة تسعة وتسعين . فعنده يَشِيبُ الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**][1].

فانظر إلى أكثرية البشر أين مثواها ؟! الصالحون واحد فى الألف . قال ﷺ [**الناس كأبل مائة لاتكاد تجد فيها راحلة**][2] تفْحص مائة من الناس فلا تكاد تجد منهم صالحا واحدا !!! افحص مائة ثم مائة ثم مائة حتى إذا أتممت ألفاً وجدت صالحا واحداً .

فثبت من كل ما تقَدم أن الضّلال فى الدين ، هو فى جانب الأكثرية دائماً فسقطت بذلك شبهة الأغلبية كدليل على صحة ما يعتقده أو يحكم به أكثر الناس بل العكس هو الصحيح دائما .

هذه الْمَامَةٌ ، سريعة بقضية الأغلبية ، ولها تفصيل وإسهاب ، نأتى به فى غير هذا الكتاب ، إن شاء الله .

٣ - شبهة كلهم من رسول الله ملتمس

هكذا يقول حَمَلَةُ المزامير ، الذين يزفّون فى ركاب المشاهير هكذا يقول أتباع المذاهب ، العابدون للأحبار ،

(١)٣٣٤٨ فح (٢) مسلم(٧ - ١٩٢)

المروجون لضلالة تفريق الدين شيعاً وأحزاباً ، الذين يُحادون الله ورسوله وهم لا يشعرون هكذا يموّهون بزخرف الكلام ، على الجهال من الخواص والعوام ، الذين لا علم لهم بشرائع الأسلام يبرّرون الشقاق البعيد الذى تمرّغ فيه المختلفُون فى الكتاب ، وتمعكت فيه الفرق والشيع والمذاهب والأحزاب يبررون هذا الضلال المبين ، بأنه كله مقتبس من الرسول الأمين ﷺ يَقولون (كلهم من رسول الله ملتمس) !! يلصقون إفك الأفَّاكين وغَىّ الغاوين زوراً وبهتاناً بسيِّد المرسلين ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا** ﴾[1] .

يقول الله تعالى ﴿ **ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد** ﴾[2] فكيف يكون الشقاق البعيدُ مُلتمَساً من رسول الله ﷺ إن كنتم تَعقِلون ؟! لكنهم يُزيِّفون إفكهم للناس بالتدليس على رسول الله ﷺ ليُسكتوا السائلين ، وليموِّهوا على الجاهلين .

كيف يكون الاختلاف فى الكتاب مُلتمساً من رسول الله ﷺ ؟! كيف يكون الشقاق البعيد مأخوذاً من رسول الله ﷺ هذا بهتان رهيب !!! كلام الله وكلام رسولهُ مُنزَّه عن كل اختلاف قال تعالى ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾[3] فالاختلاف فى الشرائع دليل حاسم على أنها من عند غير الله ، من عند البشر الوضاعين .

المذاهب كلها مختلفة فى الكتاب اختلافا شديدا فتلك

(١) الكهف (٥) (٢) البقرة (١٧٦)
(٣) النساء (٨٢)

مصنفاتهم طافحة بالتناقضات والاختلافات ، كما بيَّنا آنفاً فى الباب السادس وضربنا لذلك بعض الأمثال ، ومما لاشك فيه أن أى مُختلف فى الكتاب هو فى هذا الاختلاف غير ملتمس من رسول الله حاش لله ليس أحد منهم فى ذلك من رسول الله ملتمس ، بل كل مفتر عليه هو فى معصية الله مُنغمس ، وهو فى ظلمة الباطل والضلال مُحتبس .

لو كان أى واحد من هؤلاء من رسول الله ملتمسا لكان كلام جميع المذاهب فى أية قضية كلاماً واحدا وحكما واحدا لا اختلاف فيه لأن كلام الله وكلام رسوله واحد لا اختلاف فيه ، واذا لما كان هناك أى مبرّر لبقاء تلك المذاهب ، كما هو العقل والشرع والواجب .

لو كانوا ملتمسين من الكتاب والسنة لجاءت أحكامهم مطابقة للكتاب والسنة ، لأن الملتمس من الشيء يأتى بمثله لا بنقيضه ، ملتمس قطاف النّحل يأتى بالعسل المفيد ، لابالقيح والصديد ، فمُلتمس الهدى من الكتاب والسنة يأتى بالحكم الرشيد ، لابالشقاق البعيد .

بل الحق الذى لامرية فيه هو أن مبتكرات المذاهب التى فى مصنفاتهم انما التمسوها من آرائهم وأهوائهم ، وابتدعوها بظنونهم وتخرّصاتهم لا من رسول الله فليراجع الباب السادس للتأكد من ذلك ، وللجزم بأنهم التمسوها من أدمِغَتهم وأمخاخهم ، لا من الكتاب والسنة ، وللقطع بأن الله برىء من المختلفين ورسوله ، كل الكتاب والسنة سديد رشيد ، وكل المختلفين فى شقاق بعيد قال تعالى ﴿ **من أضل ممن هو فى شقاق بعيد** ﴾[1]

(١) فصلت (٥٢)

فثبت بذلك أن شبهه (كلهم من رسول الله ملتمس) هى ، شبهة زائفة رخيصة وحجة داحضة خسيسة هى محض افتراء على الله ورسوله فمن زمّر لنا بمثل هذا الكلام ، سقناه إلى مرابض الأنعام ، ليتمرغ فى الدَّحَض والرغام دينه شعوذة وأوهام لا حظ له فى حقائق الأسلام .

٤ – شبهة اختلافهم رحمه

ماكان ينبغى أن تكوّن هذه شبهة ترد المتطلعين إلى الحق ، أو تَحبس العاكفين على الباطل ، لأن الاختلاف خطيئة ومعصية فكيف يكون رحمة ؟! الاختلاف فى الكتاب كما نعته الله تعالى هو شقاق بعيد قال تعالى ﴿ **ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد** ﴾[1] والشقاق البعيد أعظم نقمة !! فكيف تكون النقمة رحمة ؟! كيف يكون اختلافهم رحمة ؟!!

ماكان ينبغى أن تكون هذه شبهة تتَطلّب رداً إذ بطلانها واضح ونتن ريحها فائح فضلا عن ضلالة الأصل وهو مجرد الاختلاف لكن على الرغم من قبح المقالة ، وغباوة الضلالة ، فأن هذه الشبهة لا تزال مزمورة معروفة ، يرددها الهتافة المطبلون للشيع والمذاهب وأكثرهم ينكرونها أو لا يعقلونها إنما هى مُشاغبة فى طلب الرزق أو مكابرة لتعمية الحق كالذين قال الله فيهم ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾[2] .

(١) البقرة (١٧٦)
(٢) فصلت (٢٦)

الاختلاف فى الكتاب شقاق والمختلفون هلكى هكذا قال الله وقال رسوله ، فقلْبُ الشقاق رحمة ليس إلا تنطع سقيم أو تغرير لئيم ، إذ أنّ هذه الشبهة الضالة (اختلافهم رحمة) قد تنطوى على مقصد خبيث ، أو فهم غثيث ، أو كلاهما معاً .

أما المقصد الخبيث فهو عندما يكون المقصود من الرحمة المترتبة على الاختلاف فى الكتاب ، حصول مهرب للمجرمين ، أو فكاك للغارمين ، للتفلّت من العقاب ، أو التنصّل من المغرم ، بترك المجرم المذهب الذى يدينه إلى المذهب الذى يبرّئه ، أو بتنصل المعتدى من المذهب الذى يُغرّمه إلى المذهب الذى لا يغرّمه حيث قد وجدوا فى تلك المذاهب ، سعة فى التلاعب من أدانه مذهب برّأه مذهب آخر ومن أغرمه مذهب أعفاه مذهب آخر ، فما أسعد المجرمين بهذا الدين المطاط ، ومأأحرصهم على دوام الشقاق والأغلاط ، ويكون الاختلاف فى الكتاب عند هؤلاء باباً من أبواب الحيلة ، ويكون التقلب فى المذاهب لديهم سبباً أو وسيلة .

إذا كان هذا هو المقصود من ضلالة (اختلافهم رحمة) فبئست الحيلة ،وتعست الوسيلة ، المحتال على شرائع الله فاجر كفار ، ومن يبدل نعمة الله كفراً أحلّه دار البوار

واما الفهم الغثيث فهو تصور أن يجيز الله تعالى التناقض فى الأحكام والاختلاف فى الشرائع ، من شاء قضى بالأدانة

ومن شاء قضى بالبراءة ، من شاء أغرم المعتدى ومن شاء أفلته ، لا أعلمُ فى الحماقة والتنطع أسقط من هذا الفهم ، أولئك كالأنعام بل هم أضل وإن تدعُهم إلى الهدى فَلَنْ يهتدوا إذاً أبداً .

لو أُبيح الاختلاف فى الأحكام ، سقطت جميع شرائع الاسلام وانقلبت لعبة للمجرمين ، وسخرية بهذا الدين ، فلا تُغنى الشرائع فتيلا ولاتجد الحدود إلى العصاة سبيلا ، ثم لا تزيد المذاهب أمر الله ورسوله إلا هدماً وتعطيلا ، بل الله ينصر دينه ويأخذُ المختلفين أخذاً وبيلا .

فسقطت بذلك هذه الشبهة الداحضة ، وادّاركت مع غيرها فى الحافرة .

٥ - شبهة سكوت الأحبار

هذه هى أيضا شبهة قوية ، تُلقى ظلالاً من الشك والريبة على عقول العوام والخواص على السواء .

إذا كلمتهم عن خطيئة المذاهب وتفريق الدين شيعا والاختلاف فى الكتاب ، بُهتوا ودهشوا ، وفجأهم من الأمر مالم يكونوا يحتسبون ، ثم كان من أهم مايحتجون به ، قولهم فما بال علماء الدين يسكتون على ذلك ولا يعترضون عليه ؟! أليس السكوت دليلا على الرضاعنه والموافقة عليه ؟! ولو كانت المذاهب حراماً ماسكتوا عنها ولاأقروها !!! .

فسكوت الأحبار قام عند المتمذهبين دليلا على شرعية المذاهب وهذا استدلال فى غاية الحماقة لأنه استدلال على الشيء بنفسه !! الأحبار هم أصحاب المذاهب فكيف يُستدل على شرعية المذاهب بفعل أصحاب المذاهب ؟!! إذاً فالربا عمل مشروع حلال لأن المرابين لا يعترضون عليه ولا يستنكرونه .

هذه الحماقة نشأت من أخطاء مبنية على أخطاء وضلال متراكب فوق ضلال ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور** ﴾(1) لا الساكتون على هدى ولا المسكوت عنه حلال ولا السكوت دليل الشرعية هل فى تلك الظلمات من نور ؟! فأنَّى يُصرون ؟! .

إنما يَصلح اعتبار السكوت إقراراً أو عدم إنكار إذا صدر عن الرسل المعصومين فيما يبلغون عن رَبِّهِمْ لأنهم لا ينطقون عن الهوى ولا يقولون على الله إلا الحق ولا يخافون فى الله لومة لائم أما الأحبار فشأنهم غير ذلك بالمرة سواء الصالح منهم وغير الصالح .

أعلموا أيها الناس أن أحبار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها قد تربّوا على مائدة المذاهب حتى أُشربتها قلوبهم فهم يؤمنون بها ولا يرون مافيها من ضلال ووبال هم تعلّموها وهم يُعلمونها على مدى الأجيال فإذا أنت حدثتهم عن خطيئتها وشدة تحريمها ووبال أمرها على الإسلام والمسلمين

(1) النور (40)

وسقت لهم أقوى البراهين وحشرت عليهم نصُوص الآيات والأحاديث قُبُلاً ماكنوا ليتحولوا إلا قليلا منهم ﴿ **ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾[1] ثم تفرقوا عنك طوائف شتى كل حزب بما لديهم فرحون فمنهم : -

١ - طائفة يعرضون عن الاستماع ، لا يحاولون الاقناع أو الاقتناع : يُغمضون أعينهم ويلوون الرؤوس ويثنون الصدور وقد قال الله تعالى فى أمثالهم ﴿ **ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون** ﴾[2] لارد عندهم على الآيات البينات والأحاديث التى هى فى الذروة من قوة الأثبات ، فهم لا يحيرون جواباً ولاينطقون صواباً هؤلاء يدينون بالمذهبية قد أحاطت بهم خطيئتها

ب - طائفة قد انكشف لهم الحق فعرفوه ولكنهم جحدوه أنفةً وحمية ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً** ﴾[3] هذه الطائفة والتى قبلها سكوتهم عن الإنكار سببه الإصرار على الباطل بعدما تبيّن الحق .

جـ - طائفة هم على علم بخطيئة المذاهب يعرفون صدق البراهين على ذلك فى القرآن والحديث ولكنهم يكتمون ذلك ولا يبينونه للناس حرصا على ماهم فيه من متاع الدنيا يخشون مواجهة الناس بما يكرهون هؤلاء هم أَكَلَةُ النار قال تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك مايأكلون فى بطونهم إلا النَّار ولا يكلمهم الله**

(١) الأنعام (١١١) الأعراف (١٠٠)
(٣) النمل (١٤)

يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾[1] فسكوت هؤلاء عن الإنكار هو سكوت حرص وطمع .

د - طائفة مؤمنون بوجوب وحدة الأمة كما أمر الله ويعلمون بشاعة الاثم فى تفريق الدين شيعا ومذاهب قلوبهم منكرة لهذا الاثم ولكنهم لاينكرون بالسنتهم مخافة فتنة الناس فهؤلاء سكوتهم سكوت تُقاةٍ ومداراة .

هـ - طائفة مترددون بين المناهج المذهبية التى درسوا وبين البراهين القطعية التى سمعوا زجراً عن المذهبية ، إذا نظروا فى مناهجهم قالوا أمعقول هذا إن كل الذى درسنا خطأ وضلال ؟! وإذا نظروا فى كلام الله ورسوله قالوا أمعقول هذا أن الأئمة والفقهاء قد غفلوا عن هذا النور الباهر والحق الغامر ؟!! .

فهم فى ريْبّهم يترددون لا يتخذون إلى الله مآبا ولايكذبوا بالحق كِذَّابا ...
فسكوت هؤلاء عن الأنكار هو سكوت حيرة وانتظار .

فسقطت بذلك شبهة سكوت الأحبار الذين تبينت مواقفهم المختلفة من خطيئة المذاهب .

٦ - شبهة إقرار الحكام

هذه شبهة ضعيفة ، لايتعلق بها إلا العوام ، وغير أولى

(١) البقرة (١٧٤ - ١٧٥)

النُّهَى من الأنام ، الذين يتساءلون فى سذاجة البلهاء إذا كانت طريقة المذاهب هى من الوبال كما تصفون ، فلماذا أقرّها الحكام فى جميع بلاد الأسلام ؟! فإنا نرى جميع المسلمين فى المشارق والمغارب ، يتبعون طريقة المذاهب ، فكأن هؤلاء المتسائلين يحسبون أن حكام المسلمين ، على شىء من العلم بالدين ، ولذلك استغربوا أن يكون العالم بالدين ، حاكما على نقيض الدين .

لم يشعر هؤلاء السذج البلهاء ، أن أكثر حكام المسلمين علمهم بالدين هباء ، وأن من علم منهم من دينه شيئاً فقد اتخذه وراءه ظهريا واستقبل الكافرين الظاهرين فى الأرض يُردد أقوالهم ، ويمجّد أفعالهم ، ويقتفى آثارهم حذو النعل بالنعل ، وصدق رسول الله ﷺ [**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمنّ ؟**] .

أكثر حكام المسلمين تكَاد تكون جميع أفعَالهم ضد الدين ، فليس بمستغرب منهم إقرار خطيئة المذاهب أو غيرها من الضلال المبين ، بل المستغرب حقا هو أن يتحرى أى واحد منهم تطبيق شرائع الدين .

فسقطت هذه الشبهة كسابقاتها ، كلما انحسرت تلك الحجب الزائفة ، بَدَتْ خطيئة المذاهب بوجهها الكالح كأبشع محنة حلّت بشرائع الأسلام فغيرتها ، وبجماعة المسلمين فمزقتها .

(١) ٣٤٥٦ فح

٧ – شبهة سنن الخلفاء

زعم المتمذهبون أن رسول الله ﷺ قال [**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ**] ثم قالوا فالخلفاء لهم سنن مختلفة ورسول الله ﷺ قد أمرنا باتباعها ، فهذا اختلاف فى الرأى مقبول قد أقره الرسول ، إذاً فلا جناح على أحد فى اتباع المذاهب المختلفة !!! .

هؤلاء قد أساؤا المقالة ، وكذبوا على صاحب الرسالة لا الاختلاف فى الدين مقبول ، ولا هذا الحديث يصح عن الرسول

أما الاختلاف فى الدين فهو أبشع حرام يمكن أن يرتكبه المؤمنون بأى دين وهو المنكر الذى حذّر الله ورسوله منه أبلغ تحذير وهو هلاك الأمم كلها من لدن آدم إلى قيام الساعة ، وصفه الله بالشقاق البعيد وتوّعد عليه بأشد الوعيد ، فمن الخبال والضلال أن يتصور أحد أن الاختلاف فى الدين يمكن أن يكون مقبولا من أى إنسان كائنا من كان خلفاء أو غير خلفاء ، ومن الزور والبهتان أن يقول قائل أن رسول الله ﷺ أمر بالاختلاف فى الدين أو أقرّه أو رضى به ، أيها الناس كُفّوا ألسنتكم وأقلامكم عن البهتان على رسول الله ﷺ ، الاختلاف فى الكتاب ، وتفريق الدين شيعا ومذاهب ، وتقطيع الأمة الواحدة زبرا كل حزب بما لديهم فرحون هى أبشع الجرائم الموجهة ضد الأسلام والمسلمين على الاطلاق

وأما الحديث الذى احتجوا به والذى سقنا لفظه آنفاً ..
فهو حديث مُفتَرَى على رسول الله ﷺ ، وهو من صنع الوضّاعين الذين أغرقوا المسلمين بمفترياتهم وأكاذيبهم . هذا الحديث هو عند أحمد (٣ و٤٢٤) ضمن طوفان من نظائره من الأحاديث الموضوعة التى زلزلت شرائع الدين الصحيحة زلزالا شديداً ، وبلبلت عقائد المسلمين ، ومزجت الحق بالباطل ، وحيرّت المخلصين أولى الأيدى والأبصار ، كيف السبيل إلى صدّ هذا التيار . واستنقاذ المسلمين من الضلال والبوار .

هذا الحديث المفترى رغم ذيوعه وإنتشاره بحيث لا يخفى على عامة المسلمين فضلا عن كبار المحدّثين كالبخارى ومسلم هو ولله الحمد ليس فى الصحيحين وماكان له أن يخترق هذا الحصن العتيد لأصح الأحاديث المرويّة عن رسول الله ﷺ ، هذا من فضل الله على الإسلام والمسلمين أن جعل بين الصحيحين وبين تلك المفتريات حِجْرا محجوراً ففى شرائط الشيخين القوية عازل مانع من تسرب خبائث الوضاعين إلى هذا الكنز الثمين .

إن الكذب على رسول الله ﷺ ليس كالكذب على أحد من الناس ، كذبة واحدة عليه ﷺ قد تُضل مئات الملايين من المسلمين وإن مما يقطع نياط القلوب أسى وحزناً أن جميع المؤلفات الإسلامية (**فى الحديث والتفسير والسيرة والفقه والتاريخ والقصص والأدب وغير ذلك**) كلها جميعا باستثناء الصحيحين طافحة بالجم الغفير من المفتريات

الموضوعة والأكاذيب المصنوعة مخلوطة بقليل من الصحاح فهى تلبس الحق بالباطل وتخلط الضلال بالهدى وتدع المؤمنين فى قبضة الشيطان ، وتَقف بهم على حافة البركان ، لا ينجو منهم إلا من ثبته الله بالقول الثابت وطهّرهُ من كل تلك الأدران .

على أن فى هذا الحديث المفترى من أدلة البطلان الظاهرة مالا يحتاج معه القارىء العادى إلى التعمّق فى معرفة شرائط الصحة التى تميز له المفترى الموضوع من المعلول المقطوع من المرسل غير المرفوع ولا هو بحاجة إلى معرفة تفاصيل السند والإسناد أو تجريح الرواه وتجهيلهم أو أنواع الخلل والاضطراب فى المتون أو غير ذلك من موازين النفى والإثبات للأخبار والآثار على السواء .

فمن أدلة البطلان الظاهرة لهذا الحديث مايأتى : –

١ – جهالة التعريف

مَنْ هم هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين أُمرنا باتباع سنتهم؟!! .

ماذكرهم آلله ولا رسوله ولا عّرفهم فى كتاب ولاسنّة ، إنما هو اصطلاح وضعه المؤرخون ،إنما هى تسمية أطلقوها على أول أربعة من الخلفاء بعد رسول الله ﷺ قد تلاهم خلفاء عديدون فى دول كثيرة ، منهم الراشدون وغير الراشدين ، منهم المهديون ، وغير المهذبين ، كلمة الخلفاء الراشدين المهديين ماوردت البتة على لسان رسول الله ﷺ فى

الصحيحين ، إنما هى كما قلنا تسمية وضعها المؤرخون بعد وفاة هؤلاء الخلفاء الأربعة عندما بدؤا التاريخ لهم يعنى لم تكن هذه التسمية معروفة قبل ذلك الوقت فكيف يدّعى إنسان صدورها من رسول الله ﷺ ؟!! أفنجعل اصطلاحات المؤرخين شرعا يُلزم المسلمين ؟!!!

ثم فضلا عن جهالة الأسماء فهناك جهالة الأعداد !!! هل الخلفاء المعنيون فى الحديث المفترى هم فقط الأربعة الأوائل كما اصطلح على ذلك ، المؤرخون ؟! أم هم كل مذكور بخير من المستخلفين بعد ذلك كعمر بن عبد العزيز فى الأمويين وكالمأمون فى العباسيين ، وغيرهم من السابقين واللاحقين ؟! .

أفنأمر الناس بما لا نعرفه نحن ولا هم ؟! أم نفترى الكذب على الله وعلى رسوله ونقول للناس زوراً وبهتانا هؤلاء الأربعة سماهم الله ورسوله وهم الذين عناهم الحديث ؟! .

أفنأمر الرسول بمجهول ياأولى النهى والعقول ؟!! .

أيها المسلمون أليس من العار والبوار أن تأخذوا شرائع دينكم من ابن بطوطة وابن خلدون ؟!

فسقط هذا الحديث المفترى ، وقد خاب من افترى

٢ – لا طاعة فى معصية فكيف نأخذ شرائع الدين من البشر الخطائين ؟!

إتباع أى شرعة كاذبة خاطئة معصية ، ولاطاعة لأحد فى معصية الله قال ﷺ [**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وماكره إلا أن يُؤمر بمعصية . فإن أُمِر بمعصية فلا**

سمع ولا طاعة][1]والخلفاء الأربعة بشر غير معصومين وكم لهم من أخطاء فى الدين ذكرنا أمثلة منها فى الباب الخامس من هذا الكتاب باب (**طائفة من الأخطاء**) ، فكيف نُؤمر فى الدين باتباع الأخطاء لا لشىء إلا لأنها صدرت عن الخلفاء ؟!! فنعصى الله ورسوله باتباع تلك الأخطاء انْصياعاً لمذاهب الفقهاء !!! .

لا عصمة لأحد من الأخطاء فى الدين غير رسول الله ﷺ ولا حجة فى الدين فى قول أحد أو فعل أحد كائنا من كان دون رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة أنفسهم رجعوا عن أخطائهم لما نُبّهوا لها فى كثير من الأحيان ، فمن الحماقة أن يُؤمر المسلمون باتباع أخطاء فى الدين تركها أصحابها أو حتى أصروا عليها .

فهذه حجة أخرى بالغة لإسقاط الحديث المفترى .

٣ - شرع مالم يأذن به الله شرك

أيما شرع فى الدين لم يأذن به الله تعالى تنزيلا فى كتابه أو تفصيلا بلسان رسوله فهو شرك وظلم قال تعالى ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾[2] فمن أمر بإتباع سنة الخلفاء التى ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فقد أمر الناس بشرك وظلم عظيم .

٤ - كلُ محدَث فى الدين مردود

(١) مسلم (٦ - ١٥ - ١٥٥) فح (٧١٤٤) (٢) الشورى (٢١)

قال ﷺ [**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**][1] وقال ﷺ [**من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**][2] فكل شىء من سنن الخلفاء ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فهو عمل مردود وحدث مرفوض حتماً ولو رغمت أنوف المتمذهبين .

٥ - الدين تام كامل فلا جديد أو مزيد

قال تعالى ﴿ **اليوم أكلمت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الأسلام دينا** ﴾[3] وقال تعالى ﴿ **مافرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾[4] وقال تعالى ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين** ﴾[5] وقال تعالى ﴿ **وكل شىء فصلناه تفصيلا** ﴾[6] وقال تعالى ﴿ **وماكان ربك نسباً** ﴾[7] فبكتاب الله العزيز الذى لايأتيه، الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، نوقن أعظم يقين **أن** دين الله تام فيه كل مايلزم العباد ، **وأنه** كامل لا يرقى إلى كَمَالِه أى رأى أو فكر أو شرع من صنع العباد ، **وأنه** جامع لكل الألطاف حتى لقد رضيه الله دينا للعباد **وأنه** محيط بكل شىء لا تفريط فيه من شىء كل ما يخطر على البال هو فيه ، وأنه بيَّن كل شىء وفصّل كل شىء فلا يحتاج إلى مزيد من البيان والتفصيل وأنه جل جلاله تقدّس وتنزّه عن النسيان ، فلا يقولن بليد الفهم رقيع العلم أن فى الكتاب شيئاً منسياً .

فمتى كان الأمر كذلك فما حاجة المسلمين إلى أى شرع أية سنة فى الدين من أى أنسان كائنا من كان خلفاء أو

[1] مسلم (٥ -١١٣)
[2] فح (٢٦٩٧)
[3] المائدة (٣)
[4] الأنعام (٣٨)
[5] النحل (٨٩)
[6] الإسراء (١٢)
[7] مريم (٦٤)

غير خلفاء ؟!! إن الأمثال لَتَجْرِى بالدهشة والعجب ، من باذل العطاء لمن وهَب كناقل التمر إلى هَجَر كما تقول العَرب ، ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴿ **قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم مافى السموات ومافى الأرض والله بكل شىء عليم** ﴾[1] .

٦ - كل ماليس فى الكتاب والسنة ضلال

مادام كلام الله تنزيلا وتفصيلا هو التام الكامل الشامل الذى لم يفرط فى شىء ولم ينس أى شىء هو الذى بيَّن كل شىء وفصَّل كل شىء ، ومادام هذا كله هو الحق الذى لا حق غيره ، فكل شىء فى الدين خارج الكتاب والسنة هو لا محالة ضلال أيا كان صانعه وناظمه ومُفنّنه لأنه ليس وراء الحق إلا الضلال قال تعالى ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تُصرفون** ﴾[2] فتلك السنن التى يذكرها الحديث المفترى إن كانت خارج الكتاب والسنة فهى الضلال بنص القرآن ، وإن كانت فى الكتاب والسنة فتلك إذاً سنة الله ورسوله لا سنة فلان أو فلان .

٧ - الاعتصام بغير الله باطل

من اعتصم بغير الله ضلّ ومن استعان بغير الله ذلّ ، قال تعالى ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ إلى صراط مستقيم** ﴾[3] فإذا كان المعتصم بكتاب الله قد أدرك الهدى ، فما حاجة المُهْتَدِى إلى السير فى سبل أخرى غير صراط الهدى الذى

(١) الحجرات (١٦) (٢) يونس (٣٢)
(٣) آل عمران (١٠١)

أقامه الله عليه إلى السير فى سبل مليئة بالباطل والخبال ومؤدية إلى التيه فى الضلال ؟! .

إن من أسوأ ماقرأنا لبعض الفقهاء ، اعتصامهم بالمؤلفات والمصنفات دون الأحاديث والآيات ، يقذفون بالشرائع المفتراة برأى أنفسهم استناداً إلى مصنفات كالخانّية والوهابية والشرنْبلالية ونهر وبحر ومحيط وجوهرة ومجتبى وبدائع وزيلعى وقهستانى وغيرها ، لا استناداً إلى مصادر الشرع الصحيحة والوحيدة (**كتاب الله وسنة رسوله**) والنتيجة الحتمية لهذا المسلك الضال هو بث شرائع باطلة ضالة ماأنزل الله بها من سلطان قد جمعت الشرك والظلم والفساد والافتراء على الله .

والاعتصام بسنن الخلفاء ، مثل الاعتصام بمذاهب الفقهاء ، كل ذلك هو تحكم فى الدين بالآراء ، والدين لايكون إلا من عند الله ورسوله دون سواهما ، فكل ماعدا ذلك هباء ، لا إعتبار له ولا خير فيه ولا غناء .

أخذ الشرائع من أفواه الخلفاء أو العظماء ليس إعتصاما بالله كما أمر بل هو اعتصام بهؤلاء الكبار وهو باطل وحرام لاهدى فيه ولا رحمة قال تعالى ﴿ **وأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما** ﴾[1] وإتباع سنن الخلفاء التى لا وجود لها فى الكتاب والسنة هو مخالفة صريحة لأمر الله الذى ينهى عن إتباع أى شىء إلا ماأنزل هو ﴿ **اتبعوا ماإنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون** ﴾[2] فكل شرعة

(١) النساء (١٧٥) (٢) الأعراف (٣)

تثير خلافا يتحتم ردها إلى الله (**أى إلى الكتاب والسنة**) فإن وُجدت وإلا الغيت من فورها قال تعالى ﴿ **وماختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾[2] فسنن الخلفاء أو غير الخلفاء التى لا وجود لها فى الكتاب والسنة حكمها الرفض لا محالة ، لأن الاختلاف عليها والنزاع فيها يقضى بردها إلى الكتاب والسنة فمتى ثبت عدم وجودها فى الكتاب والسنة فلا حكم لها فى شرع الله إلا الالغاء والإبطال بلا جدال .

فتلك سبعة من الأدلة الشرعية على بطلان الأخذ بسنن الخلفاء أو غير الخلفاء ، وقد أشرنا قبل ذلك الى الدليل العلمى على بطلانها بأن هذا الحديث مفترى على رسول الله لم يرضه الشيخان فى صحيحهما وإنما هو عن أحمد الأرقام التى ذكرنا آنفا ، فسقطت هذه الشبهة الضالة كما سقط غيرها .

٨ – شبهة تقديس العلماء

تقديس علماء الدين إلى درجة العبادة هو عمل ذائع فى السواد الأعظم من المسلمين ولكنهم لا يشعرون وقد بينّا ذلك فى باب (**عبادة الأحبار**) .

وقد بيَّن رسول الله ﷺ أن عبادة العلماء ليست ركوعا لهم ولا سجوداً وإنما هى طاعتهم فيما يُحلّون لهم ويحرمون على خلاف أمر الله .

(١) الشورى (١٠)
(٢) النساء (٥٩)

وعلماء المذاهب الذين اختلفوا فى الكتاب وفرقوا دينهم شيعا قد خالفوا أمر الله أفظع مخالفة واستحلّوا ما حَّرم الله أشد تحريم فإذا أنت نهيت الناس عن ذلك وأمرتهم ألا يتبعوا العلماء فى تلك الخطيئة الكبرى كَبِرُ عليهم ماتدعوهم إليه ولم يستعموا إلى الآيات البينات التى تزجز عن ذلك أبلغ الزّجر ثم لم تكن حجتهم إلا أن أمطروك بأحاديث مكذوبة تقّدس العلماء تقديساً كلها ملفقة موضوعة قد تنزه عنها الشيخان (**البخارى ومسلم**) فلا تجدها أبداً إلا فى تلك المصنفات التى جمعت كل منكر من الأحاديث ومعلول وموضوع فمن تلك المفتريات التى تقدّس العلماء قولهم :

ا – العلماء هم ورثة الأنبياء[1].

ب – فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم أو كفضل القمر على النجوم[2].

جـ – إن العالم ليدخل فيما بين الله وبين عباده[3].

د – إنه ليستغفر للعالم من فى السماوات ومن فى الأرض[4].

هـ – مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم.

و – موت العالم ثلمة فى الإسلام[6].

ومن الواضح أن هذا التقديس ليس إلا مهزلة خرافية وضلالة وثنيّة زيّنها الشيطان ليحتنك بها ملايين البشر ويجرهم من خطامهم إلى مصارعهم ثم يقول لهم ﴿ **وماكان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ماأنا بمصرخكم وماأنتم بمصرخى** ﴾[7].

(١) داود علم (١) وابن ماجة مقدمة (١٧) والدارمى مقدمة (٣٢)وابن حنبل (٥ – ١٩٦)
(٢) داود علم (١٩) وابن ماجة المقدمة (١٧) والدارمى (٢٩) (٣) الدارمى مقدمة (١٩ ؛
(٤) ابن ماجة مقدمة (٢) (٥) ابن حنبل (٣ – ١٥٧) (٦) الدارمى مقدمة (٣٢)
(٧) ابراهيم(٢٢)

العلماء غير مقدَّسين ومهما قدسهم المقدسون فإن ذلك لا يبيح لهم افتراء الكذب على الله أو تفريق الدين شيعاً ومذاهب أو الاختلاف والشقاق فى كتاب الله ثم الذين قدَّسوهم ماهم بناجين من الحساب .

نعم العلماء الأتقياء الذين يعلمون الناس الكتاب ولا يكتمونه ويقولون الحق ولايخافون فى الله لومة لائم هؤلاء لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون لكن العلماء الذين يختلفون فى الكتاب ويفرقون دينهم شيعاً هؤلاء قد توعدهم الله بالعذاب العظيم .

فلا معنى لتقديس العلماء الذين ارتكبوا خطيئة المذاهب لن ينفعهم هذا التقديس الكاذب ولن يُفلت المقدسين من عذاب وَاصِبٍ قال تعالى ﴿ **ولن ينفعكمُ اليوم إذ ظلمتم إنكم فى العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين** ﴾[1].

فسقطت هذه الشبهة الضالة المضلة شبهة تقديس العلماء .

٩ - شبهة طاعة الكبراء

هذه شبهة الضعفاء تحيك فى صدور الأتباع والغوغاء إذا نهيتهم عن ضلالة أو حذّرتهم من منكر أو باطل احتجوا بأن الكبراء يفعلونه ويأمرون به ، إذا نهيتهم عن الربا قالوا الحكومة والبنوك تفعله وإذا نهيتهم عن الميسر من رهان أو يانصيب أو غير ذلك قالوا فلماذا تُصرح به الحكومة ؟! وإذا

(١) الزخرف (٣٩ - ٤٠)

زجرتهم عن خطيئة المذاهب وتفريق الدين شيعاً وأمرتهم بالاجتماع أمة واحدة على الكتاب والسنّة قالوا أسيادنا العلماء كلهم يتبعون المذاهب ، وعلى هذا النمط تكون إجابتهم عن كل ما يُنْهون عنه مخالفاً للدين .

فطاعة الأسياد والكبراء وإتباع خطوات الفقهاء هو خلق السوقة والدهماء من قديم الزمان وسوف يعتذرون لله عز وجل يوم الحساب كما اعتذروا للدعاة الناصحين فى الدنيا بنفس المقالة فما نفعهم الاعتذار فى الدنيا ولا فى الآخرة ولقد حكى الله تبارك وتعالى ذلك فى القرآن الكريم بقوله ﴿ **وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيرا** ﴾[1] وراحوا يتلاومون جميعا فى الآخرة فما أغنى ذلك من عذاب الله من شىء قال تعالى ﴿ **وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص** ﴾[2] وأمثال ذلك فى القرآن كثير يؤكد أن انصياع الضعفاء للكبراء لاينجى هؤلاء ولا هؤلاء بل هم جميعا فى العذاب شركاء ولو أنهم فضَّلوا طاعة الله على طاعة الكبراء لكانوا فى الآخرة من السعداء .

الناس مفتونون بحب المعالى ، يَتَشَوَّفُونَ دائما لصاحب المنصب العالى ، ولا يحترمون إلا سلطان الوالى ، ولا يستمعون إلا لكل شامخ متعالى .

(١) الأحزاب (٦٧ - ٦٨) (٢) إبراهيم (٢١)

إذا جاءهم النّصح الرشيد والقول السديد من التقى الخفى المتواضع قالوا إنما أنت زعنفة من الضفادع !! ماتخصصك ماوظيفتك مامرتبتك ؟!! ثم ولَّوا عنه معرضين .

وإذا سمعوا الكفر البَوَاح ، والرجس الفوّاح ، من ذى سلطان منيع أو مقام رفيع وصفوه بالنطق السامى ثم أصغَوا إليه مذعنين .

قول حبر الأحبار أو رأى مفتى الديار ولو كان يدعو إلى بوار أو يهدى إلى خسار هو أحب إليهم وأوقع فى نفوسهم من آية أو حديث يتلوها متواضع من الأبرار هؤلاء إنما إصغاؤهم لأصحاب المقامات لا للأحاديث والآيات .

إذا قرأت عليهم ﴿ **إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم** ﴾[1] تململوا وتحوّلوا وإذا قرأت عليهم ميثاق حقوق الإنسان للأمم المتحدة استبشروا وتهللوا قال تعالى ﴿ **وإذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾[2] وإذا قرأت عليهم قول الله تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[3] أو قول الله تعالى ﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾[4] انفضوا كالحين ، أما إذا قرأت عليهم ميثاق باندونج أو رابطة الدول الأفريقية اهتزوا فرحين ، هؤلاء قد مقتوا أنفسهم وَلَمقتُ الله أكبر من مقتكم أنفسكم قال تعالى ﴿ **ذلكم بأنكم**

(١) الشورى (٤٢) (٢) الزمر (٤٥)
(٣) آل عمران (١٠٣) (٤) المؤمنون (٥٢)

إذا دُعى الله وحده كفرتم وإن يُشرَك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ﴾[1] .

كل ذلك يوضح بأعظم بيان أن سواد البشر يدينون بالإجلال والطاعة للكبراء لا لما جاءهم به الأنبياء إلا النزر اليسير جدا من الخلصاء فإذا رأيتهم معرضين عن الداعى إلى الوحدة الإسلامية ومصرين على خطيئة المذهبية فأعلم أنهم إنما يتبعون سليقتهم وينصرون فريتهم ويُفرغون جعبتهم وكل إناء بما فيه ينضح .

طاعة الكبراء هى شبهة السفهاء إنما هى زَبَدٌ أو غثاء .

١٠ – شبهة احتكـار الأفتـاء

أى قصر الأفتاء فى الدين على أناس معينين ، لا يحل لغيرهم الكلام فى شئون الدين ، فيكونوا بذلك للفتوى محتكرين هذه شبهة يثيرها كثير من الناس إذا أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر يقولون لك هل أنت من علماء الدين المتخصصين ؟ ! لاتحل الفتوى فى الدين إلا لهم ولا نقبلها الا منهم .

وهذا ضلال مبين ، يُفضى إلى رفض النصح والهداية من غير المحتكرين ، وهذا صدٌ عن سبيل الله عظيم ، وهو إفتراء الكذب على رب العالمين ، وبرهان ذلك مايأتى : –

أ – لا نص بهذا الاحتكار المزعوم ، ولا تشريع إلا بنص ، وشرع مالم يأذن به الله شرك وظلم عظيم قال تعالى

(١) غافر (١٢)

﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾[1].

ب - لا نص بتحريم الأرشاد والتعليم ، والأفتاء تعليم ، فمن حرّم الأفتاء على أحد من المسلمين فقد افترى على الله الكذب قال تعالى **﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ﴾**[2].

جـ - أمر الله تعالى من كان عنده علم من الكتاب أن يبينه للناس ، ونهى عن كتمانه وتوعد على الكتمان بالعذاب الشديد قال تعالى **﴿ إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾**[3]. وقال تعالى **﴿ إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك مايأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾**[4]. وقال تعالى **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾**[5]. فهذا أمر ونهي عام لكل من عنده علم من الكتاب ، لم يجعله الله تعالى وقفاً على المحتكرين ، ففرية الاحتكار هى بهتان عظيم .

د - فرض الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على جميع المؤمنين والمؤمنات بلا احتكار لأحد أو تخصيص

(١) الشورى (٢١)
(٢) النحل (١١٦)
(٣) البقرة (١٥٩)
(٤) البقرة (١٧٤ - ١٧٦)
(٥) آل عمران (١٨٧)

لأحد قال تعالى ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾[1]. وقال ﷺ [**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيمان**][2]. فجعل الله ذلك فرضاً على كل مؤمن ومؤمنة لم يخص به إناسا دون آخرين .

هـ - فرض الله تعالى بذل النصح لكل مسلم ، أمراً عاماً لجميع المسلمين لم يجعله حكرا لطائفة منهم دون الباقين ، روى البخاري في صحيحه عن جرير ابن عبد الله قال [**بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**][3]. وقال ﷺ [**الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**][4]. وأعظم النصح وأوجبه هو الأرشاد إلى الحق والتحذير من الضلال والباطل ، لا احتكار في ذلك لأحد .

و - أخطأ أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما أمر وهو على المنبر بتحديد مهور النساء (**عدم المغالاة فيها**) فردّته امرأة إلى الصواب بآية من كتاب الله ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً** ﴾[5] فقبل فتواها ورجع عما أمر به ، فهذه فتوى من الأدنى للأعلى قوبلت بالأذعان والتسليم ولم تُرفض بدعوى الاحتكار الكاذبة وأن الفتوى لا تحل إلا للمتخصصين !!! .

(١) التوبة (٧١) (٢) مسلم (١ - ٢٥)
(٣) فح (٥٧) (٤) مسلم إيمان (٩٥)
(٥) النساء(٢٠)

ز - أخطأ ابن عباس لما أفْتى بأن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين فردّه إلى الصواب غلام بآية من كتاب الله وكان أبو هريرة حاضراً فقال أنا مع ابن أخى (**أى الغلام أبو سلمة**) وأيدتهما أم المؤمنين أم سلمة[1] ، فهذه فتوى من الأدنى للأعلى قوبلت بالأذعان والتسليم ولم تُرفض بدعوى الاحتكار الكاذبة .

فثبت من كل ما تقدم سقوط هذه الشبهة الخرقاء ، شبهة احتكار الأفتاء ، لجماعة من الفقهاء .

ومُستغل هذه الشبهة هم الغوغاء والفقهاء على السواء يتنطع بها الغوغاء ويتذرّع بها الفقهاء .

أما الغوغاء فتحملهم الجهالة ، على التترسّ بهذه الضلالة لصد الناصحين إذا حذروهم من خطيئة المذاهب ، وحتى لا يفتضح جهلهم إذا عجزوا عن البراهين لاثبات ضلالتهم ، فيتخلصوا من المأزق بإحالة الداعين إلى فتاوى المختصين .

أما الفقهاء فهم يعلمون قوة الحجة ونصاعة البرهان على خطيئة المذاهب ، لأنها آيات بينات من كتاب الله تَتْرَى ، وأحاديث شامخة فى الصحاح لاينكرها إلا الأشقى . الفقهاء يعرفون ذلك تمام المعرفة ، ولكنهم نشأوا فى المذاهب وعلموا الناس المذاهب ، وهم رؤوس ذوو مآرب ، يحيدون عن المصاعب ، فهم يتذرعون بدعوى الاحتكار لكى يتجنبوا النقاش والحوار ، فى قضية محتوم عليهم فيها الخسار ، يقولون للداعى أن للفتيا رجالا من الأحبار هم وحدهم أصحاب القرار .

(١) (٤٩٠٩) فح

ثم هؤلاء الفقهاء مامنهم إلا مَن هو أحد الأصناف الخمسة الذين ذكرناهم فى شبهة (**سكوت الأحبار**) ص١٠٧ كل صنف منهم يعمل على شاكلته قال تعالى ﴿ **قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا** ﴾[1]

والذين جُعلت لهم حكرة الإفتاء هم كبار العلماء – من وجهة نظر الحاكمين – لا من حيث الحق اليقين ، الذى يعلمه رب العالمين – هم الذين أُسْنِدت لهم رئاسة العلماء ، أو أنيطت بهم مناصب الأفتاء ، أو قُلّدوا رئاسة القضاء أو ماشاكل هؤلاء ، وهؤلاء جميعا هم عمال الحاكم هو يوليهم وهو يعزلهم .

ففضلا عن أن احتكار الأفتاء هو فى ذاته عمل زائف ، وأن قصره على طائفة من الوظائف ، أصحابها فى قبضة الحاكم مامنهم إلا طامع أو خائف ، كل ذلك يجعل الأفتاء ، مجرد تعبير عن هوى الحاكم ، ولو عارض ذلك جميع الشرائع ، وأى أفتاء فى الدين هذه صورته ، وتلك حقيقته هو أحق أن ينبذ بالعراء ويُقابل بالرفض والإزدراء ، ليس هذا بأفتاء وإنما هو ترجمة أهواء ، وفيما يلى تفصيل ذلك والله المستعان :

١ – الأفتاء فى الدين هو كُلُّهُ لله فى كتابه أو على لسان رسوله ، لا لأحد من الناس كائناً من كان كلما سأل الناس عن شىء أفتاهم الله ، ولم يُفتهم أحد سواه والأفتاء كله لله قال تعالى ﴿ **يستفتونك قل الله يُفتيكم فى الكلالة ..** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن .** ﴾[3]

(١) الاسراء (٨٤) (٢) النساء(١٧٦)
(٣) النساء (١٢٧)

وقال تعالى ﴿ يسألونك عن الأهلة .. يسألونك عن الخمر والميسر ، يسألونك عن المحيض ، يسألونك ماذا ينفقون ، يسألونك عن الشهر الحرام ، وغير ذلك كلما استفتى الناس أو سألوا عن شيء أفتاهم الله عز وجل ولم يُفتهم أحد سواه فالفتوى كلها لله ، فما زالوا كذلك حتى أتم الله النعمة وأكمل الدين ثم قبض نبيه الكريم وترك فيهم الكتاب العزيز تُفَصِّله سنة النبى الكريم ، فيهما الفتوى لكل شيء والاجابة عن كل سؤال ، وأوصاهم الله عز وجل ألا يسألوا إلا الله قال تعالى ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾[1] وأمرهم ألا يحتكموا فى أى نزاع إلا إلى الله والرسول قال تعالى ﴿ **فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾[2] .

فالأفتاء فى الدين هو كله لله ، ورسول الله ﷺ هو المبلغ لأمر الله المفصّل لأحكامه ، ماأفتى فى الدين برأى نفسه قط قال تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحى يوحى** ﴾[3] . هذا وهو سيد البشر أجمعين فكيف بالذين يفتون بآرائهم فى الدين ويتنافسون فى المفتريات والتفانين ؟ ! أتشرعون من الدين مالم يأذن به الله ؟ أم تفترون على الله الكذب ؟ ! أم يوحَى اليكم ، أم لكم دين غير هذا الدين ؟ !

أيما أنسان يفتى فى مسألة من مسائل الدين ليس له الاطريقان إما أن يخرج لنا الحكم من كتاب الله وسنة رسوله ،

(١) الشورى (١٠)   (٢) النساء (٥٩)   (٣) النجم (٣ - ٤)

فهذه إذا ليست فتواه وإنما هى فتوى آلله اخرجها لنا مشكورا من كتاب آلله ، وإما أن يفترى حكما ليس فى كتاب آلله ولا فى سنة رسوله ، وإنما هو رأى ارتآه أو نقله عن شيخه أو مذهبه أو مصنفات الآخرين ، فهذا افتراء يضرب به عرض الحائط ، لاكرامة للمفترين ﴿ **قل آلله أذن لكم أم على آلله تفترون** ﴾[1]

١ – الأفتاء فى الدين هو كله لله رب العالمين ، إما نقرؤه نحن فى كلام آلله أو كلام رسوله ، أو يخرجه لنا الباحث الأمين غير متأول ولا متكلفة ، ولابتفلسف ولا متعسف ،فاذا ثبت ان الافتاء فى الدين ، لايكون إلا لله رب العالمين ، أصبحت قضية احتكار الأفتاء وحبسه على اناس معينين ، هى قضية غير ذات موضوع ، لأنها نزاع على أمر ممنوع ﴿ **ليس لك من الأمر شيىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فأنهم ظالمون** ﴾[2]

٢ – هذه الفئات من العلماء ، التى احتكرت الأفتاء ، هم من البشر الخطائين فاذا كان الأفتاء حكرا عليهم ، امتنع قيام افتاء آخر من غيرهم يصحح أخطاءهم ، وفى هذا كتمان للحق ، وإرغام الناس على قبول الباطل واتباع الضلال .

٣ – هؤلاء المحتكرون للأفتاء هم عمال الحاكم ، فلا يكون منهم إلا تزيين أفعاله ومتابعة هواه ، وهذا يطعن الفتوى فى الصميم ويقتلعها من جذورها ، ويبطل اعتبارها عند كل مسلم رشيد ، وكل انسان يرى رأى العين ، ممالأة الفقهاء

(١) يونس (٥٩) (٢) آل عمران (١٣٨)

للحاكمين فى الشرائع المناقضة للدين ، وتلك الأيام التى نعيشها طافحة بالأمثال ، سل النساء عنها قبل الرجال ، وافتح السجلات تفجعك الأهوال .

٤ - ليس فى الأسلام كهنوت ، ولاتأليهُ طاغوت - ليس فى الدين أسرار ، يحتكرها فريق من الأحبار - ليس فى الأسلام شفرة ولاطلاسم ، مطوية فى الخزائن أو مخفية فى القماقم ، يحتكرها فقيه أو عالم .

كتاب آلله وسنة رسوله ملك مشاع لجميع المسلمين ، هما فى متناول الجميع ، يستطيع أدنى المسلمين أن يقارع بالآية أو الحديث أمير المؤمنين ، أعلاهم وأدناهم يجب أن يأتوا للحق مذعنين .

القرآن هو شرعنا الوحيد ، والسنّة من بعده تفصيل وتحديد ، ومالمحتكر الفتوى من شرع جديد ﴿ **قل جاء الحق ومايبدىء الباطل ومايعيد** ﴾

٥ - ليس فى الأسلام مجمع قدّيسين ، ولاطيلسان سحرى لرجال الدين ، كل مسلم عنده شيىء من علم الكتاب هو من رجال الدين ، سواء قبع فى الدكاكين أو جالس السلاطين ، ليست وظائف الدين هى التى تخول شاغليها التحدث فى الدين ، أنما العلم بالدين عند أى رجل من المسلمين هو الذى يخوله ذلك ، سواء كان شاغلا لوظيفة فى الدين أولا ، وكم من شاغل لوظائف الدين هم فى ضلال مبين ﴿ **منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون** ﴾ وحسبكم

(١) سبأ (٤٩)

أصحاب المذاهب وتناقضاتهم الرهيبة فى شرائع الدين ، أفيُسمع لهؤلاء لمجرد أنهم من رجال الدين ؟ !
انما الفتوى لله رب العالمين ، ينقل لنا نصوصها كل عالم أمين ، لا فتوى لبشر فى الدين ، فاذا ثبت سقوط الفتوى عن الناس أجمعين ، فاحتكارها لطائفة منهم هو أفك وضلال مبين .

٦ - ليس فى الأسلام أصنام بشرية يجثو أمامها ملتمس العفو والأحسان ، وليس فى الأسلام صكاكُ إفكٍ تباع لطالب الغفران ، بل آلله وحده هو الذى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، وهو الذى يعطى ويمنع كما يشاء ، لايشرك فى حكمه أحداً ولكن عابدى الأحبار ، ومؤلهى كل حبّار ، يتمرغون فى الصَّغار بالليل والنهار ، عدَلوا عن عزّ العبودية للواحد القهار ، إلى ذل العبودية لكل هالك من الأشرار .
فليخلع المحتكرون سرابيل البهتان ، وليؤدُّا أمانة العلم ويحذروا الكتمان ، ولايتخذوا احتكار الفتوى ذريعة للسلطان .

٧ - ليس فى الأسلام توكيلات إلهيه ، أو تفويضات سماوية ، لمن يسمونهم رؤساء الأديان ، أو تفويضات لتَلَقّى اعترافات أهل العصيان ، باستدراجهم خلف ستائر الكُهّان ، ابتغاء سُحتٍ أو غِيلةٍ أو سلطان ، كل ذلك رجس من عمل الشيطان بل العصاةُ مأمورون أن يستتروا بستر الرحمن ، وأن تكون توبتهم فى كنف الملك الديان ، ذلك اعفَى للأثر ، وأدفع للخطر ، وأدعى للاطمئنان ، فيادُعاة الحكرة لاتفتحوا الأبواب للشيطان حسبكم تربُصه وراء الجدران .

٨ – ليس فى الأسلام ألقاب فخر للعالين ، ولاهالات مَجدٍ للمستكبرين ، ولاشارات غُلْبٍ ، ولا أرقام ثوبٍ ، تميز الأشراف عن الضعاف ولا الحكام عن المحكومين .

اَلْقَى عبد آلله ابن عمرو ابن العاص وسادةً إلى رسول آلله ﷺ ليجلس عليها ، فجلس على الأرضْ ، وصارت الوسادة بينهما أَبى رسول آلله ﷺ أن يَتَمّيز فى مجلسه بوسادة وكذلك فعل الخلفاء الأربعة من بعده ، يجلسون مع الناس على الأرض ، لانمارق عجمية ، ولاقاعات بيضاوية ، لم يتميزوا عن الناس فى مجالسهم بشيىء .

ثم هؤلاء الأمراء والرؤساء ، كانوا لايُدعَون إلا بمجرد الأسماء ، دون ألقاب ، فأذا إجتهد أحدهم فى التكريم كانت الكنية غاية التعظيم ، بذلك انكشف الهوان عن نفوسهم ، وانعدم الذل والخُضوع فى صفوفهم ، إلا لرب العرش العظيم وحده دون سواه ، لكن المسلمين الذين قلدو الكافرين فى كل شيىء قد تنافسوا مثلهم فى الألقاب ، فظهر فيهم ، قاضى القضاه وشيخ المشايخ ، وحبْر الأحبار ، ومفتى الديار ، والصدر الأعظم والأمام الأكبر ، وملك الملوك ، وشاهنشاه ، وفنون من جنس ذلك كثيرا ، أحدثت فجوة هائلة بين المرؤوسين والرؤساء ، وأغْرتِ الكبار بالغطرسة والكبرياء ، وأرغمت الصغار على الخنوع والانحناء ، فتولدت من ذلك عبادة الكبراء والفقهاء ، وآلله عز وجل يمقت ذلك أشد المقت .

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول آلله ﷺ قال [**أخنعُ الأسماء يوم القيامة عند آلله رجلٌ تَسَمَّى ملك الأملاك**][1]

ألقاب العالين فى تباب ، وأنوفهم راغمة فى التراب ، وهم أهون على آلله من الذباب ، فَنَهْنهُوا أيها المحتكرون من الألقاب ، وكَفْكِفُوا من التفاخر فى المجالس والمراكب والثياب ، كل الناس لآدم وآدم من تراب ، ولاتغرينكم ألقابكم بالاستكبار ، ولاتأخذنكم العزة بالاثم ، فتستنكفوا عن الرجوع إلى الحق ، فان آلله هو الواحد القهار ، وهو يقصم كل جبّار .

٩ - ليس لبشر سلامة من الأخطاء ، كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، لاعصمة من الخطأ فى الدين لأحد من الناس كائنا من كان ، دون رسول آلله ﷺ ، فأذا أخطأ أحدكم أيها المحتكرون للأفتاء ، وردّكم إلى الحق أصغر صغير من المسلمين ، بالنص القطعى والسلطان المبين ، فأقبِلوا على الحق مخبتين مذعنين ، واحمدوا آلله الذى ساق لكم البراهين وجعل فيكم ناصحين .

يتبين من كل ماتقدم أن احتكار أية طائفة للافتاء والحكم فى شرائع الدين ، هو شر مستطير يتحتم ابطاله واستئصاله بل الحق أحق أن يتبع ولوقاله المستضعفون والباطل أحق أن يُقْتلع ولو قاله العالون .

الأفتاء أو الحكم فى أية شرعة من شرائع الدين ، يجب أن يكون أولا وآخرا ، ودائما وأبداً ، للنصوص المتيقنة

(١) فح (٦٢٠٥)

الصحة القطعية الثبوت ، من الكتاب والسنة لالكبار الرؤوس ، ولالنفر مخصوص لالحبر الأحبار ، ولالمفتى الديار ، ولا لأعلى لقب من الكبار .

اذا كان الافتاء فى مسألة فردية ، فأى رجل من المسلمين عنده فيها علم صحيح ، من النصوص الثابتة لامن آراء الأحبار ، ولا من بطون الأسفار ، ففى وسعه الأجابة (**أى الافتاء**) مقرونة بالنص المتيقن من كلام آللّه وكلام رسوله .

واذا كان الأفتاء مطلوبا فى مسألة عامة ، تهم جميع المسلمين ، فلا يقومنَّ بها أبداً أى رجل بمفرده ، كائنا من كان ، علْماً وفضلا ومنصبا ، لأنه بشر من الخطائين ، ولاينبغى إذاعة الخطأ فى الدين على ملأ المسلمين ، فَيُضل به مِنَ الخلق كثيرين .

بل يجب أن يصدر الأفتاء فى الدين الموجه إلى شعوب المسلمين ، عن جماعة من رؤساء العلماء المتقين (**أى لجنة**) وأن تصدر الفتوى عنهم مجتمعين ، مؤيّدة بالنصوص القطعية الثبوت من السنّة والكتاب ، لامن تعاليم المذاهب والأحزاب ، ولابرأى أى واحد منهم ولا برأى جميعهم ولا برأى أى انسان ، كائنا من كان (**الرأى فى الدين مرفوض رفضاً باتّا مطلقاً فى كل شيىء الدين من عند آللّه وحده دون سواه**) ويجب أن يكونوا جميعا مستقلّين تمام الاستقلال ، ليس أى فرد منهم مرؤوسا لآخر فى نفس اللجنة أو مشتركا معه فى أى عمل ، بل يأتون جميعا من أطراف متباعدة ، ليس لأى واحد منهم على الآخر أدْنى شبهة من سلطان بل ويجب

أن يُذكر فى صلب الفتوى إن كان ذلك بأجماع الأعضاء أو هو بأغلبيتهم فقط وفى هذه الحالة يتحتم ذكر حكم كل مخالف مقرونا بحجته ، فقد يكون الحق فى جانب الأقلين والخطأ فى جانب الأكثرين ، فاذا اذيعت الفتوى على المسلمين بهذا الوضوح وهذه الصراحة ، علم الناس فى المشارق والمغارب اين الصواب واين الخطأ ، وعلموا من المصيب ومن المخطىء ، لامداهنة ولا مداراة ، وكان بعد ذلك من حق كل مسلم عنده الدليل القاطع على بطلان الفتوى كلها أو بعضها أن ينشر على ملأ المسلمين الصواب الذى يعلمه بحجته وبرهانه ، وكل حجة لأى انسان ليست فى كتاب آلله أو سنّة رسوله هى حجة داحضة لا اعتبار لها ، فعند ذلك يظهر الحق والمحقون ويتوارى الباطل والمبْطِلون ﴿ **ويحق آلله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾

١١ - شبهة اختلاف القراءات .

يقول المحتجون بهذه الشبهة فى تبرير الاختلاف فى الكتاب (**اختلاف المذاهب والأحزاب**) يقولون أليس الذين اختلفوا فى قراءة القرآن ، وكاد أحدهما أنيساور الآخر فى صلاته ، لما اختصموا الى رسول آلله ﷺ وعرضوا عليه القراءات المتباينه قال كلاكما محسن ؟ ! فاذا جاز الاختلاف فى قراءة القرآن ولم يثرّب رسول آلله ﷺ على واحد منهم ، بل قال كلاكما محسن فَلِمَ لايجوز أيضا الاختلاف فى الأحكام والشرائع ؟ ! ويكون كل واحد من المختلفين مُحسناً ، ولاداعى للتثريب عليه .

(١) يونس (٨٢)

قلنا لهم هذا هو عين التنطع والغَباء ، أجعلتم الحرام كالحلال لمجرد تشابه الأسماء ؟ ! جعلتم الذى اباحه آلله كالذى حرّمه آلله ؟ ! أليس آلله الذى أباح تَنَوُّعَ القراءة على الأحرف السبعة هو الذى حرّم الاختلاف فى الكتاب ونعته بالشقاق البعيد ، وتوعد عليه بأشد الوعيد ؟ ! فما لكم كيف تحكمون ؟ !

قالوا اختلاف القراءات ، هو كاختلاف التشريعات ، كلاهما اختلاف وزَعَمُوا أنه مادام قد جاز اختلاف القراءات فى الكلمة الواحدة ، فقد جاز اختلاف الأحكام فى الشرعة الواحدة ، وكل واحد من المختلفين محسن ! ! !

فقلنا لهم الفرق هائل بين الاختلاف فى قراءة الكتاب ، والاختلاف فى شرائع الكتاب ، هذا خيار حلال بين مباحات ، وهذا شقاق حرام من أشد المحرمات ، حكم الاختلاف فى القراءات غير حكم الاختلاف فى الشرائع فليسوا سواء ، ولو اشتركوا فى لفظا الاختلاف ، ونَضرب لهم مثلا ، المطر ماء ، والبول ماء ، فهل حكم المطر كحكم البول لمجرد اشتراكهما فى لفظ الماء ؟ !

فالذين قاسوا اختلاف التشريعات على اختلاف القراءات ، قد وقعوا فى الضلالات قال ﷺ هلك المتَنطعون قالها ثلاثا .

إن آلله تعالى هو الذى انزل القرآن على سبعة أحرف تيسيرا على أصحاب اللَّهجات المختلفة من المسلمين[1] فالقارئون بهذه

(١) فح (٤٩٩١ - ٤٩٩٢)

الأحرف المختلفة ليسوا فى الحقيقة مختلفين ، بل هم محسنون آخذون برخصة آلله تعالى منفذون لأمره ، أما أما الذين اختلفوا فى الكتاب وغيّروا شرائع الدين كما فعلت المذاهب والأحزاب ، فأولئك نعتهم آلله بالشقاق البعيد ووعدهم العذاب الشديد .

على أن الأحرف السبعة التى أُنزل عليها القرآن غير معلومة علم اليقين لانص يفصّلها ، وقد اختلفت فيها الأقاويل ، ولذلك فمن الأرجح أن هذه الأحرف السبعة كانت عبارة عن لهجات القبائل المختلفة فى جزيرة العرب ، لهجة قريش غير لهجة هذيل غير لهجة غطفان غير لهجة تهامة وأنزل آلله تعالى هذه الرخصة تيسيرا على الداخلين فى الأسلام فى بداية الأمر لكى يقرؤا القرآن كل قبيلة بلهجتها خصوصا وأنهم كانوا أميين لاتجمعهم القراءة والكتابة على لهجة واحدة وعندما قُبِضَ النبى ﷺ كان الأسلام قد غطى جزيرة العرب بأكملها وجاوزها إلى ماجاورها من البلدان وكثر القراء من المهاجرين والأنصار - وانبثوا فى جميع الأرجاء ، فلم تعد هناك حاجة إلى تلك اللهجات المختلفة ، وقرأ الجميع القرآن بلغة قريش الذى كان مكتوبا بها فى الجريد واللخاف والجلود والأكتاف ، ومحفوظا بها فى صدور القراء من المهاجرين والأنصار ، فلما نسخ عثمان المصحف من تلك الجلود والاكتاف التى أملاها النبى ﷺ على كتبة الوحى بلهجة قريش أمرهم عثمان اذا اختلفوا (عند النسخ) فى حرف من

حروف القرآن أن يكتبوه بلهجة قريش فهى التى نزل بها القرآن ونشر هذا المصحف الأمام فى الأمصار وأمر بأحراق كل ماعداه ، وهذا المصحف الأمام هو الذى نقرؤه الآن فى مشارق الأرض ومغاربها ليس فيها أى اختلاف من أقصى المعمورة الى أقصاها ، وتمت كلمة ربك الحسنى ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾[1] وبذلك رُفِعت رخصة قراءة القرآن على الأحرف السبعة رفعاً عملياً ، ليس فى المصاحف التى فى أيدى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلا كتابة واحدة ، وقراءة واحدة هى لهجة قريش ، ولذلك لاتجد فى النصوص أى بيان عن تلك الأحرف السبعة ، ماهى ؟ ! ولِمَنْ هيكانت رخصة مؤقتة فى بدء الأسلام ثم رفعها الله تعالى لانعدام الحاجة إليها بل ولقيام الحاجة الملحة إلى توحيد كتابة القرآن وقراءته توحيدا للجماعة ، ومنعاً للاختلاف وتأكيداً لحفظ القرآن العظيم كتابا واحدا لا اختلاف فيه البتة ﴿ **تنزيل من حكيم حميد** ﴾[2]

قُلنَا أن الأحرف السبعة نفسها ليست معلومة علم اليقين بل هى مجال لكثير من الحدس والتخمين ، فقد أوصلها (قراءه) بعض المصنفين إلى قرابة خمسة وثلاثين ، ولكن الأحرف السبعة بالتأكيد ليست هى القراءات السبعة التى صنعها مشايخ القارئين ، لانص ولابرهان ولابيّنة ، إنما هى تفانين من وراء تفانين ، ونماذج من اللغو والعبث بالدين نعوذ بالله من الضلال والمضلّين .

١) الحجر (٩)

(٢) فصلت (٤٥)

هذه الآحرف السبعة التى كان مأذونا بها فى حياة النبى ﷺ لم يكن يعلمها أحد غير النبى ﷺ والذين أقرأهم إياها من أصحابه فمثلا قرأ النبى ﷺ سورة الفرقان على عمر ابن الخطاب بحرف من هذه السبعة فحفظها كذلك (**كما أقرأه إياها النبى** ﷺ) وقرأ النبى ﷺ نفس سورة الفرقان على هشام ابن حكيم بحرف آخر من السبعة نحفظها كذلك ، لاهشام يدرى حرف عمر ولاعمر يدرى حرف هشام والنبى ﷺ يدريهما جميعا قرأ سورة الفرقان على عمر بلهجة قريش لأنه قرشى ، وقرأها على هشام بلهجة بنى أسد لأنه أسدىّ ، وهكذا كلما قرأ القرآن على أحد من أصحابه ، قرأها على الحرف الذى هو من لهجة قومه ، فلا يعرف أحد من الأصحاب إلا الحرف الذى تعلمه من النبى والنبى ﷺ يعلم الأحرف كلها .

فاختفت الأحرف السبعة بوفاة الذين تعلموها من النبى ﷺ ولم يبق إلا حرف واحد هو حرف لهجة قريش التى كتب بها القرآن فى اللخاف والأكتاف ثم نسخت فى المصحف الأمام ، وأُحرْق ماسواها من الأحرف الأخرى التى كتبها الناس لأنفسهم تعلُّما من النبى ﷺ أو تعلّماً من أسلافهم من النبى ﷺ وهكذا أبقى الله تعالى للمسلمين بعد نبيهم حرفا واحدا بلهجة واحدة فى مصحف واحد هو المصحف الأمام لامصحف غيره ، فلله الحكمة البالغة وهو أحكم الحاكمين .

فنحن مع كراهتنا ورفضنا لجميع القراءات ، غير التى فى

المصحف الأمام الذى حفظه ٱللّٰه تعالى دون سواه من المصاحف ، نحن مع ذلك نجد القراءات التى تعلق بها المتعلقون ، تقع فى صنفين اثنين :

١ - صنف لايُغير المعنى يمكن التغاضى عنه على مضض وإن كان مافى المصحف الأمام هو الأكمل والأفضل والواجب اتباعه والتزامه من جميع المسلمين ، ومن أمثلة هذا الصنف الذى لايُغيّر المعنى ، من قرأ (التابوه) بدلا من (التابوت) ومن قرأ (عتّى حين) بدلا من (حتى حين) ومن قرأ (طلع منضود) بدلا من (طلح منضود) ومن قرأ (تِعلمون) بدلا من (تَعلمون) أو أى شيء مثل ذلك ، لم يغيّر المعنى ، وانما هى مرادفات مختلفة من لهجات مختلفة للمسمى الواحد تفيد نفس المعنى فهذه يمكن السكوت عنها .

٢ -صنف يغيّر المعنى مثل من قرأ ﴿ **واتموا الحج والعمرة للبيت** ﴾ بدلا من ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ ومن قرأ ﴿ **وانذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم الصالحين** ﴾ بزيادة جملة فى الآية ليست من القرآن ومن قرأ ﴿ **والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والأنثى** ﴾ بدلا من ﴿ **وماخلق الذكر والأنثى** ﴾ فاسقط من الآية عبارة (**وماخلق**) ومن قرأ ﴿ **وجاءت سكرة الحق بالموت** ﴾ بدلا من ﴿ **سكرة الموت بالحق** ﴾ محدثا تقديماً وتأخيرا فى القرآن ، فهذا وأمثاله يجب نسفه نسفاً وازالته فوراً والنكال بفاعله نكالاً ، ليكون لمن بعده عبرة وردعاً ، ففضلا عن أن تلك القراءات هى افتراء الكذب على ٱللّٰه فهى تضل

الكثيرين وقد تُغيّر بعض شرائع الدين فتقع تحت طائلة قوله تعالى ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند ٱلله ليشتروا به ثمنا قليلا فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ وتحت قوله تعالى ﴿ **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند ٱلله وماهو من عند ٱلله ويقولون على ٱلله الكذب وهم يعلمون** ﴾

كل ذلك وامثاله مما يغير صورة القرآن ولفظه ورسمه ومعناه فهو مرفوض رفضاً باتاً بتحتم تغييره فوراً .

فاختلاف القراءات على الأحرف السبعة الذى كان مأذونا به على عهد رسول ٱلله ﷺ والذى تَلاشى تلْقائيا بتوحيد اللهجات كلها فى لهجة المصحف الأمامْ ، لم يكن خلافا بين حلال وحرام بل كان ممارسة لمباحات مختلفة كلها حلال ليس فيها أى فعل حرام كالذى تقترف المذاهب باختلافها فى الكتاب من افتراء الكذب على ٱلله بتحليل ماحرم ٱلله وتحريم ماأحل ٱلله ، وليس فيها شرع مالم يأذن به ٱلله كما فى المذاهب ، فلا مقارنة بين اختلاف القراءات ، واختلاف المذاهب فى الكتاب فسقطت هازه الشبهة كسابقاتها وتعدت خطيئة المذاهب عن كل حجة أو برهان .

١٢ - شبهـة الاجتهـاد .

هذه شبهة فسيحة ، تختلط فيها الأقوال المليحة بالأفعال القبيحة ، كشبهة المتوسلين العصاة ، بالصالحين التقاة التوسل

(١) البقرة (٧٩)   (٢) آل عمران (٧٨)

بالاعمال خير عميم والتوسل بالأولياء فعل ذميم ، قد نعت الله كل متوسل بالأولياء والأبرار ، بأنه كاذب كفار قال تعالى **﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يمختلفون ان الله لايهدى من هو كاذب كفار ﴾**

فكذلك الاجتهاد فى الأحكام منه صالح مأجور ومنه فاسد مأزور المتعلقون بشبهة الاجتهاد من المتمذهبين يقولون ، أليس الاجتهاد مشروعاً ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ، ومن اجتهد فأصاب له أجران ؟ ! إذا فلا بأس باختلاف المذاهب ، لأن للمخطىء منه أجر وللمصيب أجران .

هذه قضية كبيرة ، تحتاج تفصيلات كثيرة ، لأزالة اللَّبس والغموض وليس هذا الكتاب مجالها ، ولكن هذا لايمنع من القاء بعض الضوء عليها ليعرف الباحث طريقه ، ولايضل السالك سبيله .

الاجتهاد الخاطىء الذى يؤجر صاحبه هو بالضرورة الاجتهاد غير المتلبس بكبائر أو معاصى ، هو الاجتهاد غير المخالف للنصوص هو الاجتهاد الذى لايشرع من الدين ما لم يأذن به الله ، فان ذلك شرك وظلم هو الاجتهاد الذى لايُحل ماحرّم الله ولايُحرّم ما أحل الله ، فإنَّ هذا هو افتراء الكذب على الله هو الاجتهاد الذى لايحدث فى الدين ماليس منه ، ولايعمل عملا لم يكن عليه أمر رسول الله ، ولايشترط شرطا ليس فى كتاب الله ، فكل ذلك رجس مرفوض وعمل

مردود ، هذا هو عين الاختلاف فى الكتاب الذى نعته آلله بالشقاق البعيد ، ووعد عليه بالعذاب الشديد ، هذا هو الاختلاف فى الدين ، الذى هو هلاك الأولين والآخرين .

ونضرب مثلا للاجتهاد المردود غير المأجور لتورطه فى كبيرة من الكبائر هى كبيرة الربا (**احدى السبع الموبقات**) والذى ردّه رسول آلله ﷺ

١ - روى البخارى فى صحيحه مافعله أخو بنى عدى الأنصارى الذى ولّاه النبى ﷺ على خيبر فَجَءَهُ بتمرٍ جَنيب (أى جَيِّدْ) [**فقال له النبى ﷺ أكلّ تمر خيبر كذا ؟ ! قال لا وآلله يارسول آلله إنا لنشترى الصاع (أى من هذا الجَيِّد) بالصاعين من الجمع (أى التمر الردىء) قال ﷺ لاتفعل . بِعْ الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم حنيباً**]

٢ - وروى البخارى فى صحيحه مافعله بلال اذ جاء النبى بتمرٍ بَرْنِّى فقال له النبى ﷺ [**من أين هذا ؟ ! قال بلال كان عندى تمر ردىء فبعت منه صاعين يصاع لنطعم النبى ﷺ فقال النبى عند ذلك أوَّه أوَّه عين الربا لاتفعل ولكن إذا ارْدت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتريه**]

فهذان الصحابيان اجتهدا فخالفا النّص واقترفا الربا الحرام ، فردّ النبى ﷺ اجتهادهما المخالف لشرائع الاسلام - فلا يقبل أى اجتهاد مخالف للنصوص ، انما يقبل الاجتهاد اذا كان موافقا للنص ، وانما وقع الخطأ فى التقدير

(١) فح (٢٢٠)   (٢) فح (٢٣١٢)

فقط ، والتقدير يختلف من زمان الى زمان ومن مكان عن مكان ومن رجل الى رجل وهو تفاوت مأذون فيه لانه تفاوت فى المقدار فقط ولكنه كامل المطابقة والموافقة للنصوص كما فى تقدير المهور والنفقات والأجور والمغارم وجزاء الصيد وغير ذلك ، فأن الحاكم فى كل ذلك مأمور أن يقدر برأى نفسه تباعاً لعرف زمانه ومكانه ، فان أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ، لكن لايُقبل ابداً اى اجتهاد يخالف شرائع الكتاب .

فسقطت هذه الشبهة مبرراً لاختلاف المذاهب فى شرائع الكتاب .

١٣ - شبهة السنّة الحسنة .

يقول المحتجون بهذه الشبهة أن من سنَّ فى الاسلام سنَّة حسنة فله أجرها ومثل أجور من عمل بها بعده لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، فكل جديد فى الاسلام ، له صفة السنّة الحسنة هو عمل مبرور ، وفاعله مأجور ، والمذاهب فى الاسلام ، هى من هذه السنن الحسنة ، لأنها دراسات فى الشرائع والأحكام ، تعود بالخير على أمة الأسلام ! ! ! هل وعيتم هذا الكلام ؟ !

هل سمعتم قصة التى أباحت فرجها لتطْعم الأيتام ؟ !

هل عرفتم مغالطة المشركين (**الأب والابن والروح القدس إلّهٌ واحد**) تمويها على العوام ؟ !

هل علمتم جواب الوثنيين (**مانعبدهم إلا ليقربونا إلى آللّه زلفى**) دفاعاً عن الاصنام ؟ !

ان تبرير خطايا المذاهب بأنها من قبيل السنّة الحسنة ، هو أقبح من كل ذلك الكلام ! !

كيف تكون معصية آلله بالاختلاف فى الكتاب سنّة حسنة ؟ !

كيف يكون شرع مالم يأذن به آللهِ سنّة حسنة ؟ !

كيف يكون تحريم ماأحل آلله أو تحليل ماحرّم آلله سنّة حسنة ؟ !

كيف تكون البدع المردودة والأحداث المرفوضة سنّة حسنة ؟ !

أتقولون للشقاق البعيد ، والظلم الشديد ، وافتراء الكذب على آلله ، أتقولون لهذا وماشاكله أنه سنّة حسنة ؟ !

كلا ، لاحجة فى شيىء من هذا الكلام ، ولابراءة لأحدهم من الأجرام بل هم يعمهون فى الظلام ، تخبلهم الأوهام ، وتثقلهم الآثام ، كلا ، بل للعاهر الحجر ، وللمشرك مقعده فى سقر لامحيص للمجرمين من النار ، ان آلله لايهدى من هو كاذب كفار ان احتجاج المتمذهبين بالسنّة الحسنة ، انما هو كلام من أجل الكلام لأنه لايُحل لهم الحرام ولايبرئهم من الآثام ، بل هو خلط غبى جاهل ، يلبّس عليهم الحق بالباطل ، وفيما يلى تفصيل وبيان :

هذه العبارة التى أوردها المتمذهبون وادّارؤا فيها ، هى طرف من حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه عن جرير ابن عبد آلله قال [**جاء ناس من الأعراب الى رسول آلله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث**

الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى رُؤى ذلك فى وجهه قال ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من وَرِقْ ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عُرف السرور فى وجهه فقال ﷺ من سنَّ فى الأسلام سنّة حسنة فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها ولاينقص ذلك من أجورهم شيىء ومن سنّ فى الأسلام سنّة سيئة فعمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولاينقص.من أوزارهم شيىء]

فالسنة الحسنة هنا التى سيق الحديث لبيانها هى حثّ الناس على الصدقة كلما رأى بقوم حاجةً وسوء حال ، وهذا مثلٌ من أمثالٍ لاحصر لها من أعمال التطوع بالبر ، يستطيع كل راغب فى الخير أن يسنّ أمثاله ، وكل جديد من التطوع بالخير هو سنّة حسنةٌ مأذون فيها والتطوع يثاب فاعله ولايعاقب تاركه ، وليست هذه شرعة جديدة فى الدين لأن الشرائع لاتكون إلا من عند آلله ، وهى فرض واجب تاركه آثم ، والفرق عظيم بين الفرض والتطوع فاحتجاج المتمذهبين بالسنة الحسنة باطل ومردود من وجوه :

١ – أخطاء المذاهب هى فى الفرائض التى انتهكوها ، لا فى تطوعات انتفلوها ، فلا وجه للمقارنة .

٢ ــ معصية آلله بشرع مالم يأذن به آلله أو افتراء الكذب على آلله لايمكن أن تكون سنة حسنة .

٣ – عواقب اختلاف المذاهب وبيلة ، بينما عواقب السنن الحسنة حميدة ، فلا سواء .

٤ – كل ما اقترفه المذاهب فيه نهى أكيد وعليه وعيد شديد

(١) مسلم (٨ / ٦١)

بينما السنن الحسنة مأمور بها مأجور عليها .

٥ – المذاهب فرقت الدين ومزقت الأمة ، والسنن الحسنة كلها بر ورحمة .

فأين الشبه أيها المتمذهبون ، مالكم كيف تحكمون ؟ ! فالمقصود بالسنّة الحسنة هو اعمال البر والمعروف التطوعية ، لا الفرائض الشرعية ، شرع مالم يأذن به آلله شرك ويستحيل ان يكون سنّة حسنة لكن جمع التبرعات وانشاء السبل والملاجىء وتحفيظ القرآن وغيرها من اعمال البر هى سنن حسنة فى الاسلام .

ايها المشفقون على تعليم الدين ، ان البلية كل البليه هى فى وجود المذاهب ، والخير كل الخير هو فى اختفائها فاذا الناس فى بركة ويسر ، وزكاة وطهر ، ورضوان من آلله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر آلله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾

١٤ – شبهة الحاجة الى التعليم

هذه شبهةٌ ركيكةٌ ، ماكان ينبغى أنْ تكون ، ولكنا سمعنا فعلاً من بعض المدافعين عن المذاهب يقولون فمن يُفَقِّه المسلمين فى دينهم اذا أبطلنا المذاهب ؟ كأن الدين كان معدوماً قبل المذاهب ، أو كان المعلمين من الفقهاء يستحيل وجودهم إلاَّ عن طريق المذاهب !

وسمعنا آخرين يسألون الداعين إلى نبذ المذاهب ، مامذهبك أنت ؟ قد تمكنت منهم ضلالة المذاهب حتى حسبوا الأسلام لايقوم إلاّ بالمذاهب ، وأنَّ من لاحَظَّ له فى تلك المذاهب فانما هو انسانٌ ضائع ! اللهم جعلنا مع أبى

بكر وعمر وأصحابَ النبى الذين طهرهم آلله من خطيئة المذاهب .

الباب التاسع

مهمة الفقهـاء

الربانيون والأحبار مهمتهم التعليم لا التأويل أمَرَ آلله تعالى بالتعليم قال تعالى ﴿ **كونوا ربَّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ التعليم عليهم فرض واجب ، قد أمر آلله به وأخذ الميثاق عليه قال تعالى ﴿ **واذ أخذ آلله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولاتكتمونه** ﴾[1] وحذر آلله تعالى من التأويل بأنه لايعلمه إلا آلله ، فمن ابتغى التأويل فى الكتاب فقد ابتغى مالا سبيل له إلى ادراكه لأنه لايعلمه إلا آلله فهو واقع فى الضلال لامحالة ، ومايفعل ذلك إلا الذين فى قلوبهم زيغ الذين يبتغون الفتنة قال تعالى ﴿ **هو الذى أنزل عَليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله إلا آلله** ﴾[2] وأثنى آلله تعالى على الراسخين فى العلم الذين لايفعلون ذلك ولايحاولون التأويل فى المتشابه ولكنهم يؤمنون بالمحكم والمتشابه ويقولون أن كلا منهما من عند آلله قال تعالى ﴿ **والراسخون فى العلم يقولون آمنَّا كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾[2] هؤلاء المؤمنون الراسخون فى العلم يخافون من الزيغ بسبب المتشابه فيتضرعون إلى ربهم أن

(١) آل عمران (١٨٧)   (٢) آل عمران (٧)

يحفظهم من الزيغ بعد اذ هداهم يقولون ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾[1]

الفرق هائل بين التعليم والتأويل كما سيأتى بالتفصيل ليس من حق أى بشر كائنا من كان أن يشرع أدنى شرعة من شرائع الأسلام ، وأيما شرعة فى الأسلام جاءت من عند غير آلله ، فأنما هى شرعة باطلة حرام ، صانعها مشرك سافر الأجرام ، ومتبعها جهول عابد أصْنَامْ ، قلبه فى الظلام وأنفه فى الرغام ، ومثل تلك الشرعة الكاذبة الظالمة ، لاتُلزم أحداً من المسلمين إلا بالقهر والطغيان شأنها فى ذلك شأن أى معصية أو عدوان ، يبتلى آلله بها من يشاء ثم يرتب عليها المثوبة والجزاء .

فأما فاعلها فعليه الوزر كاملا ، وعليه مثل أوزار من عمل بها بعده لاينقص من أوزارهم شيئاً .

وأما المنكوب بها المقهور عليها ، فله براءة الكارهين إذا غضب ، وله أجر الصابرين اذا احتسب ، وله عوض المظلومين يوم المنقلب .

واما الراضى بها والمتابع عليها ، فإنَّما هو إمَّعة مسحوب على وجهه فى النار ، له فى الدنيا صغار ، وعليه اللعنة فى دار البوار قال ﷺ [**من كره فقد برىء ، ومن أنكر فقد سلم ، لكن من رضى وتابع**][2]

شرائع الأسلام ليست إلا بالتنزيل والتفصيل فقط أما التنزيل فمن رب العالمين ، وأما التفصيل فمن رسوله الأمين ، ليس وراء ذلك من الأسلام حبة خردل ، كل ماعدا التنزيل

(١) آل عمران (٨)   (٢) مسلم (٦ / ٢٣)

والتفصيل ، **كل الشرائع الوافدة من مبتدعات الوضاعين ، ومبتكرات المؤلفين ، انما هى على الفاعلين والتابعين ويْلٌ وثبور ، إنما هى مكر الجاحدين ومكر اؤلئك هو يبور ، إنما هى شرك والشرك ظلم عظيم قال تعالى ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به آلله ولولا كلمة الفصل لقُضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾[1] إنما هى افتراء الكذب على آلله ولايفلح المفترون قال تعالى ﴿ **ولاتقولوا لما تَصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على آلله الكذب إن الذين يفترون على آلله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم** ﴾[2]

والذين يبتغون التأويل لامفر لهم من افتراء شرائع ليست فى التنزيل ولا فى التفصيل ، فهم واقعون حتما تحت طائلة الآيات التى ذكرنا ، فويل لهم مما كتبت أَيديهم وويل لهم مما يكسبون .

والتنزيل كله من عند آلله ، والتفصيل كله بلسان رسول آلله ليس لبشر كائنا من كان أن يزيد فى التنزيل ولا فى التفصيل مثقال ذرة . من عمل شيئا من ذلك فعمله مردود ، وهو عند آلله مأزور قال ﷺ [**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌ**]

انما عمل الربانيين والأحبار من فقهاء وغيرهم هو التعليم فقط تعليم الناس ماجاء فى التنزيل وماجاء فى التفصيل ، دون أية زيادة أو تأويل . إن من الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، أن يدَّعى انسان لنفسه علما غيبياً بمراد آلله أو مراد

(١) الشورى (٢١)

(٢) النحل (١١٦)

رسوله فى أمر لم يخبرنا آلله ولارسوله بمرادهما منه ، وانه ليُحرُم على أى انسان تحريما مطلقا أن يتقول على آلله أو على رسوله ، مالم يقل آلله ولارسوله .

التأويل هو أحد المسالك الوعرة ، والمزالق الخطرة التى تستدرج الفقهاء الى الشقاق البعيد والاختلاف الشديد فى الشرائع والأحكام ، يَصْرِفُ أحدهم ظاهر النصوص القطعية الثبوت عن وجهها الى معنى بريده ، تعسفا وتفلسفا واتباعا للظن أو الهوى أو الضلال ، كما فصلنا آنفا فى باب خطيئة الاختلاف فقرة مداخل الاختلاف ص (٧٩)

فالتأويل مهلكة محققة ، نسأل آلله السلامة من ويلاتها ، لاحاجة بالتنزيل ولابالتفصيل الى أى تأويل ، قد فصّل آلله فى كتابه وبلسان رسوله كل مايلزم الناس أتم تفصل قال تعالى ﴿ **وكل شيىء فصلناه تفصيلا** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس مانزّل اليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾[3]

فاذا كان التفصيل كاملا فى الكتاب والسنة فما حاجة المسلمين إلى تأويل الفقهاء ، بعد اذ أتم آلله التفصيل وحذّر من التأويل ؟ !

بل واجب الفقهاء فى تعليم الدين انما هو مجرد نقل التنزيل ونقل التفصيل الى الناس بلغة تخاطبهم ، وعلى قدر مداركهم ، نقلا حَذراً أميناً دون أية زيادة أو تحريف أو تأويل ، لاينبغى أن يقول أحدهم برأى نفسه مراد آلله من الآية

(١) الاسراء (١٢)
(٢) النحل (٨٩)
(٣) النحل (٤٤)

هو كذا وكذا ، أو مراد الرسول من الحديث هو كذا وكذا .... هذا بهتان عظيم ! ! مأأدراهم بمراد الله ؟ ! ﴿ **إنْ عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالاتعلمون** ﴾[1] وما تكلّفهم فيما لايعلم تأويله إلا الله ؟ ! قال تعالى ﴿ **ومايعلم تأويله إلا الله** ﴾[2] وماظن أحدهم بالله يوم يُسأل عما افتراه ؟ ! قال تعالى ﴿ **وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون** ﴾[3] وماظن الذين يكذبون على رسول الله ﷺ يوم القيامة قال ﷺ [**من حدّث عنى بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكذابين**][4] وقال ﷺ [**إن كذبًا علىَّ ليس ككذب على أحد**][4] وقال ﷺ [**لاتكذبوا علىَّ فإنه من يكذب علىَّ يلج النار**][4]

الواجب على الفقهاء هو تعليم شرائع الدين بذكر نصوصها وشرح ألفاظها دون التفلسف فى تأويلها ، أو التكلف فى تعليلها ، فيقول المعلم مثلا أمر الله تعالى بالصلوات الخمس ويأتيهم بالنصوص التى فرضتها ، ويشرح ألفاظها ولايزيد من عند نفسه ولامن عند غيره حرفا ولا رأيا ، ويقول لهم أمر الله بالوضوء للصلاة ويأتيهم بالنصوص التى فرضت ذلك وفصَّلته ويَشرح لهم ألفاظها ولايزيد من عند نفسه ولامن عند غيره حرفا ولا رأيا ، وهكذا فى جميع الشرائع ولا يقولون البتة ، المذهب الفلانى يرى كذا وكذا ، والمذهب الآخر يرى كذا وكذا ، لأن هذا هو الشرك بعينه ، إذا أقام المذاهب

(١) يونس (٦٨)　　(٢) آل عمران (٧)
(٣) يونس (٦٠)　　(٤) مسلم (١ / ٧ ، ٨)

شركاء لله فى التشريع ، وهذا هو عبادة الأحبار التى لعنها آلله ، وتلك هى الهاوية التى تردّت فيها القرون الخالية ، وادَّاركت فيها الشعوب الباغية ، وجوه الذين كذبوا على ربهم مسودة ، وقلوب الجاحدين عن الحق مرتدّه .

ولايُخضعن الفقهاءُ شرائع آلله لأصولهم المُضلّة.. كقولهم أن الحكم يدور مع العلّة ، فاذا توفّرت للعمل علة الفريضة أَجْزأ العمل عن الفريضة ، لأن الحكم يدور مع العلّة .

فقد سمعنا منهم من يقول ، حكمة الصلاة هى الرياضة البدنية ، وحكمة الوضوء هى النظافة الجسدية ! ! ! فمن باشر الألعاب الرياضية أجزأته عن الصلاة ، ومن غاص أو سبح فى الماء أجزأه ذلك عن الوضوء ! ! لماذا ؟ قالوا لأن الأصول الفقهية تقول ، أن الحكم يدور مع العلة ، ! ! ! وعلى هذه الدروب السافلة المضل ، سار اتباع الهوان والذله ولن يخفى على سامع هذا البهتان ، أن يرى مافيه من السقوط والخذلان ، تكاد تندثر الشرائع والأديان غوثك ربنا أنت الملجأ والمستعان .

ليس مثل هذا الهراء والافتراء من التعليم أو التفصيل إنما هو عين الأغواء والتضليل ، لقد سار هؤلاء شوطا بعيدا فى الافساد والأغواء يداهنون الملاحدة من الرؤساء ، ويبتغون الشهرة بغرائب الإفتاء يودّ أحدهم لو يستنبت فى رأسه ريشاً ، ليختال به بين الناس طائراً منفوشاً ، يريد أن يتحدثوا عنه معلما عصرياً ، أو فقيها مُجدّداً عبقرياً ، فسوف يُسحبون على وجوههم ويُطرحون فى جهنم جثياًّ إن ربك هو أعلم بالذين هم أولى بها صِليّا .

أيها الناس العبادات توقيفية ، يتحتم أن تُؤدَّى على الصورة التى انزلها آلله وفصّلها رسوله بلا زيادة ولانقصان ولاتبديل ولاتغيير ، الرياضة لاتجزى عن الصلاة ، والسباحة لاتغنى عن الوضوء ، لايغرنكم هؤلاء الذين ركبوا أُحموقة التفانين ، ومسخوا الشرائع بموضوع القوانين ، هؤلاء قد احتنكتهم الشياطين ، فكانوا من غلاة المفترين ، لابشرى للمجرمين ، ولاكرامة للمفترين .

ونحن زيادةً فى البيان نضرب لكم أمثلة أخرى على الضلال فى الأحكام نتيجة تأويل النصوص بآراء الفقهاء ، والحكم فى الدين بالرأى حرام أشد الحرام .

مثال رقم١ جاء فى شرائع الرهن النص الآتى فى صحيح البخارى قال ﷺ [**الدهن يُركب بنفقته ، ويُشرب لبن الدرّ إذا كان مرهوناً**][1] وهذا فى منتهى الصراحة والوضوح أن المرتِهنْ (أى الدائن الذى فى حوزته الحيوان المرتَهن والمملوك للمدين) له أن يركبه ويشرب درّه فى مقابل النفقه التى ينفقها عليه وبذلك قال بعض الفقهاء متبعين للنص راشدين ، ولكن فريقاً آخر تأولوا النص برأى أنفسهم فقالوا (لاينتفع المرتَهِنُ من المرهون بشيىء ! ! !) وهذا مناطحة صارخة للنص ، وكان تعليلهم الفاسد لتلك المعارضة السافرة للنص الصريح هو أن مراد النبى ﷺ ان الذى يَرْكَب ويَشْرَبْ هو المدين لا الدائن ! ! ة على عكس لفظ الحديث تماماً فمن أين جائنا بهذا التأويل المعكوس ، بأن مراد النبى ﷺ هو المدين لا الدائن ؟ ! ومنْطوق الحديث يقطع بأنه الدائن

(١) فح (٢٥١١)

لا المدين ! !فانظر كيف يُفضى تأويل النصوص الى الضلال البعيد .

الحيوان المرهون هو فى حوزة الدائن (المرتَهِن) لافى حوزة المدين (الراهن) فكيف ينتفع المدين بشيىء ليس فى حوزته ؟ ! وفيم اذا يُنفق المرتَهن (الدائن) اذا كان لاينتفع بنفقته ؟ ! واذا استرد المدين الحيوان المرهون من عند الدائن لكى ينتفع به بطل الرهن الذى هو شرط الدَّين وبطل الدَّين لبطلان شرطه ووجب الأداء فوراً بسبب فسخ العقد فكيف تحكمون ؟ ! ثم ماالذى يحملكم على هذا التأويل الفاسد المتعسف على عكس صريح لفظ الحديث ؟ !

مثال رقم ٢ بقول القرآن الكريم حدّ الذين يرمون المحصنات ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلد وهم ثمانين جلدة** ﴾[1] وهذا قاطع فى أن الشهداء اذا نقصوا عن الأربعة المفروضين جُلِدوا الحد ، وبذلك قال طائفة من الفقهاء راشدين ، وبذلك قضى رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده ، ولكن لفيفاً تأَوَّلوا النص برأيهم فقالوا لا يُجلد الشاهد أصلاً ، لأن الشاهد هو غير الرامى ، وهذا عَمَى مطبق عن لفظ النص ، ألم يقل الله تعالى ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة احدهم** ﴾[2] فالقرآن الكريم سمى الشاهد على الزنا راميا ، فأين تذهبون ؟ ! أين زاغت أعينكم عن لفظا الرمى ولفظ الشاهد فى الآية لنفس الرجل الذى يقذف أمرأته بالزنا ؟ ! ألا إن التأويل يُعمى ويُصم...

(١) النور (٤)   (٢) النور (٦)

وقال رسول آلله ﷺ احلال ابن أميه لما رَمَى امراته بالزنا ، وأنه رأى عليها رجلا ، ولم يكن معه شاهد آخر غير نفسه ، قال له [**البينه أو حدّ فى ظهرك**][1] فرسول آلله ﷺ أراد أن يقيم عليه حد الرمى (القذف) لأنه شاهد واحد لم يأت بباقى الأربعة ، فرسول آلله ﷺ إعتبره راميا (قاذفا) وهو شاهد ، فالشاهد رام بنص القرآن ، والشاهد رام بكلام النبى ﷺ فانظروا الى التأويل كيف يأتى بأبعد التضليل ! ! ! آلله تعالى يقول ، ورسوله الكريم يقول الشاهد رام ، وهم يقولون الشاهد غير الرامى أليس ذاك بأفحش التخبيل ؟ ! ! وحتى العقل المجرّد ، يقطع بأن الشاهد رام ، بل هو آكد أنواع الرمى ، الرامى الذى يقول بلسانه مالم ترعيناه (فلانة زنت بفلان) يقام عليه الحيّ ، فكيف بالذى يقول رأيت ذلك بعينى رأسى ، ألا إن الشاهد هو الرامى بأصرح وأشد مايكون الرمى ، فأنّى تؤفكون ؟ !

مثال رقم ٣ قال تعالى فى حكم المحاربة والأفساد فى الأرض ﴿ **انما جزاء الذين يحاربون آلله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ان يقتلوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ..** ﴾[2] فجاء النص القرآنى عاماً فى المسلم وغير المسلم ، وجاءت نصوص التطبيق العملى لعقوبة هذه الجناية بفعل رسول آلله ﷺ فى النَّفَرْ الثمانية من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ الذين بايعوا رسول آلله ﷺ على الأسلام فَلما خلوا

(١) فح (٤٧٤٧)

(٢) المائدة (٣٣)

براعى الصدقة قتلوه واستاقوا الأبل ![1] جاءت هذه النصوص بتطبيق العقوبة فى عصاة المسلمين .

إذاً فالنصوص فى هذه الجناية شاملة للمسلمين وغير المسلمين . بذلك قال آلله ، وبذلك قضى رسوله وبذلك قضى فريق من الفقهاء متبعين للنصوص راشدين ولكن لفيفا من الفقهاء تأولوا النصوص البالغة الوضوح والصراحة ، تأولوها برأى أنفسهم تأويلا ضالاً فاسداً أن هذه الآية خاصة بالمشركين وقال بعضهم بل خاصة بأهل الكتاب ، بلا أدنى دليل ولكن هكذا تخبطا فى الظلام ، وتنطعاً بالأوهام ، فياويل الشرائع من تلكم الأحلام ! ! ! قالوا بمحض رأيهم ، مراد آلله من هذه الآية جزاء المشركين أو أهل الكتاب ! ! ! كيف علمتم بذلك ؟ ! ومتى وأين نزل عليكم جبريل يخبركم أن هذا هو مراد آلله من الآية ؟ !

أحماقةٌ وتَبَجُّحٌ يالكاع ؟ ! أم الشرائع عندكم من سقط المتاع ، تتخذونها سامراً تهجرون ، وتقولون على آلله مالا تعلمون ؟ !

تأويل النصوص حرام ، تأويل الكتاب لايعلمه إلا آلله ، فالذين تَهَجَّمُوا على النصوص بالتأويل قد وقعوا فى تضليل قد ضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل انما على الفقهاء التعليم ، لايحل لأحد منهم التأويل ﴿ **والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب** ﴾[2]

(١) فح (٦٨٠٤ ، ٦٨٠٥) ومسلم (٥ / ١٠١ - ١٠٣)

(٢) آل عمران (٧)

الباب العاشر

(حكم آلله فى المختلفين فى الكتاب)

لسنا نكشف الغطاء عن شيىء مجهول ، ولسنا نفجأ الناس بنبأ غير معقول ، حين نقول لهم ونؤكد مانقول ، أن المختلفين فى الكتاب ، هم يوم تقوم الساعة فى أشد العذاب .

كل مسلم على وجه الأرض يعلم أن الشرك بالله هو أكبر الكبائر دونه الكفر والقتل وسائر الكبائر ، قال تعالى ﴿ **إن آلله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما** ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ **إن آلله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾[2]

وكل ناظر الى الاختلاف فى الكتاب يراه جامعا للشرك والكفر والظلم والفسق والبغى والضلال والشقاق وافتراء الكذب على آلله وتنكب الصراط والوقوع فى غمرة وبراءة النبى ﷺ من المختلفين ، وشدة مقته لهم وكفى بذلك اثما وخسراناً مبيناً .

فأى شيىء يمكن أن يكون أدهى من الاختلاف فى الكتاب ؟ ! لاجرم أن المختلفين فى الكتاب ، هم يوم القيامة فى أشد العذاب قال ﷺ [**سُحقا سُحقا لمن غيّر بعدى**][3] وهل غيّر بعده إلا المختلفون فى الكتاب ؟ !

اسمعوا الى قول آلله عز وجل فى المختلفين فى الكتاب ، لقد رماهم من الخطايا العظام ماإن بعضه ليكفى فى استحقاق أشد

(١) النساء (٤٨)
(٢) النساء (١١٦)
(٣) فح (٦٥٨٤)

العذاب ، وفيما يلى بعض نعوت المختلفين فى الكتاب كما ذكرها القرآن الكريم :

١ - نعت آلله الذين اختلفوا فى الكتاب بالشرك .

لأنهم لما اختلفوا فى الكتاب ، خَالفوا أمر آلله وأمر رسوله ، وحكموا برأى أنفسهم فنصّبوا أنفسهم بذلك شركاء لله ، يشاركونه فى التشريع للناس فهم يشرعون للناس كما يشرع آلله للناس فهم شركاء ، ومن تابعهم على الشرك فهو مشرك قال تعالى ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به آلله ولولا كلمة الفصل لقُضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ **منيبين إليه وإتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾[2]

فهذا صريح جدا فى ان الذين يشرعون من الدين ما لم يأذن به آلله شركاء مشركون ، وأن الذين فرقوا دينهم شيعا شركاء مشركون ، فمن لهؤلاء الشركاء يوم لايُقبل عدل ولاشفاعة ولا فداء ؟ !

٢ - نعت آلله المختلفين فى الكتاب بالكفر وبأن وجوههم مسودة يوم القيامة قال تعالى ﴿ **ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسوّد وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾[3]

وقال تعالى ﴿ **ولو شاء آلله ماافتتل الذين من بعدهم من بعد**

(١) الشورى (٢١) (٢) الروم (٣١ - ٣٢)

(٣) آل عمران (١٠٦)

ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء آلله ماقتلوا ولكن آلله يفعل مايريد ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ **ثم إلى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وماهم من ناصرين ﴾**[2]

وقال تعالى ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من شهد يوم عظيم ﴾**[3]

وقال تعالى ﴿ **ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل آلله فأولئك هم الكافرون ﴾**[4]

ففى هذه الآيات الخمس السابقة ، وفى القرآن الكريم كثير جدا مثلها ، رمى آلله بالكفر هؤلاء الذين اختلفوا فى الكتاب وتفرقوا فى الدين وأخبر عنهم بأن وجوههم مسودة يوم القيامة ، وتوعدهم بالعذاب العظيم ، بالعذاب الشديد فى الدنيا والآخرة وانذرهم بالويل من مشهد يوم عظيم ، واخيرا أنهم يقتتلون بسبب اختلافهم وأخيرا أنهم يحكمون بغير ماأنزل آلله ، يحكمون بآرائهم ونظرياتهم فى الدين... يبتغون بذلك عرض الحياة الدنيا يشترون بآيات آلله ثمنا قليلا .

٣ – ونعت آلله المختلفين فى الكتاب بالظلم .قال تعالى ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل آلله فأولئك هم الظالمون ﴾**[5] وقال تعالى ﴿ **فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾**[6] وقال تعالى ﴿ **ولو شاء آلله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ماهم من ولى ولانصير ﴾**[7]

(١) البقرة (٢٥٣)
(١) آل عمران (٥٥ – ٥٧)
(٣) مريم (٣٧)
(٤) المائدة (٤٤)
(٥) المائدة (٤٥)
(٦) الزخرف (٦٥)
(٧) الشورى (٨)

اختلفوا فى الكتاب فحكموا بغير ماأنزل آلله ، واختلفوا فى الكتاب فتنازعوا فيما بينهم واختلفوا فى الكتاب فتقطعوا أمما وكل هذا ظلم وهم ظالمون .

٤ - ونعت آللہ المختلفين فى الكتاب بالفسق قال تعالى **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل آلله فأولئك هم الفاسقون ﴾**[١] لما اختلفوا فى الكتاب حكموا بغير ماأنزل آلله فكان هذا فسقا

٥ -ونعت آلله المختلفين فى الكتاب بالبغى فيما بينهم قال تعالى **﴿ وماختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾**[٢] وقال تعالى **﴿ وماختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ﴾**[٣]وقال تعالى **﴿ وماتفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ﴾**[٤]

جاءهم الكتاب وجاءهم العلم والبينات فاختلفوا فى الكتاب واعرضوا عنن العلم والبينات ، وحكموا بالرأى والظن والهوى فكان هذا بغيا بينهم

٦ - ونعت آللہ المختلفين فى الكتاب بافتراء الكذب على آلله قال تعالى **﴿ ولاتقولوا لما نصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على آلله الكذب إن الذين يفترون على آلله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾**[٥] وقال تعالى **﴿ قل أرأيتم ماأنزل آلله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على آلله تفترون ﴾**[٦] وقال تعالى **﴿ وحرموا مارزقهم آلله افتراء على آلله قد ضلوا وماكانوا مهتدين ﴾**[٧]

(١) المائدة (٤٧)
(٢) البقرة (١٢٣)
(٣) آل عمران (٢٧)
(٤) الشورى (١٤)
(٥) النحل (١١٦)
(٦) يونس (٥٩)
(٧) الأنعام (١٤٠)

هؤلاء اختلفوا فى الكتاب فحرموا ماأحل وأحلوا ماحرم فكان ذلك افتراء على ٱلله فخسروا بذلك وماكانوا مفلحين وضلوا وماكانوا مهتدين .

٧ – نعت ٱلله المختلفين فى الكتاب بالضلال قال تعالى ﴿ **ولو شاء ٱلله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء** ﴾[١] وقال تعالى ﴿ **وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراء فأضلوا السبيلا** ﴾[٢]

ماضلت أمة إلا بمخالفة التنزيل ، وكل أمة قد جاءها التنزيل ، والضلال نتيجة حتمية للاختلاف فى الكتاب ، كل المختلفين فى الكتاب فى ضلال

٨ – ونعت ٱلله المختلفين فى الكتاب بأنهم فى غمرة قال تعالى ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين** ﴾[٣] وقال تعالى ﴿ **بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون** ﴾[٤] وقال تعالى ﴿ **انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من افك قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون** ﴾[٥]

هؤلاء اختلفوا فى الكتاب فتفرقوا فى الأحزاب فهم فى غمرة ، قلوبهم فى سكرة .

٩ – ونعت ٱلله المختلفين فى الكتاب بأنهم تنكبوا الصراط قال تعالى ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[٦] وقال تعالى ﴿ **قال هذا صراط علىَّ مستقيم إنَّ عبادى ليس لك عليهم سلطانٌ إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾[٧] وقال تعالى ﴿ **قال فبما أغويتنى**

(١) النحل (٩٣)
(٢) الأحزاب (٦٧)
(٣) المؤمنون (٥٢ – ٥٣)
(٤) المؤمنون (٦٣)
(٥) الذاريات (٨ – ١١)
(٦) الأنعام (١٥٣)
(٧) الحجر (٤١ – ٤٢)

لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد اكثرهم شاكرين ﴾[1]

هؤلاء اختلفوا فى الكتاب فانحرفوا عن الصراط واتبعوا سبل الأهواء والآراء فكانوا من الغاوين

١٠ - نعت آلله المختلفين فى الكتاب بالشقاق البعيد قال تعالى ﴿ **ذلك بأنَّ آلله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ﴾**[2]

لما اختلفوا فى الكتاب اتبعوا أهواءهم فخالف بعضهم بعضا فوقعوا فى الشقاق البعيد

١١ - ونعت آلله المختلفين فى الكتاب بأن رسوله ليس منهم فى شيىء(برىء منهم) قال تعالى ﴿ **إن الذين فرقوا دنبهم وكانوا شيعا لست منْهم فى شيىء إنما أمرهم الى آلله ثم ينبئهم بما كانو يفعلون ﴾**[3]

اختلفوا فى الكتاب ففرقوا دينهم شيعا واخبر آلله رسوله بصنْعهم وجعله بريئا منهم فقال لست منهم فى شيىء ، وتوعدهم فقال إنما أمرهم الى آلله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

تلك النعوت التى ذكرنا هى بعض مانعت آلله به المختلفين فى الكتاب فاستمعوا الى وعيد آلله للمختلفين .

لقد توعد آلله المختلفين فى الكتاب بالوعيد الشديد ، توعدهم بالعذاب الأليم والعذاب العظيم ، توعدهم بتسويد وجوههم يوم القيامة وتوعدهم بالويل من مشهد يوم عظيم ،

(١) الأعراف (١٦ - ١٧)　　(٢) البقرة (١٧٦)
(٣) الأنعام (١٥٩)

وكفى ببعض هذا الوعيد تخويفا وزجرا للذين هم لربهم يرهبون .

إن النعوت التى نعت آلله بها المختلفين فى الكتاب ، لنعوتٌ عصيبة وإن الوعود التى وعدها آلله المختلفين فى الكتاب لوعودٌ رهيبة فما بال المختلفين فى الكتاب لايرتدعون ؟ ! ومابال أشياع المختلفين فى الكتاب لايتوبون ولاهم يذكرون ؟ ! بل اعداد المذاهب فى ازدياد وأتباع المذاهب فى تصلب وعناد ، وصدق آلله العظيم ﴿ **بل الذين كفروا فى عزة وشقاق** ﴾[1]

ترى هل سمع هؤلاء وهؤلاء آيات الكتاب فاستخفوا بها ،؟ ! أم همَ تأولوها على غير وجهها أم غرهم بالله الغرور فصرفوا عنها أم هم لم يسمعوها قط فهم فى غمرة الجاهلين ؟ ! أم استمعوها وهم يلعبون لاهيةً قلوبهم فهم فى غفلة معرضون ؟ !

الحق الذى لامرية فيه هو أن كل ذلك قد كان وهو يكون فالناس أوزاع متفرقون منهم الضالون ، ومنهم الجاحدون ومنهم المستهزئون ومنهم الجاهلون ، ومنهم الغافلون ، وجميع هؤلاء هم السواد الأكثرون ، كلٌ فى فلك يسبحون ، والمؤمنون المخبتون هم دائما الأقلون .

نحن نعلم أن المواعظ لاتهدى غَوِّيا ، ولاتُسعد شقيا ولكن الذكرى تنفع المؤمنين فعسى أن يكون فى غمار السامعين ثله من المؤمنين ينتفعون بما يسمعون ، وآلله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

(١) ص(٣)

أيها الناس هذا حكم الله فى المختلفين فى الكتاب ، وهذا وعيده لمقترفى خطيئة المذاهب والأحزاب ، فمن كان قبل ذلك من الجاهلين فلينتفع بما جاءه من العلم ، ومن كان من الغافلين فلينتبه قبل انصرام اليوم ، ومن كان من الضالين فليستقم قبل ألا يكون عتاب ولا لوم .

أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، فاغتنموها قبل مِجىء السّكرة وحلول الحسرة ﴿ **أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ، ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس فى جهنم مثوىً للمتكبرين** ﴾[1]

ان عباد الرحمن لايعبدون من دون الله إنساناً ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، واذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً ، لكن عُبّاد الأحبار وأصحاب المذاهب لايسمعون تبياناً ، ولا يَتَيمَّمُونَ فى شرائعهم حديثا ولا قرآنا ، قد صغت الى المذاهب قلوبهم فنسوا الله نسياناً .

(١) الزمر (٥٦ - ٦٠)

الباب الحادى عشر

(شقاق المذاهب)

قال تعالى : ﴿ **ذلك بأن آلله نزل الكتاب بالحق وإنَّ الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد** ﴾[1] وقال ﷺ [**لاتخلفوا فأن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**][2] وقال ﷺ [**إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم فى الكتاب**][3]

والشقاق هو المخالفة الشاقة هو المخالفة باستمرار فى تعنت وإصرار ، وهذا هو حال جميع الشيع والفرق والمذاهب والأحزاب ، فى جميع الأديان فى كل زمان ومكان ، لاجرم نعت آلله المختلفين فى الكتاب بالشقاق البعيد وأخبر النبى ﷺ أنهم من الهالكين

ومنشأ الأختلاف فى جميع الكتب المنزله ، وَمصْدَرُه الوحيد هم الأحبار (**علماء الأديان**) اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات من بعدما جاءهم العلم اختلفوا بغياً بينهم قال تعالى ﴿ **وما اختلف الذين اوتو الكتاب إلامن بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم** ﴾[4] فاختلف الناس باختلافهم

وأحبار المسلمين اختلفوا فى كل شىء والمذاهب متناقضة فى جميع مسائل الفقه وقضايا الدين ، فهم قد ضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، وهم أول المسئولين عن ذلك ، قال تعالى ﴿ **فلنسألن الذين أرسل اليهم ولَنَسْأَلَنَّ المرسَلين** ﴾[5] وما أفجعه من سؤال ، سؤال الذين فرقوا دينهم شيعةً وقعطوا أُمتهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ،

(١) البقرة (١٧٦)
(٢) فح (٢٤١٠)
(٣) مسلم (٧ - ٥٨)
(٤) آل عمران (٢٧)
(٥) الأعراف (٦)

سَيُسْأَلون عن ضلالهم وضلال الذين ضلوا بضلالهم قال تعالى ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون** ﴾[1] قال تعالى ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾[2]

ونريد أن نكشف حقيقة مسئولية المختلفين فى الكتاب ، فلعل فى ذلك زجرا عن التمادى فى الخلاف ، أو تضييقاً لشقة الخلاف ، بتراجع الغافلين إذا انتبهوا ، وتقاصر الغَاوين إذا انكشفوا ، وٱلله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

إن ٱلله تبارك وتعالى قد قال فى الآية الكريمة ﴿ **لفى شقاق بعيد** ﴾ بلام التوكيد ، وبلفظ بعيد فهذا أعظم تأكيد .

والشقاق يكون مع ٱلله عز وجل قال تعالى ﴿ **أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم** ﴾[3]

والشقاق يكون مع ٱلله والرسول قال تعالى ﴿ **ذلك بأنهم شاقُّوا ٱلله ورسوله ومن يشاقق ٱلله ورسوله فإن ٱلله شديد العقاب** ﴾[4]

والشقاق يكون مع الرسول قال تعالى ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين لهُ الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾[5]

والشقاق يكون مع الناس قال تعالى ﴿ **وأن خفتم شقاق بينهما فا بعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها** ﴾[6] وقال صاحب مدين لموسى ﴿ **ومأأريد أن أشق عليك** ﴾[7]

(١) النحل (٢٥) — (٢) العنكبوت (١٣)
(٣) النحل (٢٧) — (٤) الأنفال (١٣)
(٥) النساء (١٥) — (٦) النساء (٣٥)
(٧) القصص (٢٧)

والشقاق ضلال قال تعالى ﴿ **من أضل ممن هو فى شقاق بعيد** ﴾[1]

والشقاق ظلم قال تعالى ﴿ **وان الظالمين لفى شقاق بعيد** ﴾[2]

والذين اختلفوا فى الكتاب قد جمعوا كل أنواع الشقاق هم فى شقاق مع آلله ورسوله بما خالفوا أمر آلله وأمر رسوله فحكموا على خلاف ماأنزل آلله ، وخلاف مافصّل رسوله ، حكموا برأى أنفسهم وأهوائهم وهم فى شقاق مع أنفسهم بما نازع بعضهم بعضا ، وخَالف بعضهم بعضاً ، وهم فى شقاق مع الناس بما أوقعوهم فى الضلال والالتباس ، فهل تعلمون أبعد من ذلك الشقاق ؟ !

والبلية كل البلية هى أنهم فرحون بهذا الشقاق ، يتعصبون له وينافحون عنه قال تعالى ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾[3] كل مذهب متمسك باختلافاته وتناقضاته ، ولقد بلغ من شدة تعصبهم لهذا الشقاق ، أن يُحرم مذهب على اتباعه الزواج من أتباع مذهب آخر.. أو أن يأتم أتباعه فى الصلاة بأمامة رجل من مذهب آخر ، حتى إنه لتقام الصلاة الواحدة فى المسجد الواحد ، فى الوقت الواحد بجماعات مختلفة ، كل جَماعة بأمامهم من مذهبهم ، يتناكرون ويتدابرون ويشوش بعضهم على بعض ، وهذا من أبشع صور الاختلاف فى الدين ، لاجرم هذا هو الشقاق البعيد .

ولاتزال الاختلافات تتفشى وتَزداد ، وتعم جميع البلاد والعباد ، فاذا الناس كلهم متلبّسون بالشقاق ، متنمرو

(١) فصلت (٥٢) (٢) الحج (٥٣)
(٣) المؤمنون (٥٣)

بالعداوة ، متحفزون للشر مصروفون عن الخير حتى اذا طفحت الكؤوس ، والتهبت الرؤوس ، اشتعلت بينهم كل حرب ضروس ، وهاهى الحروب المذهبية فى زماننا هذا ، يستعر أوارها فى شتى البلاد ، ومن مختلف الملل والأجناس ، يقتتل الشيعة والسنيون وكلهم مسلمون ويقتتل السيخ والبوذيون و كلهم وثنيون ، ويقتتل البروتستانت والكاثوليك وكلهم مسحيون ، وإن الحال لعلى ذلك من قديم الزمان ، فى كل مكان ، بين مختلف الملل والأديان ، قال تعالى ﴿ **ولو شاء آلله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء آلله ما اقتلوا ولكن آلله يفعل مايريد** ﴾[1]

وماكان لشئ من ذلك الاختلاف والاقتتال أن يكون ، لو أنهم جميعا صدرو فيما يقولون وما يحكمون عن كتاب واحد ، هو كتابهم الذى أنزل اليهم ، لا عن أحكام أحبارهم ومصنفات فقهائهم ، ماكان لشئ من ذلك يكون لو نبذو الحكم فى دنيهم بالآراء والأهواء ، لأن الأهواء تضل والآراء تخطئ ، وشرائع آلله فى كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل نبى أرسله ، لاتضل ولاتخطئ البتة

المذهبيون أوقعتهم الاختلافات فى الضلال والأخطاء ، وأورثتهم العداوة والبغضاء ، ذلك لأنهم بدلوا كلمات آلله وغيروا شرائعه ، فبدلوا نعمة آلله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال تعالى ﴿ **الم تر الى الذين بدلوا نعمة آلله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾[2] ولانجاة لهم ولا لمن خلفهم من الأتباع

(١) البقرة (٢٥٣) (٢) إبراهيم (٢٨)

والأشياع الابالرجوع إلى الكتاب ، وطرح الآراء والأهواء ظهرياً ﴿ **ومن يعتصم بآلله فقد هدى إلى صراط مستقيم** ﴾

ونُرِيدُ أخيرا أن نبطل ماسمعنا من التمويه ، ونكشف وجه الضلال القبيح ونؤذن الناس بالحكم الصحيح ، أن يقول قائل انا كنا عن هذا غافلين .

قد سمعنا من قبل مكابرة الأحبار ، الذين أنكرو وجود اختلافات ولاذوا بالأنكار ، وقالوا كذباً وزورًا لا اختلاف بين المذاهب إلا فى الفرعيات وهذا بهتان صارخ ، وإنكار صفيق ، للاختلافات الفاحشة ، والتناقضات الطائشة التى لم تسلم منها مسألة واحدة من آلاف المسائل المدونه فى مؤلفات المذاهب والفقهاء وماذا تصد أصابع الجحود من سيل جارف كالطوفان ماذا يحجب بالأنكار باللسان ، من خضم الجرائم الثابتة بالبرهان كيف تمحى تلال الاختلافات ، المدونة بأيديهم فى المصنفات ؟!! ثم اين تقع حشرجة البهتان من دَوِىّ قوارع القرآن ؟ !

عندنا كتاب آلله العزيز يخبرنا أن الذين أوتوا الكتاب فى كل أمة قد اختلفوا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، اختلفوا ثم اختلفوا ثم اختلفوا حتى اندثرت شرائع الأديان ولم يبق إلا شرائع البهتان كصاحب الطيلسان الذى أوسعه ترقيعاً وَرَفْواً ، حتى بقى الرَّفُو وانقضى الطيلسان فيا عجباً لصفاقة البهتان ، وجراءة النكران ، أتريدون أن نُصدق الجحود والبهتان ونكذب حق اليقين الذى فى القرآن ؟ ! أتريدون أن نصدق الدفاع الكاذب المخبول ، ونكذب أصح أخبار الرسول ؟ ! يقولون ليس فى شرائع الدين تغيير ، وآلله تعالى

يخبر نبيّه عن الذين غيروا بعده ، فيقول النبى ﷺ [**سُحقاً سُحقاً لمن غيَّر بعدى**] .

كلا وألف مرة كلا بل المذاهب كلها والفقهاء بلا استثناء غارقون فى الاختلافات إلى الأذقان ، اختلافات فى صلب الشرائع وصميم الأحكام ، لافى الفرعيات كما أدعى فريق الأنكار ، ومع ذلك فما هى تلك الفرعيات التى اخترعها أصحاب المصنفات ، ماوردت فى الأحاديث أو الآيات ، ولاعرفها الصحابة الأكرمون ، مساكين هؤلاء لم يدركوا عصر التفانين ! ! !

قد أوردت فى هذا الكتاب طائفة من اختلافات الفقهاء فى الشرائع كأمثلة لما تكتظ به المصنفات ، أوردناه فى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب كنماذج للدلالة على بشاعة تلك الاختلافات ، ومن طلب المزيد أحلناه على بعض مؤلفاتنا (**ديوان الطلاق – ديوان الجنايات – ديوان القصاص**) أو على مصنفات المذاهب والفقهاء فأنه يرى العجائب .

وأخيرا فأن الذين ينكرون تلك الاختلافات العارمة لا شك يعوزهم الحياء ، ولقد قال النبى ﷺ [**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة اذا لم تستحْي فاصنع ماشئت**]

الباب الثانى عشر
(مراحل الاختلاف)

الاختلاف قضاء محتوم

الاختلاف فى الكتاب - أى كتاب أنزله آلله تعالى - ابتداء من الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى ، والى هذا الكتاب الأخير الى هذا القرآن العظيم ، الاختلاف الذى وقع فى أى واحد من تلك الكتب يتمثل فى مسيرة طويلة فى الظلمات ، ومتاهة سحيقة من الضلالات انزلقت إليها أمة ذلك الكتاب ، وتمادت فيها قروناً ، ومازالت تتخبط فى نواحيها ، وتتعثر فى فيافيها ، ولامخرج لها منها إلى يوم القيامة ، إلا فترات منيرة من الزمن ، لهذه الأمة وحدها دون سائر الأمم ، فترات ينبثق فيها النور ، ويعود الحق فيها الى الظهور ثم ترتكس فى الضلال والخبال تارة أخرى ، فلاتقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، عندما لايبقى على الأرض من الناس إلا حثالة ، لايباليهم آلله باله ، قال ﷺ [**يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لايباليهم آلله باله**][1] وقال ﷺ [**لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الأرض آلله آلله**][2]

(١) فح (٦٤٣٤)

(٢) مسلم(١ - ٩١)

وجميع الأمم اختلفت فى كتابها ، وجميع الأمم هلكت باختلافها قال ﷺ [**لاتختلفوا فأن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**][1] وقال ﷺ [**انما أهْلَكَ من كان قبلكم اختلافُهُمْ فى الكتاب**][2]

ولايحسبن جاهل أن المقصود بالهلاك هو هلاك الأبدان بالتقتيل والتعذيب ، أو هلاك النعمة بالجوائح والتخريب ، فيقولنّ متنطع عريض القفا ماهلك الأقدمون ولا الأحدثون ، بل تَقَلَّبُوا فى النعيم وتمتعوا ، بل ازدهروا وتكاثروا وازدادو علما ومالاً وترفاً ! ! ! انما المقصود بالهلاك هنا هو هلاك العاقبة وسوء المصير المقصود هو سوء المنقلب ، ولو كانوا فى الدنيا من أصحاب الكنوز وسكان القصور ، المراد هو الهلاك القادم الدائم الذى يحيق بكل فاسق وظالم ، اذا مات غير تائب ولانادم الم ترى الى الذى وقع على أهله فى نهار رمضان ، فجاء الى النبى ﷺ يقول هلكت يارسول ٱلله نظر الى هلاكه القادم ، رغم كونه فى الدنيا صحيح سالم .

صدق ٱلله ورسوله ، هلك المختلفون ، كما هلك المترفون وهذه الأمة أيضا - أمة القرآن - المختلفون منها فى الكتاب هم فى هاوية الهلاك ، إلا من تداركه نعمة من ربه فتاب وأناب ، وانسلخ من الشيع والفرق والمذاهب والأحزاب ، وفرّ الى ٱلله بدينه يلوذ بالسنة والكتاب .

والاختلاف كأى عمل دائب متواصل يبدأ من نقطة الصفر ، ثم لايزال يتكاثر ويتناثر ، حتى تتراكم اعداده ،

(١) فح (٢٤١٠) (٢) مسلم (٨ - ٥٧)

وتتفاقم أبعاده ، فيعّم ويطّم تلك سنّة النمو والتطور فى كل شيىء ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

فعلى تلك السنة الكونية جرت اختلافات جميع الأمم فى كتبها قال تعالى ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعَث آلله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ..** ﴾[1]

وعلى نفس السنّة الأزلية جرت اختلافات هذه الأمة فى كتابها حيث بدأ الاختلاف يسيرا ، ثم مازال يزداد ، وتتراكب أطباقه ، وتتسع آفاقه ، حتى عمّ كل شيىء ، وطغى على كل شيىء فاذ الناس من الضلالات والظلمات ، فى بحر عجاج متلاطم الأمواج ، لايكاد يُرى فيه للحق مجال ، أو يسمَع فيه للصدق مقال ، قد جَرفَهُمْ الضلال ﴿ **وهم يجادلون فى آلله وهو شديد المحال** ﴾[2]

غاب عنهم البرهان والنور ، وأطبق عليهم شقاقٌ كظُلمة القبور لايخرجُ منها والجها ولايحور ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل آلله له نورا فماله من نور** ﴾[3]

نبأنا آلله ورسوله .

ولقد نبئنا الصادق المصدوق صلوات آلله وسلامه عليه بتلك الاختلافات التى ستكون من بعده ، وأخبر أنه يوم القيامة يتبرأ من هؤلاء ، الذين غيّروا من بعده وبدلوا ، وأخبر أن هذا التغيير والتبديل يبدأ من أصحابه الذين يعرفهم ويعرفونه ، ولقد

(١) البقرة (٢١٣) (٢) الرعد (١٣)
(٣) النور (٤٠)

نُقل الينا هذا الخبر نقلا متواتِرا عن العديد من الصحابة هم (ابن عمر ، وعبد آلله ابن زيد ،وعبد آلله ابن مسعود ، وابن عباس ، وعبد آلله ابن عمرو ، وأنس ابن مالك ، وسهل ابن سعد وأبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ، وعقبة ، وجندب ، وحارثة ابن وهب ، وأسماء بنت أبى بكر) ثلاث عشرة صحابيا سمعوا من رسول آلله ﷺ نقل هذا الخبر فى الصحيحين (البخارى ومسلم) بأوثق رواةَ وأصح إِسْناد وأعلا سند وأضبط متن بطُرقٍ عديدة ، منها فى البخارى وحده أربعة وعشرون طريقا نقتبس منها مايأتى :

١ - عن عبد آلله ابن مسعود عن النبى ﷺ [**أنا فرطكم على الحوض وليُرفَعنَّ رجال منكم ثم لَيُخْتَلَجُنَّ دونى فأقول يارب أصحابى فيقال انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك**][1]

٢ - عن أنسى عن النبى ﷺ [**ليردَنَّ علَّى ناس من أصحابى الحوضَ حتى إذا عرفتُهم اختُلجوا دونى فأقول أصحابى فيقول لاتدرى مااحدثوا بعدك**][2]

٣ - عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال [**لَيردَنَّ علَّى أقوام أعرفهُم ويعرفونى ثم يُحال بينى وبينهم فأقول إنهم منى فيقال انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غيَّر بعدى**][3]

٤ - عن أبى هريرة أن رسول آلله ﷺ قال [**يَرِدُ علَّى يوم القيامة رهط من أصحابى فَيحلوْن عن الحوض فأقول يارب أصحابى فيقول انك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا**

(١) فح (٦٥٧٦)
(٢) فح (٦٥٨٢)
(٣) فح (٦٥٨٤)

على أدبارهم القهقرى][1]

٥ – عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال [**بينا أنا نائم فإذا زمرةٌ حتى اذا عرفتهم خرج رجلٌ من بينى وبينهم فقال هلّم فقلت أين ؟ قال الى النار وآلله ، قَلتُ وماشأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى ثم اذا زمرةٌ حتى اذا عرفتم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلمّ قلتُ أين ؟ قال إلى النار وآلله ، قلت ماشأنهم ؟ قال انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى فلا أُراه يخلص منهم إلا مثلُ هَمَلِ النَّعَم]**

نعوذ بالله من الاختلاف فى الكتاب ، نعوذ بالله من الارتداد على الأعقاب ، نعوذ بالله من تغيير شرائع السنّة والكتاب ، نعوذ بالله من ضلالة المذاهب والأحزاب ، هؤلاء أصحاب رسول آلله ﷺ لايخلُصُ منهم من النار إلا مثلُ هَمَلِ النعم ، فما بالنا نحن وقد تطاولت علينا الأحقاب هؤلاء ماأغنى عنهم أَنَّهُمْ كانوا من الأصحاب ، لما نكصوا على الأعقاب ، وغيّروا شرائع الكتاب ، فويل للمختلفين فى الكتاب ، ويل لهم من التباب وسوء الحساب .

أن أطوار الاختلاف فى الكتاب عديدة ومتتابعة ، واشكالها كثيرة ومتنوعة ، وتطورات الأحداث فيها متلاحقة ، ولعل من الأفضل من أجل احاطة أوسع ، ودراسة أنفع ، تقسيم مراحل الاختلاف الى ثلاثة حِقبْ تتسم كل حقبة منها بطابع جامع ، يُميزها ويُجهزها للحقبة التالية . وتلك المراحل الثلاثة هى :

(١) فح (٦٥٨٥)

١ - مرحلة اختلافات الأفراد .

٢ - مرحلة اختلافات المذاهب .

٣ - مرحلة اختلافات الشعوب .

وفيما يلى تفصيل تلْك المراحل لكى يستطيع الباحث أن يطَّلع على تَطور الاختلافات ومضاعفاتها من مرحلة الى أخرى ، فأن دراسة الأسباب تعين على وقف الأخطاء والعودة الى الصواب .

١ - المرحلة الأولى مرحلة اختلاف الأفراد .

فى حياة النبى ﷺ والقرآن يتنزل ، والوحى يتتابع ، كان الشرع كله من عند ٱلله ، وكان الحكم كله فى يد رسول ٱلله ﷺ ، والقول كله فى كل صغيرة وكبيرة لرسول ٱلله ﷺ وحده .

كان الناس جميعا من أكبر الصحابة الى أصغر الموالى ، تلاميذ والرسول معلمهم كانوا جميعا جنودا والنبى قائدهم ، كانوا جميعا مؤمنين مذعنين سامعين مطيعين والرسول هاديهم ومرشدهم ، كان الوحى يتنزل من السماء ، فيحكمهم ويربيهم ويُسعدهم .

وهذا مقام ينعدم فيه الاختلاف ، ويندثر فيه الجدل والمراء قد خشعت جميع الأصوات لصوت واحد ، وخضعت جميع الأعناق لرجل واحد ، واستسلمت جميع النفوس طائعة لزعيم واحد ، هو سيد الناس جميعا بلا منازع ، هو إمام الخلق طرًّا بلا مدافع ، هو أعلم البشر وأبرهم وأتقاهم هو خاتم النبيين

وسيد المرسلين محمد ﷺ ، فأنَّى يكون مع هذا خلاف أو اختلاف ؟ !

الاختلافات فى الكتاب فى عهد النبى ﷺ كانت عدماً معدوماً ، والوساوس فى صدور أصحابها كانت كبتاً وردماً مردوماً لايجرؤ أحد أن يشرع برأيه فى الدّين شيئا ، ورسول آللّه ﷺ بين أظهرهم ولاحكم فى كبيرة ولاصغيرة من القضايا فى عهد رسول آللّه ﷺ إلا له وحده دون سواه .

فلما قبض رسول آللّه ﷺ وآل الأمر من بعده الى الخلفاء وهم بشر غَيْرُ معصومين يخطئون ويصيبون ، بدأ الاختلاف فى الكتاب عندما قضى الذين آل اليهم الحكم فى شئون الدين ، برأى أنفسهم ، وعندما أفتى المفتُون فى الدين برأى أنفسهم على خلاف النصوص ، ولقد صدرت تلك الأحكام والفتاوى المخالفة للكتاب والسنّة من أصحاب رسول آللّه ﷺ على وجهين ، وجه الخطأ ، ووجه العمد .

أما الخطأ وهو الأكثر فقد كان بسبب الغفلة عن النصّوص أو عدم العلم بها أصلاً ، فلما ذُكِّر المخطىء بالنصّوص عاد الى الصواب .

كما فعل عمر ابن الخطاب رضى آللّه عنه عندما هَّم أن يشرع للناس مالم يأذن به آللّه من تحديد المهور ، فذكرته امرأة بالنص من القرآن الكريم وهو قول آللّه تعالى ﴿ **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا**

تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾[1] فهذا بيان من القرآن الكريم بأمكان ارتفاع المهور ارتفاعاً عظيما بلا تحريم ولاحرج (قنطاراً لادينارا) وكان جواب أمير المؤمنين عمر فور سماع الآية الكريمة من المرأة ان قال أصابت امرأة وأخطأ عمر ، ورجع الى الحق وعدل عما همّ به .

وهناك قضايا أخرى غير هذه رجع فيها عمر الى الصواب لما عرف الحق المتيقن الذى هم بمخالفته ، ليس هذا مجال سردها ، وحسبنا من كل قضية مثل واحد للدلالة على إمكان الحصول فى باقى الأمثال ، فهذه الأمثلة تقطع بإمكان حصول الاختلاف حتى من ذؤابة الأشراف .

وكما فعل ابن عباس رضى الله عنه لما قضى فى عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أنها آخر الأجلين ، فردّه الى الصواب بالنص القطعى الثبوت كل من أبى سلمة وأبى هريرة وابن مسعود وام المؤمنين أم سلمة .

وكما فعل أبو هريرة أبطل صيام من أدركه الفجر جنباً فى رمضان فرده إلى الصواب كل من عائشة أم المؤمنين ، وأم سلمة أم المؤمنين ، اذ أخبرتاه بفعل رسول الله ﷺ

وأما العمد وهو الأقل فقد كان بسبب اصرار الصحابى على حكمه أو فتياه المخالفة لما فى الكتاب والسنّة ، رغم مراجعته فى الحكم والفتوى ، ورغم مواجهته بالنص القطعى

(١) النساء (٢٠)

الثبوت من القرآن الكريم أو الحديث النبوى المتيقن الصحة وماكان ينبغى ذلك ، ولايحل البته لأى انسان كائنا من كان أن يعارض القرآن الكريم أو حديث رسول آلله ﷺ القطْعى الثبوت بمحض رأيه ، ولانجد تحليلاً ولا تفسير لهذا الاصرار على مخالفة الكتاب والسنّة ، بمحض الرأى ، وفيما يلى مثال من الأصرار على الخطأ بعد العلم بالنص .

كان العرب فى الجاهلية يحرّمون العمرة فى أشهر الحج ، ويرونها من أفجر الفجور فى الأرض ، فجاء الأسلام ينقض هذا التحريم الجاهلى ، ولم يكتف بمجرد نقض التحريم ، بل أوجب العمرة مع كل حج أيجاباً جازماً لازماً الى يوم القيامة ، أوجب ذلك نصاً فى القرآن ، وأمراً قاطعا فى أصح الأحاديث المتواترة عن رسول آلله ﷺ .

أمر بذلك فى القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾[1] وأمر بذلك على لسان رسول آلله ﷺ عندما أمرهم بالتمتع بالعمرة الى الحج فسُئل هل هو لهذا العام فقط أم هو لأبد ؟ عند ذلك [**شبّك النبى ﷺ أصابع يده فى اليد الأخرى وقال دخلت العمرة فى الحج لأبد أبد**][2]

وأصرّ النّبى ﷺ على الأمر بالتمتع بالعمرة مع الحج ، عندما رأى الناس ترددوا في التنفيذ ، مدفوعين الى ذلك بالظن الجاهلى القديم أن العمرة فى أشهر الحج هى من أفجر الفجور فى الأرض ، وكانوا قد أهلوا بالحج مفرداً ، فأمرهم أن يجعلوا الأهلال الذى قَدِموا به عمرة ، وأن يتحللوا بعد الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ، فتعاظم ذلك عندهم

(١) البقرة (١٩٦) (٢) مسلم (٤ - ٤٠)

فقالوا يارسول آلله أىّ الحل ؟ قال حلٌّ كله ولما فشت مقالة الناس فى ذلك تحرجاً من فعل ماأمرهم به رسول آلله مغلوبين بالظن الجاهلى قال لهم رسول آلله ﷺ [**قد علمتم أنى أتقاكم وأصدقكم وأبركم ولولا هديى لَحَللْت كما تُحلّون ولو استقبلت من أمرى ماستدبرت لم أسق الهدْى فَحِللوا فَحَللْنا وسمعنا وأطعنا**][1] وقال ﷺ [**افعلوا ماأمرتكم ولولا أنى سُقتُ الهْدَى لفعلتُ مثل الذى أمرتكم ولكن لايحل منى حرام حتى يبلغ الهدى محِلَّه ففعلوا**][2]

فثبت من القرآن الكريم ومن أمر النبى ﷺ الذى نقل إلينا بالتواتر المستفيض فى أعلا الأحاديث سنداً وأصحها اسناداً وأوثقها رُوَاةً وأضبطها متناً أنَّ التمتع بالعمرة الى الحج فرض حتمى لازم الى يوم القيامة ، ومع ذلك فقد نهى عنه عمر ابن الخطاب فى خلافته ، ونهى عنه عثمان ابن عفان فى خلافته ، رغم معارضة الصحابة لهما فى ذلك محتجين بأمر رسول آلله ﷺ وفعله وبالقرآن الكريم ، ومن هؤلاء الصحابة المحتجين على مخالفة أمر آلله وأمر رسوله (على ابن أبى طالب ، ابن عباس ، عمران ابن الحصين ، أبو موسى الأشعرى ،) وفيما يلى بعض الأحاديث فى البخارى ومسلم التى تثبت نهى عمر وعثمان عن التمتع بالعمرة مع الحج كما أمر آلله وأمر رسوله وعلى الرغم من معارضة الصحابة الذين ذكرّ وهما بالنصوص القطعية الموجبة لذلك .

(١) مسلم (٤ - ٣٧)   (٢) فح (١٥٦٨)

١ - [**كان أبو موسى الأشعرى يُفتى بالمتعة** (أى العمرة مع الحج) **فقال رجل رويدك ببعض فتياك ، فأنك لاتدرى ماأحدث أمير المؤمنين فى النُسُك بعد حتى لقيه بعدُ فسأله فقال عمر علمتُ أنّ النبى ﷺ قد فعله وأصحابه** ولكن كرهت أن يظلوا معرسين بهن فى الأراك ثم يروحون فى الحج] وماكان ينبغى أن يكره عمر رضى آلله عنه شيئاً أمر به آلله وأمر به رسوله وأوجب فعله ايجابا الى يوم القيامة وزجر المتخلفين عن فعله المعتذرين بمثل عِذر عمر زجراً بالغاً نَسَف الحَرَج الذى فى صدورهم نسفاً فسمعوا وأطاعوا وفعلوا ماأمرهم آلله ورسوله

٢ - عن عمران ابن حصين قال [**نزلت آية المتعة فى كتاب آلله (يعنى متعة الحج) وأمر بها رسول آلله ﷺ لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ، ولم ينْهَ عنها رسول آلله ﷺ حتى مات . قال رجل بعدُ برأيه ماشاء - يعنى عمر**][1]

٣ - عن سعيد ابن المسيب قال [**احتج علىٌ وعثمان بُعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة فى العمرة فقال علىٌ ماتريد إلى أمر فعله رسول آلله ﷺ تنهى عنه ؟ فقال عثمان دعنا منك ، فقال إنى لاأستطيع أن أدعك فلما أن رأى علىٌ ذلك أهل بهما جميعاً (يعنى بالعمرة وبالحج)**] وهكذا أعلن علىٌ على الملأ (لبيك اللهم عمرةً وحجاً) رفضه لمخالفة أمر آلله وأمر رسوله إذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق قال ﷺ [**فأن أمر بمعصية فلا سمع ولاطاعة**]

(١) مسلم (٤ - ٤٩)

٤ - عن مروان ابن الحكم قال [**شهدتُ عثمان وعليًّا رضى آلله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وأن يُجمعَ بينهما فلما رأى علىّ أهل بهما (لبيك بعمرةٍ وحجّ) قال ماكنتُ لأدَعَ سنة النبى لقول أحد**][1]

٥ - عن نصر ابن عمران قال [**تمتعتُ فنهانى ناس ، فسألتُ ابن عباس فأمرنى ، فرأيت فى المنام كأن رجلا يقول لى حج مبرور وعمرة مُتقبَّله فأخبرت ابن عباس فقال سنّة النبى ﷺ فقال لى أقم عندى أجعل لك سهما من مالى . فقلتُ لِمَ ؟ قال للرؤيا التى رأيت**][2]

فهذه أمثلة من الاختلاف فى الكتاب التى وقعت من أصحاب رسول آلله ﷺ بعد قبضه ، منها خطأ ، ومنها عمد ، ووقع أكثر من ذلك بكثير من التابعين المعاصرين للصحابة ، ومن تابعى التابعين الذين لم يروا الصحابة ، اختلافا متزايداً على مر السنين ، قد ذكرنا منها طائفة كبيرة فى مؤلفاتنا (ديوان الطلاق - وديوان الجنايات - وديوان القصاص) فليراجعها من أراد الاطلاع على ذلك .

واستمر الحال على ذلك قرنين من الزمان بعد قرن النبى ﷺ فتزايدت الاختلافات فى الكتاب سنة بعد سنة ، حتى بلغت مبلغا عظيما ولكنها مازالت فى حدود الاختلافات الفردية ، أى إن الاختلاف فى الكتاب مازال محصوراً فى أشخاص الفقهاء الذين كثروا وانتشروا فى جميع الأقطار والأقطاب فى الدولة الأسلامية الواسعة الأرجاء كل واحد من هؤلاء الفقهاء أطلق لرأيه العنان فى شرائع الدين يحكم برأيه

(١) فح (١٥٦٣)　　(٢) فح (١٥٦٧)

دون النصّ فى كثير من المسائل فيخالف النصّ القائم ، سواء علمه أو جهله أو كان غافلا عنه ، أو يشرع من الدين بمحض رأيه مالم يأذن به آلله ، فيحرّم ماأحل آلله ، أو يُحل ماحرّم آلله ، أو يبتدع مالم يفعله رسول آلله ، والناس يختلفون باختلاف الفقهاء ويسمعون مختلف الآراء من مختلف الفقهاء ، فيصدقون ويكذبون ، ويقبلون ويرفضون ، ويستحسنون ويستقبحون ، رأياً من هنا ورأياً من هناك ، فهم واقعون فى دوامة الاختلاف ، لكن دون انتماء الى أحزاب واحلاف ، فالاختلاف فى هذه المرحلة ، رغم اتساعه وانتشاره لم يتمخض بعد عن تفريق الجماعة او تقطيع الأمة ، بل الناس جميع ، والأمة واحدة ، والأمامة واحدة ، وان كان الناس يخالف بعضهم بعضا فى أمرٍ أو آخر من أمور الدين .

٢ - المرحلة الثانية مرحلة الاختلاف الجماعى

وقد بدأت هذه المرحلة بعد قرنين من وفاة النبى ﷺ ، عندما ظهرت المذاهب والأحزاب والفرق والشيع ، والتفّ حول كل امام شيعته وأنصاره وحزبه ، يقولون بقوله ، ويدينون برأيه ، دون آراء الآخرين ، ودون التزام بنصوص الكتاب والسنة ، تعاليم شيخهم تعلو عندهم على كل ذلك ، وهى لديهم فى المقام الأول تصديقاً وتنفيذاً ، يُحلون ماأحل لهم ، ويحرمون ماحرم عليهم ، لا يلتفتون الى نص فى كتاب آلله ولافى سنّة رسوله ، ولايتبعون ولايُعظمون إلا قول شيخهم وصاحب مذهبهم ، لايسألونه الدليل ، ولايبالون ان كانوا على حق ام هم فى تضليل ، قد استسلموا وانقادوا لكثير من الضلال ، وعبدوا من دون آلله هؤلاء الرجال ، فباؤا بسخط

آلله وانحدروا الى شر مآل ، قال عز وجل فى عَبَدة الأحبار **﴿ قاتلهم آلله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون آلله ﴾**[1]

تلك سنّة آلله فى الأمم جميعاً ، لايخلصون العبادة لله إلا فى حياة رسلهم فقط ، ثم لايلبثون أن ينقلبوا الى عبادة الأحبار دهراً طويلاً لايعبدون آلله مخلصين له الدين إلا فى غمرة الوحى ، ودهشة البينات فاذا ارتفع الوحى ، وانقطعت البينات ارتكسوا فى الظلمات واحتنكهم الشيطان فدَّعهم الى الضلالات ، وأوقعهم فى الشبهات فاتخذوا المذاهب ودانوا بالخرافات وعبدوا الأحبار ، وتفرقت بهم السبل ، وأشركوا بالله وهم لايشعرون وصدق آلله العظيم **﴿ ومايؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون ﴾**[2]

هكذا فَعل الأقدمون ، هكذا فعل المشركون ، وهكذا فَعل المسلمون كما كانوا يفعلون قال ﷺ [**لنتبعُنَّ سنَنَ من كان قبلكم شبرا بشبرا وذراعا بذراع حتى لو سلكوا حُجْرَ ضب لسلكتموه قلنا يارسول آلله اليهود والنصارى ؟ ! قال فمن ؟ !**][3]

الأحزاب والمذاهب كلها ماأنزل آلله بها من سلطان بل هى كلها جميعا رجس من عمل الشيطان ، ماأمر آلله بها ولا رسوله بل نهى عنها أبلغ النهى وتوعد عليها بأشد الوعيد ، وماخرج هذا النبّت الخبيث للناس إلا بعد قرنين من وفاة النبى ﷺ أى بعد أفضل القرون كما سماها النبى ﷺ ، لاجرم أنه ليس بعد الخير إلا الشر ولابعد الحق إلا الضلال ، نبتت

(١) التوبة (٣٠ - ٣١)　　(٢) يوسف (١٠٦)

(٣) فح (٧٣٢٠)

المذاهبُ والأحزاب ، من تربة الاختلاف فى الكتاب .

ومصيبة الفرق والشيع والمذاهب التى هى الطامة الكبرى لجميع الأديان ، انما ظهرت فى الأسلام ، عندما تفاقم فى المسلمين الشر ، وتضائل فيهم ، الخير ، عندما تناقص الايمان ، واحتنكهم الشيطان عندما تدلى المسلمون ، من خير القرون ، الى القرن الخاسر المغبون ، قال ﷺ [**خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة احدهم يمينَه ويمينُه شهادَته**][1] وقال ﷺ [**اصبرو فانه لايأتى عليكم زمان إلا الذى بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم**][2] وقال ﷺ [**سُحقا سُحقا لمن غيّر بعدى**][3]

انما وقعت مصيبة المذاهب لما طال على الناس الأمد فقست قلوبهم ، لما طغت اعداد المختلفين فى الكتاب ، على أفراد المتمسكين بالسنّة والكتاب ، لما طغت صيحات المختلفين ، على اصوات المعتصمين ، لما فّرط الناس فى الاعتصام ، بلاهم آلله بالانقسام لما ظلموا أنفسهم بالاختلاف بعد الائتلاف ، أثابهم شرائع الجور والاجحاف ، بعد القسط والانصاف ، وسلّط عليهم الأشرار بعد الأخيار فولّى آلله الظالمين على الظالمين ، وامتلأت الأرض بجرائم المترفين ، فحق القول عليهم أجمعين .

هذه هى سنّة آلله فى الناس أجمعين ، اذا أَرَزَ المخلصون بَرَزَ المختلفون ، اذا غابت الملائكة حضرت الشياطين ، هذا التحليل الموجز لمرحلة الاختلاف الجماعى ، يُبرز العناصر

(١) فح (٢٦٥٢)　　(٢) فح (٧٠٦٨)

(٣) فح (٦٥٨٤)

الأساسية التى تولدت عنها مصيبة الشيع والمذاهب ، ومصداق ذلك كلمه ، قول ٱللّٰه تعالى ﴿ **ان ٱللّٰه لايُغيّر مابقوم حتى يُغيّروزا مابأنفسهم واذا اراد ٱللّٰه بقوم سوء فلا مردَّ له ومالهم من دونه من وال** ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ **ذلك بان ٱللّٰه لم يك مغيّرا نعمةً نعمها على قوم حتى يغيّروا مابأنفسهم وأن ٱللّٰه سميع عليم** ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ **وكذلك نولّى بعض الظالمين بما كانوا يكسبون** ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ **وان الظالمين بعضهم أولياء بعض وٱللّٰه ولّى المتقين** ﴾[4]

ولايحسبنّ قليل العلم قاصرُ الفهم أن مصيبة المذاهب قاصرة على تلك المذاهب الاربعة ، التى شاع خبرها فى أرضنا وغير أرضنا بل هنالك ، من المذاهب ماهو أوسع انتشارا وأشد أخْطَارا منها ، ثم ان أعداد المذاهب وانواعها المختلفة فى ازدياد مستمر ، تلك خَطيئة جارفة ، لاتزال فى الأرض زاحفة ، ليس لها من دون ٱللّٰه كاشفة .

هنالك مذاهب عديدة ينتمى أصحابها الى الأسلام ، واسعة الانتشار ، كثيرة الأنصار ، كمذاهب الشيعة ، والاسماعيلية ، والبهائية ، والجعفرية ، وووالخليليه الطرق الصوفيه والنقشبنديه والرافضة والمعتزله والمرجئه والدهرية ، وغيرها من الأوزاع والأشياع التى تخرج فى الناس بلا انقطاع فيا حسرة على الأسلام الذى ضاع ! ! !

ففى هذه المرحلة من الاختلاف ، تقَطعَ الناس زبرا خلف مشايخهم وأحبارهم ، تقطّعوا فرقا وشيعاً ومذاهب واحزابا ،

(١) الرعد (١١) (٢) الأنفال (٥٣)
(٣) الأنعام (١٢٩) (٤) الجاثيه (١٩)

وإن كانوا جميعا رعية لدولة واحدة ، تحت حكم واحد ، وسلطان واحد هو خليفة المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولكنهم تحت هذا الامام الواحد احزاب متناحرون ، ومذاهب متدابرون ، فكان هذا التقسيم الداخلى فى جوف الدولة الواحدة ، تمهيداً وارهاصاً لتقطيع الدولة الأسلامية الواحدة بعد ذلك الى دويلات ، وتلك هى المرحلة الثالثة والاخيرة من مراحل الاختلاف فى الكتاب قد بلغت مداها ثم الى ربك منتهاها .

٣ - المرحلة الثالثة مرحلة تمزيق الأمة الواحدة الى دويلات .

كان زوال الخلافة الأسلامية ، وتمزّق الأمة الواحدة العظيمة الى دويلات ضئيلة هزيلة هو النتيجة الحتمية ، والخاتمة المأساوية ، والمرحلة النهائية لكارثة الاختلاف فى الكتاب .

مازالت تتجمع المتاعب وتتوالى المصائب ، منذ اللحظة الأولى للاختلافات فى الكتاب ، وتزداد جيلا بعد جيل ، وتتفاقم قرن بعد قرن وتتضافر الأسباب ، وتتواطأ قوى الشر والعدوان ، وتتضاءل وتتخاذل عناصر الخير والأيمان ، حتى بلغت الفتنة ذروتها ، وأدركت الكارثة نهايتها ، وطغى الطوفان ، فاقتحم الأبواب والجدران ، وتدفق الشر فى كل مكان ، فوقع مالم يكن فى الحُسْبَانْ .

كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنا والخلافة فى أوج عظمتها ، والوحدة الأسلامية فى عنفوان قوتها ، وروابط المسلمين فى اتم شدتها ، كان عمر يخشى الفتنة ويتوجس

شرورها كان يتنسم أخبارها ، ويتحسس جذورها فيقتلعها اقتلاعاً كان يتوقعها كأنه يراها ، فيسأل الثقاة عنها ماذا قال فيها رسول آلله ﷺ

روى البخارى فى صحيحه عن حذيفة [**ان عمر ابن الخطاب قال أيكم يحفظ قول رسول آلله ﷺ فى الفتنة ؟ فقال حذيفة أنا أحفظ كما قال . قال هات انك لجرىء ، قال رسول آلله ﷺ فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ليست هذه ولكن التى تموج كموج البحر قال ياأمير المؤمنين لا بأس عليك منها ان بينك وبينها باباً مُغلقاً ، قال بفتح البابُ أوْ يُكسر ؟ قال لابل يُكسر قال ذلك أحرى ألا يغلق قُلنا علم الباب ؟ قال نعم كما أن دون غدٍ الليلة ، إنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط ، فَهِبْنا أنْ نسأله وأمرنا مسروقاً فسأله فقال من الباب ؟ قال عمر**]

إن الاختلاف فى الكتاب قد مهّد للفتنة تمهيداً ، اذ أوجد أصنافاً عديدة من الفقهاء مختلفة الآراء والأهواء ، اكثرهم راجح البطلان ، قليل الاصابة للحق ، وأكثرهم مداهنون للسلطان ، يشترون بآيات آلله ثمنا قليلاً ، فأملى ذلك للحكام أن يستخدموهم لترويج أباطيلهم وتزيين ضلالاتهم للعوام ، الذين هم بطبيعتهم يخافون الرؤساء ، ويعبدون الفقهاء والذين هم أجهل شيىء بتعاليم الدين وشرائع الأحكام ، فهم يصدقون كل مايُلقيه اليهم الفقهاء ويتبعون كل مايأمرهم به الرؤساء ، دون أدنى فهم أو علم ، إلا انهم يرددون مايسمعون كالببغاء ،

ولقد وصفهم القرآن الكريم وصفاً جامِعاً بقوله تعالى ﴿ **كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاءً ونداءً صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لايعقلون** ﴾[1] وبقوله تعالى ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها وله آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾[2]

ولم يكن تضليل الفقهاء للعوام فقط بتزيين أباطيل الحكام وضلالاتهم بل كان أيضا بكتمان مافى الكتاب من البينات والهدى التى انزلها ٱلله للناس وخصوصا مايمس الحاكم لئلا يكشف للعوام مايقترفه من اثم وحرام وخصوصا مايأمر به الشرع نحو خطايا الحكام ، وهكذا يضع الفقهاء عصابات بهتانهم على أعين العوام لكيلا يبصروا شيئاً مما حولهم من الخطايا والآثام ثم يسوقونهم الى مصارعهم كالأنعام .

ان ٱلله تبارك وتعالى قد أمر أن تكون هذه الأمة أمة واحدة لادويلات أشتاتاً قال تعالى ﴿ **إن هذه أمتكم واحدة فأنا ربكم فاعبدون وتقطّعوا أمركم بينهم كلٌ الينا راجعون** ﴾[3] وقال تعالى ﴿ **وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين** ﴾[4]

ولكن دهاقين الأحبار الذين مايأكلون فى بطونهم إلا النار قد كتموا عن الناس تلك الأخبار ، ليزينوا التمرد والعصيان للطامعين الذين اتخذوهم بطانة وجعلوهم من المقرّبين ، وليزيّنوا للغوغاء مساندة الطامعين ، ولم يبالوا بالوعيد على

(١) البقرة (١٧١) (٢) الأعراف (١٧٩)

(٣) الأنبياء (٩٢ - ٩٣) (٤) المؤمنون (٥٢ - ٥٤)

الكتمان من رب العالمين حيث قال تعالى ﴿ **ان الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيَّناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم آلله ويلعنهم اللاعنون** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزل آلله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك ماتأكلون فى بطونهم إلا النار ولايكلمهم آلله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بامغفرة فما أصبرهم على النار** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **واذ أخذ آلله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولايكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون** ﴾[3]

لقد شرع آلله تعالى بلسان رسوله أقصى العقوبات الرادعة الحاسمة ، التى تقطع دابر الفتنة ، وتبدّد وساوس الشيطان ، وتُطفىء نار العصيان ، وتُطيح بأى رأس ترتفع لمنازعة الخليفة الشرعى الذى اجتمع عليه أمر المسلمين كائنا من كان صاحبها كما شرع مضللة كل من يعاونه على ذلك ، حتى يستسلموا ويدخلوا فى الطاعة مذعنين فاذا برز متمرد ينازع أمام المسلمين ، ويقاتله بعصبيته وأعوانه ، قُتل المتمرد لامحالة وقوتل رحالة حتى يستسلموا ويعطوا بأيديهم تائبين نادمين فأنى للفتنة أن تثور مع هذا القمع الحاسم ، والعقاب الصارم ؟ !

قال رسول آلله ﷺ [**إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان**] وقال ﷺ [**من أتاكم وأمركم جميع على رجل**

(١) البقرة (١٥٩)
(٢) البقرة (١٧٤)
(٣) آل عمران (١٨٧)

واحد يريد أن يشق عصاكم أو يُفرق جماعتكم فاقتلوه]!
وقال ﷺ [**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**][1] وقال ﷺ [**خيَار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتُصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا قلنا يارسول آلله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ ! قال لا مَاأقاموا فيكم الصلاة ، لا مَاأقاموا فيكم الصلاة ألا من ولى عليه والٍ فرآه يأتى شيئاً من معصية آلله فليكره مايأتى من معصية آلله ولاينزعن يداً من طاعة**][2] وقال تعالى فى البغاة ﴿ **فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر آلله** ﴾[3]

فهذه الدعامات الكبرى لوحدة الأمة الأسلامية ، وتلك الضمانات العتيدة لصيانة هذه الوحدة ، قد فُقدت تماما بسبب الاختلاف فى الكتاب ، الذى أدّى الى اختفاء هذه التشريعات عن علم الناس اذ قد كتمها الفقهاء ، وزينوا مازينوا للقرناء ، حتى ثاروا على الخلفاء ، فقطَّعوا الأرض وسفكوا الدماء - هذه التشريعات قد جَهِلَهَا الدَهماء ، فَسَهُلَ بذلك انقيادهم للمحرضين والطامعين ، حتى قاتلوا خلفاءهم بجهالة وهم غافلون .

فلو لم يكن الاختلاف فى الكتاب ، لبيَّن الأحبار مافيه كما أمرهم آلله ولم يكتموه ليشتروا به ثمنا قليلا ، ولو بينوه لعلم الناس حقيقة ماأمرهم آلله ورسوله ، ولو علم الناس ذلك ، ماقاتلوا خلفاءهم بجهالة وهم لايعلمون وما أعانوا عليهم

(١) مسلم (٦ - ٢٣) **(٢) مسلم (٦ - ٢٤)**
(٣) الحجرات (٩)

المتحرقين للسلطان من الطامعين ، واذا لما تقطعت الأرض ، وماتفرق المسلمون .

فبسبب خطيئة الكتمان ، ذهب عن الخلافة والخلفاء أقوى ضمان ، وعند ضياع شرائع الدين ، تنطلق الفتنة والفوضى فى مرتع امين ، وحيثما ضاع الإسلام ، ذهب الأمين والسلام وتمزقت الأمة ، وزل الأنام .

واستمرت الفتنة فى الغليان ، وأزّت صدور الطامعين فى السلطان حتى اذا طفحت الشرور ، واشرأبت أعناق أهل الغرور ، وتهيأت الفرص لأصحاب المطامع ، تحركت رؤوس العصيان ، وخرج كل ذى منعةٍ بأنصاره على السلطان ، واستخدم بطانته من الفقهاء فى تضليل العوام ، وتزيين الخروج على الأمام

وتمت الكارثة ، ودخل الاختلاف المرحلة الثالثة ، وتبوأ المختلفون مقاعد الصدارة ، وتوارى المخلصون عن أعين النظّاره ، وأنشب الباطل فى الحق أظفاره ، وأصبح المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، وساغ فى عقول الناس وقوع التفرق والتحزّب فى الأسلام ، واعتبروا تلك الخطيئة الكبرى ضرورة حضارية ، وخطوة تقدّمية ، وانطلاقة فكرية ، فى آفاق الحرية .

وهكذا أُطلقت معاول الشرك والألحاد والإباحية ، لهدم صرح الخلافة الأسلامية ، بدعوى خلع الوصاية وبناء الاستقلال والحرية ، حتى قضى الأمر وتمت المأساة ، وكان

أمر ٱلله قدَراً مقدوراً ، فاذا الخلافة الأسلامية الكبرى ، التى ظلت سيدة العالم كله قرونا طويلة ، اذا هى دويلات هزيلة لاتحيا ولاتموت ، هيا كلها أوْهَى من بيوت العنكبوت ، ومنافعها نهب لكل غاصب وطاغوت .

تلك هى المرحلة الثالثة من مراحل الاختلاف فى الكتاب ، إن فى ذلك لعبرة وبصائر للذين يريدون الأصلاح ، والعودة بالأمة الأسلامية إلى الوحدة التى أمر ٱلله بها ، وأن تزول الاختلافات والمذاهب من ارض المسلمين ، وأن يكون الدين خالصا لله رب العالمين .

الباب الثالث عشر
عواقب الاختلاف فى الكتاب

ماظن الناس بعواقب كبرى الخطيئات ، إلا ان تكون عذاباً واصباً من الكوارث والنكبات ، وسيلاً جارقاً من المآسى والويلات ،لانحصيها عدداً ، ولكنا نذكر طائفة منها ، عسى أن يفيق الغافلون ويعمل العاملون ، ومعذرةً إلى ٱلله عز وجل ولعلهم يتقون ، وفيما يلى بعض نتائج الاختلاف فى الكتاب :

١ - تبديل كلمات ٱلله وتغيير شرائع الدين

هذه هى النتجية الأولى للاختلاف فى الكتاب ، بل هى عين الاختلاف ، لأنهم عندما تنازعوا فى آية من الكتاب أو حديث من أحاديث رسول ٱلله ﷺ منهم من يقول مراد ٱلله من الآية هو كذا ويقول آخرون بل مراده كذا وغيرهم يقول

كُلٌّ فريق منهم برإيه وهوى نفسه مايشاء ، ومنهم من يقول معنى الآية كذا وآخرون يقولون لابل معناها كذا وغيرهم وغيرهم لكل جماعة فهمهم ورأيهم ، ومنهم من يقول هذه الآية نزلت فى كذا ويقول غيرهم بل فى كذا ، وهكذا يفعلون فى الاحاديث ، فلو صادف أن أحد هؤلاء ، المختلفين المتشاكسين أصاب الحق فالباقون المخالفون له هم حتما وبالضرورة مبطلون ، فانظر نسبة الحق إلى الباطل ، فى هذا الصراع المتواصل ؟!!

أهلِ الحق فى كل ملة ، هم عدد قليل أو ثلة ، وأهل الباطل جمٌّ غفِيرمُمُ الجملة ، وسواد الناس خلف سواد الأحبار ، مايتبع أكثرهم إلا كلاما مبدلاً وشرائع محاَّفة ، هؤلاء هم الاشرار ، هؤلاء هم بعث النار ، يوم يقول ٱلله عز وجل ياآدم أخرج بعث النار ، فيخرج من ذريته من كل ألف تسعمائة وتسعاً وتسعين ، يساقون إلى البوار قال عز وجل فى السابقين ثُلَّةٌ مِنْ الأولين وقليل من الآخرين ، وقال تعالى فى اصحاب اليمين ثُلَّةٌ من الأولين وثلة من الأخرين ، وهل وراء هذا النزر المختار من السابقين وأصحاب اليمين إلاّ أصحاب النار ؟! فياويل المختلفين من الأحبار ، وأتباع الأحبار ، وأتباع أتباع الأحبار .

شرائع وأحكاما ، سألوه من قال هذا ؟ ومادليلك على المهتدون أولو الألباب ، أذا سمعوا ففيهاً من رأسه هذا ؟ فأن أيقنوه من عند ٱلله لانت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر ٱلله فاتبعوه ، وان وجدوه إفكاً من التصانيف ، وبدعا من التخاريف ، قالوا له حسبك ، أمسك عليك نِثَارَ بطنك ، إنَّا بُرَءَاءَ إلى من قولك ، اؤلئك ميزوا بين الصدق والإفك ، فاتبعوا الحق ونبذورا الباطل أولئك لهم البشرى من ٱلله قال

تعالى ﴿ **وبشرا عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم آلله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾[1]

أما غيرهم فيتبعون كل ناعق ، ويستمعون لك أفاك ، لايميزون الصحيح من المكذوب ، أؤلئك صم بكم فى الظلمات ، لايعقلون شيئا ولا يهتدون ، أؤلئك محجوبون عن الحق ، ما يتبعون إلا الظن وماتهوى أنفسهم قال تعالى ﴿ **ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾[2] أولئك مختوم على قلبوهم لا يجد الهدى اليهم سبيلا قال تعالى ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله آلله على علم وختم على سمعة وقلبة وجعل على بصره غشاوه فمن يهديه من عبد آلله أفلا تذكرون** ﴾[3]

أن تبديل كلمات آلله ، وتغيير شرائعه إنما يقع بأحدى ثلاثة طراق

١ - تحريف كلمات آلله فى كتبة المنزله بحذف أو أضافة أو تقديم أو تأخير أو أبدال الفاظ أو جمل مكان أخرى ، وهذه هى أخطر الطرق وأشدها إضلالا للناس وهذا النوع من التبديل قد وقع لجميع الامم عدا هذه الأمة التى حفظها آلله كتابها مكان معجزة وإنه لها الى آخر الدهر قال تعالى ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[4]**وقال تعالى** ﴿ **أنه لكتاب عزيز لايأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[5]

أما الأمم السابقة كلها فقد حُرِّفت كتبها المنزله كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم قال تعالى ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند آلله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل**

(١) الزمر (١٨)
(٢) النجم (٢٣)
(٣) الجاثية (٢٣)
(٤) الحجر (٩)
(٥) فصلت (٤١ - ٤٢)

هم ماكتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾**[2] وقال تعالى ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبه قاسية يحُرّفون الكلم عن مواضعه ﴾**[3] وقال تعالى ﴿ **ومن الذين هادوا سمـٰعون للكذب سمـٰعون لقوم آخرين لم يأتوك يُحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾**[4]

٢ - شرائع وأحكام يفتريها الأحبار فى مصنافتهم وينسبونها إلى آلله أو أحاديث مكذوبة يفترونها على رسول آلله أو أقوال بألسنتهم يقولون أنها من عند آلله قال تعالى ﴿ **وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند آلله وماهو من عند آلله ويقولون على آلله الكذب وهم يعلمون ﴾**[5]

٣ - شرائع وأحكام وضعتها الحكومات المختلفة يبطلون بها شرائع التنزيل ويحلونها محلها ، لاينسبونها إلى آلله بل يقرون صراحة أنها من وضعهم ، ويُبرِّرُونها بمختلف العلل ، كالتطورات الحضارية ، والتحركات التقدميه ، والمناهج العلمانيه ، والاحتياجات العصرية والضرورات الأجتماعية ، وماشاكل ذلك من المغالطات الكلامية لفرض القوانيين القهريه اللادينية ... فهذا كله الحاد صريح ، وضلال سافر ، وإنْكَارٌ مباشر لشرائع الدين ، هذا إلحادْ ظاهر لايخفى على أحد ، فلا يضل إلا منن كان على نفس الخط من الزندقة .

قلنا إن آلله عز وجل قد حفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل فكان هذا حفظا للأصل ، حفظا للشطر الأكبر من

(١) البقرة (٧٦)
(٢) النساء (٤٦)
(٣) المائدة (١٣)
(٤) المائدة (٤١)
(٥) آل عمران (٧٨)

الشريعة الأسلامية ، وهو شطر التنزيل ، فبقى الشطر الاخر من الشريعة وهو شطر التنزيل تفصيل رسول آلله ﷺ لما جاء فى التنزيل وهو شطر حيوى لاغنى عنه لاتمام العلم والعمل بالشريعه ، نعم لحكمة يعلمها مدّبر الأمر أحكم الحاكمين جل جلاله ، لم يشأ أن يجعل لهذا الشطر الأخر من الشريعه نفس الحفظ الكامل الذى جعله للقرآن الكريم بل اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ، أن يسلّط جيوشاً من الكذابين والوضاعين والمدلّسين والخراصين والمرجفين والمنافقين ومن لايعلمهم إلا آلله ، يسلطهم على أحاديث رسول آلله ﷺ فيغرقونها إغراقاً فى طوفان عارم من المفتريات ، حتى إنّ الصحيح منها ليكاد يختفى فى عجاج هذا الأفك المحيط ، لايُستخرج الصحيح منها إلا كما يُستخرج الدُر من جوف المحيط ، لايخرجه إلا الغواص الماهر الصابر المصابر ، ماجعل آلله تعالى تلك المشقة فى معرفة الصحيح من المعلول إلا ليعلم من ينقلبُ على عقبية ممن يتبع الرسول ، ولله الحكمة البالغة وهو أحكم الحاكمين .

ولكن آلله عز وجلَ من رحمته بالمسلمين ، ومن لطفه بأهل هذا الدين قيَّض لفيفا من عباده المؤمنين ، زوّدهم بما شاء من العلم والتمكين للبحث والتنقيب عن الدُّر النظيف ، فى حماة هذا الدحض الكثيف ، على رأسهم الشيخان البخارى ومسلم اللذان جمعا فى صحيحيهما من أصح الصحاح مايعتبر المصدر الثانى للشريعة الأسلامية بعد القرآن العظيم فجزاهما آلله خير الجزاء إن آلله لايضيع أجر المحسنين ، وهكذا حفظ آلله تعالى للمسلمين ماأبقى لهم من أحاديث رسوله الأمين ، وحجب عنهم ماحجب ، كل ذلك بميزان وقدر حتى لايضيع ايمان

المؤمنين ، وحتى يضل من حقَّت عليه الضلالة من الغاوين أتباع الوضاعين والكذابين والمدلّسين .

قال تعالى ﴿ **وماكان آلله ليضيع ايمانكم إن آلله بالناس لرؤف رحيم** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **وماكان آلله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يُبين لهم ما يتقون إن آلله بكل شيء عليم** ﴾[2]

فمرة أخرى نَنْصحُ عامة المسلمين ألا يأخذوا شرائع دينهم إلا من كلام آلله و كلام رسوله فقط ، هذا هو الدين الخالص ، ننصحهم ألا يأخذوا شرائع دينهم من أقوال العلماء أو الفقهاء أوْ أى بشر كائنا من كان دون رسول آلله ﷺ من أخذ شرائع الدين من أقوال الأحبار والربانيين ، دون أى سند من نصُوص الدين ، فهمو لهم من العابدين هكذا قال آلله وقال رسوله الأمين صدق آلله وصدق رسوله وكذب جميع المفترين ، شرائع البشر فى الدين انما هى شرك مبين .

ومرةً أخرى ننصح العلماء والفقهاء من المسلمين ، أن ينسلخوا من المذهبية ، وأن يتبرؤا من تفريق الدين شيعا وفرقاً ومذاهب وأحزاباً وأن يعتصموا بكتاب آلله وسنّة رسوله وحدهما دون سواهما ، وأن يبينوا للناس ماأنزل آلله فى الكتاب من البينات والهدى ، والا يكتموا من ذلك شيئاً وألا يشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، وألا يشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ان كانوا لربهم يرهبون .

ضياع شرائع الأسلام .

لقد تم التغيير والتبديل فى شرائع الأسلام بصورة شبه

(١) البقرة (١٤٣)　　(٢) التوبة (١١٥)

كاملة ، اذ لم يبق من الأسلام إلا بعض شعائر العبادات من صلاة وصيام وحج ، اما كل ماعدا ذلك من شرائع وأحكام ، فقد اندثرت تماما واستبدل به رجس من عمل الشيطان ، وضلال من صنع الوضاعين وحتى هذه الشعائر القليلة الباقية من الأسلام ، قدنالها من التبديل والتغيير ماشوّه صورتها ، وأفسد طبيعتها ، حتى لايكاد المتأمل فيها يتعرف على أثاره من النّسك الصحيح الذى كان مشهوداً ومعهوداً فى زمن النبى ﷺ وهذا التغيير قد وقع مبكراً بعد قبض النبى ﷺ فقد روى البخارى فى صحيحه عن غيلان عن أنس قال [**ماأعرف شيئاً مما كان على عهد النبى ﷺ قيل الصّلاة ! ! قال أليس صَنَعتُم ماصَنعتم فيها ؟ !**][1] وروى البخارى فى صحيحه أيضا عن الزهرى قال [**دخلت على أنس ابن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت مايُبكيك ؟ قال لاأعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضُيِّعتْ**][2]

أما جميع شرائع الدين واحكامه فقد انعدمت بالكلية ، لاترى لها أثراً ولاتسمع عنها خبراً ، ولو انْبعث رجل من قرن النبى ﷺ ليجوب فى ديارنا ماتردّد طرفة عين فى القول أنه يمشى فى دسكرة من أرض الروم أو فى ضيعة من بلاد الفرس ، إلا أن يسمع أذاناً للصلاة ، أو قرآنا فى الأذاعة وحتى هذان الرمزان ، الأذان والقرآن هما مهجوران ، أكثر الناس معرضون عن الأذان وعن القرآن ، لا الأذان ولا القرآن يجتذبهم الى بيوت الله يسمعون الأذان لايهزّ مشاعرهم ،

(١) فح (٥٢٩)

(٢) فح (٥٣٠)

ويقرؤن القرآن لايجاوز حَناجرهم بيوت آلله مهجورة ، وبيوت اللهو معمورة ، وقلوب الناس فى الشهوات مغمورة .

الصلاة اكثرها عادة لاعبادة ، أو تقاليد جوفاء ، وحركات شوهاء والصيام أغلبه تذمّم وحياء ، والحج معظمه تفاخر ورياء ، وكل ماعدا ذلك من شرائع الدين وأحكامه ، قد أدركه المسخ أو طواه الفناء ، واستبدل به شرائع الوضّاعين ، طافحةً بالفساد عاصفةً بالظلم والاستبداد .

المواريث قد عبثت بها أيدى الطواغيت ، وأحكام البيوع قد عفا عليها الأثر ، والربا فى الأرض ساد وانتشر ، وأحكام القَضاء كلها منقولة عن الكافرين ، وأما قضاء آلله ورسوله فأنما هو خَبر من الأخبار أو قصص فى بطون الأسفار .

تركوا الزكاة التى هى ركن من أركان الدين ، وطُهرَة أموال المسلمين واستبدلوا بها رجسا من ضرائب الكافرين ، وسُحتاً من المكوس الشديدة التحريم ، والخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، تُدار على رؤوس الأنام ، وشرائع الحرث والزرع والدور ، قد حُرِّم حلالها ، واستُحل حرامها واستبدل بها شرائع أهل الكفر والفجور .

ولقد ذكرنا أمثلة رمزية لذلك التبديل والتغيير فى الشرائع فى باب (**اختلاف المذاهب والفقهاء**) لتنبيه المسلمين الى ماحاق بالدين . ولتأكيد انعدام العصمة لغير النبيين ، فمن أراد المزيد ليزداد يقيناً على يقين ، أحلناه على دواوين « الدين القيم » المبينة على الغلاف ليزول الوهم عن الواهمين ،

ويستبين الحق للمستبصرين ﴿ **ليهلك من هلك عن بَيِّنة وَيَحيى من حىَّ عن بينة وان آلله لسميع عليم** ﴾[1] فتغيير الشرائع هو النتيجة الأولى للاختلاف فى الكتاب .

٢ – اضلال المسلمين .

السواد الأعظم من البشر فى كل زمان وفى كل ملّة يتبعون الأحبار فى شئون الدين ، يصدّقونهم فى كل مايقولون ، ويطيعونهم فيما يُحلون ويُحرمون ، يتبادرون أيديهم بالتقبيل ، ولايسألونهم عما يقولون أى دليل ، فباء الطرفان بالتضليل والتخبيل .

إذا ضل الأحبار ضلّت أممهم بضلالهم ، وهذا واقع فى جميع الأمم ، السواد الأعظم من الأحبار فى جميع الأمم قد ضلّوا ضلالا بعيدا ، بتحريف كتبهم وتزييف شرائعهم ، واتباع أهوائهم ، ولم ينج منهم من هذا الضّلال الباغى إلا القليل جدا الذين زهدوا فى الدنيا ، وبدءوا من التحريف والتزييف ، واعتصموا بالصحيح من مصادر دينهم فقاموا فى عبادة ربهم خالصين مخلصين ، لايلوون على لعاعة من الدنيا

كالذين أخبْر عنهم القرآن الكريم فى عدة مواضع ، كقوله تعالى ﴿ **ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات آلله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينْهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ومايفعلوا من خير فلن يكفروه وآلله عليم بالمتقين** ﴾[2]

(١) الأنفال (٤٢)

(٢) آل عمران (١١٣ – ١١٥)

وكقوله تعالى فى أهل الكتاب ﴿ **منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون** ﴾[1] وكقوله تعالى فى النصارى ﴿ **واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابَهُمْ آلله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين** ﴾[2] وكقوله تعالى فى عموم الصالحين من جميع الملل ﴿ **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾[3]

وكالذين أتتنا أخبارهم فى أحاديث رسول آلله ﷺ من أحبار بنى اسرائيل وزهادهم الذين ثبتوا على الحق ، ولم يحرفوا ولم يبدلوا كابن جريج وغيره ممن دونت أخبارهم الصحاح .

كل ذلك يشير الى الندرة النادرة من أحبار الأمم الذين صبروا على الحق وزهدوا فى الدنيا ونجوا من الباطل والضلال .

وأحبار المسلمين هم على نفس المنوال ، الأغلبية العظمى منهم بدّلوا كلمات آلله ، وغيّروا شرائع آلله ، وشرعوا من الدين مالم يأذن به آلله وحرموا ماأحل آلله وأحلوا ماحرّم آلله وكتموا ماأنزل آلله من البينات والهدى ، وسارو فى رِكَاب الحكام ، وتمرغوا فى الدنيا ظهراً لبطن ، واشتروا بآيات آلله ثمناً قليلا ، وضلوا ، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ،

(١) آل عمران (١١٠)
(٢) المائدة (٨٣ - ٨٥)
(٣) الأعراف (١٨١)

قد أمتلأت مصننفاتهم بالضلال والخبال ، قد ضربنا لها الأمثال ، ومن ورائها أثقال كالجبال ، قد سكتوا عن الموبقات التى فشت فى البلاد والعباد ومالأوا الحكام على فرض قوانين الخبال ، التى دمرت النساء والرجال وطرحت شرائع الأسلام فى الأوحال .

أحبار المسلمين قد ضلوا ابتداءً باختلافهم فى الكتاب أضلوا من المسلمين من سار خلفهم فى الركاب ﴿ **ليحملوا أوزاوهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألاساء ما يزرون** ﴾[1]

قد أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم ، ولو شاء ٱللّه لرفعهم بالكتاب الذى حملوه ، ولكنهم طَرحوهُ وراءهم ظِهْرِيًّا واشتروا به ثمنا قليلا ، متاع الحياة الدنيا وزينتها ، قد حرصوا على الزخرف والمتاع على العلو والارتفاع ، تراهم يتشوفون إلى المعالى ، ويتملقون السلطان العالى ، ويفخرون بمقعدهم من رِكاب الوالى

قد رأينا ورأى الناس من ذلك الأمثال تلو الأمثال على كَرِّ السنين والأجيال ، ولعل مثلا من كل حِقْبه ، يؤكد للناس دوام النكبة ويكشف للمخدوعين حقيقة الصدمة

فنحن نذكر فى العشرينات عظيماً من هؤلاء الأحبار كان يصلى بالناس صلاة التروايح فى أعظم مسجدين فى القاهرة ، ففى ليلة السابع والعشرين غادر المسيح وترك الأمانة لآخر ثم أخذ زينته الباهرة ، وركب عربته الفاخرة ، متوجها إلى

(١) النحل (٢٥)

قصر الدوباره فى رهط من العلماء إجابة لدعوة من المندوب السامى البريطانى ، وتحدثت بطانة الإمام عن ذلك الشرف الرفيع بكل فَخْرٍ واعتزاز ﴿ **أيبتغون عندهم العزة فأن العزة لله جميعا** ﴾[1] ونذكر فى الثلاثينات ماسجلته عدسة المصور فى الحفل الذى أقيم بقصر أنطونيادس بالاسكندريه ابتهاجا بشفاء الملك فؤاد ، وشهده كبار العلماء عندما رفع كبيرهم أمام عينيه قرطاساً ليحجب عن بصره الراقصات الكاسيات العاريا ثم يضع عينه على حافة القرطاس يخالس النظر إلى الشهوة المتأججة بغير لباس !!! ونذكر كبيرهم وهو يتدافع بين الناس تدافع الأمواج ، يسعى مهرولا خلف حاملة التاج حتى لا يفوته شرف اللحاق بالركاب !!! هذا ماأهان نفسه وحدها ولكنه أهان الأسلام الذى يمثله (رسمياً) وليس بعيدا عن الأذهان ، ذاك الذى أَجْبَرَهُ السلطان على أرساء حجر الأساس بيده لمؤسسة الشرك والكفران ، فلا وآلله ماعَتِمَ الآمِرُ والمأمور أن دخلا حيث لا يرجعان ، أن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار

ونحن اذ نتكلم عن إضْلاَلِ المسلمين ، نتيجة الأختلاف فى الكتاب ، نحب أن نؤكد بكل قوة أن ضلال الأحبار أو صلاحهم ليس كضلال الأفراد أو صلاحهم ، ضلال الحبر أو صلاحه يَضِلّ به أو يَصْلُحُ الجم الغفير من الناس ، وضلال الأحبار أوصلاحهم فى أُمةٍ من الأمم تضل به الأمة بأسرها أو تصلح ، أما ضلال أى نفس واحدة أو صلاحُها فإنما هو عليها أو لها دون سواها ، فعلى الذين يعنيهم صلاح الأمم

(١) النساء (١٣٩)

أن يفطنوا إلى ذلك وأن يعملوا طبقا لذلك ، وإنما تؤتى البيوت من أبوابها لامن ظهورها ﴿ **وآلله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ﴾[1] قال رسول آلله ﷺ [**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا يَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئا**][2]

ضلال الرعية يختفى إذا صلح الحكام ، أما ضلال الحاكم فهو الذى يدمّر الأمة ويضل الأنام ، ضلال الرعية يُقّوم بالهداية ويُرد الى الصواب ، أو يردع بالعقاب ، أما ضلال الوالى فهو الذى يدُع الأمة دعًا إلى التباب ، فلا تغيير لشرائع الدين ، الا عند سيطرة المجرمين المبّدلين ، إن تسلط شرذمة قليلة من الفراعين ، العالين فى الأرض مفسدين غير مصلحين ، هو هلاك الناس أجمعين هذه سنة آلله فى الأولين والأخرين ﴿ **واذا أردنا أن نُهْلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** ﴾ سُنَّةُ حَقٍّ قد قرأناها فى أخبار الأقدمين ، واكتوينا بنارها فى عصرنا الحزين

لايصدق العوام قول الحكام فى الدين ، ولكن يصدقون قول الأحبار والربانيين ، والحكام أنفسهم يستفتون الأحبار فى الدين وليس الأحبارهم الذين يسألون الحاكمين فالقول المسموع فى الدين هو للأحبار فضلال الأحبار هو الطامة الكبرى

وقد عّرفنا فى صدر هذا الكتاب المقصود من لفظ « الأحبار » ونريد بتعريف الأحبار تحديد الأشخاص ذوى

(١) يوسف (٢١)

(٢) مسلم (٨ - ٦٢)

التأثير على العوام فى شئون الدين هم بصفة عامة كل من يتوهم العامة أنهم ذوو علم بالدين فسيتفتونهم ويسمعون لهم ويُطيعون حتى ولو كان علمهم ظنيناً غير يقين حتى لو كانوا كاذبين غير صادقين حتى ولو كانوا دجالين مشعوذين فالإشارة هى إلى هؤلاء أجمعين لما لهم من التأثير على عوام المسلمين

الأحبار عند ٱللّٰه هم كل من آتاه ٱللّٰه الكتاب وفقهه فى الدين سواء كانت هذه صنعة معاشة أو لم تكن هؤلاء هم الأحبار حقا ، وربهم أعلم بهم ، أما الأحبار فى نظر العوام فهم كل متخصص فى علوم الدين ، مشتغل بتعليم الدين ، أو متقلِّدٍ بعض مناصب الحكم فى الدين ، أو موكل بإمامة المصلين ، أو متزعم طريقا من طرق المتصوفين أو مُتَقَمِّشٍ بزى أهل الدين ، أو متقوقع فى أضرحة (الأسياد) المشهورين أو ما شابه ذلك مما يُلقى فى روع الدهماء أنه على علم بالدين

وكيفما كان أى حبر من الأحبار ، فالويل للظالمين أكلة النار الذين يكتمون ماأنزل ٱللّٰه من الكتاب ، والذين يهلكون أنفسهم وقومهم بالاختلاف فى الكتاب ياطلاب الحق لاتسمعوا لمختلف فى الكتاب ، مفتر على ٱللّٰه مشعوذ كذاب ، بل احثوا على راسه التراب واعتصموا بالله العزيز الوهاب

٣ - تفريق الدين شيعا ومذاهب

لما اختلف أحبار المسلمين فى الكتاب الذى أوتوه من بعدما جَاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن بعد ماجاءهم البينات ،

حكموا فى الدين بآرائهم على خلاف النصوص فبدلوا كلمات آلله ، وغيروا شرائع آلله ، فضلوا عن الحق ، وزاغوا عن الهدى وضل الناس بضلالهم ، واختلفوا فيما بينهم ، كما اختلف الأحبار فيما بينهم فلماً شاع الاختلاف فى الأمة كلها ، إنحاز كل فريق منهم إلى شيخهم الذى يعرفونه واتخذوا أحكامه مذهبا واتخذوه إماما لمذهبهم كل فريق يرى مذهبه هو الصحيح ويرى غيره باطلا ، فكانوا شيعا مختلفة كل حزب بما لديهم فرحون ، فكان هذا هو الصدع الأول فى كيان الدين ، تصدعوا شيعا ومذاهب مختلفة بعدما كانوا أمة واحدة ، منهاجا الكتاب والسنّة ، ليس فيها رأى دخيل ولا سوء تأويل ، وفى ذلك يقول آلله عز وجل ، مبرئاً نبيّه من هؤلاء الذين فرقوا دينهم شيعا ومتوعدهم ومحذرهم بالتنكير ، والتنكير فى لغة البيان هو أشد التحذير قال تعالى ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيىء انما أمرهم الى آلله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾[1]

كان اختلاف المذاهب ، وتفرق الدين شيعا هو الصدع الأول فى الدين ، فأقام الناس على ذلك قروناً داخل الدولة الأسلامية الواحدة ، فِرقاً متصدعين ، ومذاهب متناحرين ، حتى وقع فيهم الصدع الأكبر ، فمزقهم كلَّ ممزق ، ودالت الخلافة الأسلامية التى كانت تجمع جميع المسلمين ، وتناثرت اشلاؤها دويلات هزيلات فى الشرق والغرب ، سقطوا بعد ارتفاع ، وذاقوا من الذلة والضياع .

فظهور المذاهب والأحزاب ، هو أشأم مقدّمة ، لأسوأ خاتمة ، فى كارثة الاختلاف فى الكتاب .

(١) الأنعام (٥٩)

٤ - تمزق الخلافة دويلات .

قال تعالى ﴿ **ان هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون** ﴾[١] وقال تعالى ﴿ **وإنَّ هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فَذَرهم فى غمرتهم حتى حين أيحْسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخبرات بل لايشعرون** ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ **منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾[٣]

فهذه الآيات كلها تعلن للعباد بكل صراحة ووضوح أمر ربّهم أن يكونوا أمة واحدة ، وتحذرهم الانقسام الى أحزاب وشيع وألا يغتروا بما أمدهم الله به من مال وبنين فيحسبون ان ذلك ، دليل على الرضا والاكرام ﴿ **انما نملى لهم ليزدادو إثما ولهم عذاب مهين** ﴾

ولقد تنبأ رسول الله ﷺ بتقطيع الأمة الأسلامة وأنها ستكون نهبا مأكولا للدول الأخرى ، فتحققت نبوءته ﷺ بعد عدة قرون قال ﷺ [**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها قالوا أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قل بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل يقذف الله فى قلوبكم الوهن وينزع المهابة من صدور عدوكم حتى ترجعوا الى دينكم**][٤]

(١) الأنبياء (٩٢ - ٩٣) (٢) المؤمنون (٥٢ - ٥٦)
(٣) الروم (٣١ - ٣٢)(٤) أحمد ابن حنبل (٢ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨)والدارمى ملاحم ٥

ولقد تحققت النبوءة طبقا لما جاء فى الحديث حرفيا ، فكان ذلك دليلا آخر يضاف الى أدلة كثيرة مماثلة ، كلها تقطع بصدق رسالته ﷺ ، فما أن تمزقت الخلافة الأسلامية الى دويلات ، حتى ثارت مطامع الكافرين ، فانقضوا على تلك الدويلات الهزيلة ، يقتسمونها فيما بينهم مستعمرات ، ومناطق نفوذ ، يستعبدون أهلها ، وينتهبون ثرواتها فكانت هذه الخاتمة المأساوية ، للخلافة الأسلامية هى النتيجة الرابعة ، للاختلاف فى الكتاب .

وحقيقةُ أن القوة فى الجماعة والائتلاف ، وأن الضعف فى التفرق والاختلاف ، هى حقيقةٌ فطرية ، تهدى إليها غرائز جميع الكائنات ، حتى الوحوش فى الغابات ، فلا سبيل الى انكارها ، انما بجحدها الذين هيجتهم المطامع والشهوات ، فهم يتشوفون الى الجاه والسلطان والعلو فى الأرض ، يقاتلون على ذلك بكل مايملكون ، لايبالون بإهدار الدين ، ولابمعصية رب العالمين ، ولا بانهاك قوة المسلمين .

وكل انسان يرى كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية وهى قرابة الخمسين ولاية ، لما اتحدت دولة واحدة صارت دولة عظمى ، وكذلك ولايات البلاشفة ، تكونت من اتحادها دولة عظمى ، فالاتحاد دائماً قوة سواء لأهل الشرق الملحدين ، أو لأهل الغرب الكافرين ، فما بالك بالاتحاد بين المؤمنين الموحدين ؟ لكن الكافرين تجمعوا فعزوا ، والمسلمين تقطعوا فذلّوا .

٥ - **سخط آلله وغضبه .**

لاسخط ولاغضب أعظم من سخط آلله وغضبه على الذين اختلفوا فى الكتاب ، أولئك ارتكبوا أكبر الكبائر وعددا كبيرا من الكبائر وقد فصّلنا ذلك تفصيلا فى باب (حكم آلله فى المختلفين فى الكتاب) فليرجع إليه .

٦ - **ويلات الدنيا .**

ويلات الدنيا كثيرة هى فى النفس آفات وعلل بعد الصحة والعافية وهى فى المال جوائح ماحقه قلّة بعد كثرة ، وفقر بعد غنى ، وهى فى المكانة تدهور متتابع ، هوان بعد كرامة ، وذل بعد عز ، وهى فى الأمم والشعوب ، هزيمة بعد نصر ، وخوف بعد أمن ، وجهل بعد علم ، وليس بخافٍ على أحد ماآل اليه أمر هذه الأمة الأسلامية ، التى كانت سيدة العالم بلا منازع ، فاذا هى فى ركب الجاهلين المتخلفين ، وفى مجموعة المستضعفين ، واذا هى نهب للطامعين ، قد ردّهم آلله أسفل سافلين ، بعد عز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين .

ومن ويلات الدنيا تلك الفتن العارمة ، التى تموج كموج البحر ، فيكثر الهرج ويحطم الناس بعضهم بعضا كما فى الحروب الأهلية التى تأكل الشعوب أكلا .

ومن ويلات الدنيا أن يسلط آلله عليهم عدواً من غيرهم فيجوسوا خلال الديار ، ويتبّروا ماعلوا تتبيراً .

ومن ويلات الدنيا مايرسل آلله عليهم ألواناً من النكبات من فوقهم كالطوفان والأعاصير والصواعق والبراكين ، أو من تحت أرجلهم كالزلازل والخسف ، ومنها الجفاف والقحط

يمسك آلله عنهم الأمطار ، وتغيض العيون والأنهار ، فاذا أرضهم الخضراء صحراء جرداء ، ومنها أن يمسك الحب فلا ينبت الزرع أو يرسل الآفات على الحرث والنسل فتهلك الثمار وتنفق المواشى والأبقار ، وآلله تعالى يقضى بالحق ويفعل مايشاء ويحكم مايريد قال تعالى ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نُصرف الآيات لعلهم يفقهون** ﴾[1]

وأمثلة أخرى من الآيات والنذر تواتيهم كل حين تصيبهم أو تقع قريباً من دارهم ، ولكنهم يسمعونها وهم يلعبون أو يتلقونها وهم مبلسون ، ثم يخرجون منها وهم غافلون ، ثم لايتوبون ولاهم يذكرون ، بل يَمُرُّون عليها وهم عنها معرضون ﴿ **وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون** ﴾[2]

ان المختلفين فى الكتاب ، واتباع المختلفين فى الكتاب ، قد استوجبوا أشد العذاب ، بما ضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل : هم على شفا جرف هارٍ لاندرى ماآلله فاعل بهم ، ان هلكوا بغير متاب فانّما هم فى تباب ، وأن رجعوا القهقرى ، وندموا على ماجرى ، وتابوا وأصلحوا وبيّنوا ، فان آلله يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم .

إن الويلات التى تُصيب الناس فى الدنيا ، هى عقاب رحيم من آلله عز وجل ، ولكنها فى نفس الوقت نذير وتحذير ، عسى أن ينتبه صاحبها من غفلاته ، ويستبرىء من سيئاته ، ويرجع عن خطيئاته تائباً نادماً ويتضرع الى آلله ساجدا وقائما

(١) الأنعام (٦٥) (٢) يونس (١٠١)

قال تعالى ﴿ **وماأرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضّرعون** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون** ﴾[2]

ووددنا لو رجع المختلفون فى الكتاب وتابوا وأنابوا ، ووددنا لو تضرعوا واستجابوا فيبدل آلله سيئاتهم حسنات ، وكان آلله غفوراً رحيما .

٧ - عذاب الآخرة

قد ذكرنا طرفا من عذاب الدنيا وهو كثير مرير ، ولكن عذاب الآخرة أدهى وأمر ، وقد فصّلناها فى باب حكم آلله فى المختلفين فليرجع إليها .

الباب الرابع عشر
(مواثيق آلله)

لقد أخذ آلله من عباده المواثيق العظيمة كميثاق التوحيد الخالص من كل شرك ، وميثاق عدم عبادة الشيطان ﴿ **ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾[3] وميثاق السمع والطاعة ، وميثاق الايمان والنصرة ، وميثاق صيانة الأنفس والدماء ، وميثاق البيان وعدم الكتمان ، وغير ذلك من المواثيق وأولها وأعظمها جميعا هو :

(١) الأعراف (٩٤)
(٢) الأنعام (٤٢ - ٤٣)
(٣) يس (٦٠ - ٦٢)

ميثاق التوحيد الخالص

أخذ آلله الميثاق على عباده جميعا ، وهم ذر فى ظهور آبائهم أن يعبدوه وحده لايشركون به شيئاً فأقروا وشهدوا قال تعالى ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا درية من بعدهم أفتهلكنا بما فِعل المطِلون** ﴾[1]

وميثاق التوحيد الخالص من كل شرك ، لايكفى فيه الأقرار بالوحدانية ، بل لابد لتمام الاخلاص من نفى كل أنواع الشرك فلا يُعبد الشيطان مع آلله ، ولايتخذ آلهه هواه ، ولايعبد الأحبار ولايتخذ من دون آلله أنداداً يحبونهم كحب آلله ، ولايتخذ من دون آلله أولياء ، ولايعبد المرأة ، أو المال ، أو الطواغيت بجميع أشكالها .

من أجلَ ذلك نَنصح المسلمين ألا يتبعوا فى دينهم إلا ماأنزل آلله فى كتابه ، وفصّله رسوله قولا وعملا ، لاماشرع العلماء أو الفقهاء أو الكبراء لا ماجاءت به الشيع والفرق والأحزاب والمذاهب ، من متناقضات واختلافات وشقاق بعيد ، كل ذلك ضلال وخَبال .

ننصح المسلمين أن ينسلخوا من جميع الفرق والشيع والمذاهب وأن يعتصموا بالكتاب والسنّة وحدهما ، ننصحهم أن يتبرؤا من تفريق الدين شيعا ومن تمزيق الأمة زبرا ، وايثار ماعند آلله على زهرة الحياة الدنيا فمن سمع وأطاع فأولئك

(١) الأعراف (١٧٢ - ١٧٣)

هم المفلحون ، ومن أعرض ونأى بجانبه فما على الرسول إلا البلاغ المبين هذا نصح للعامة ثم ننصح الذين حباهم آلله العلم وآتاهم الكتاب ، ننصحهم بميثاق البيان وعدم الكتمان .

ميثاق البيان وعدم الكتمان

أخذ آلله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، سواء كانوا من الأحبار الذين معيشتهم من الكتاب ، أو الأحبار الذين معيشتهم من شيىء آخر ولكن آلله علمهم الكتاب ، كل من آتاه آلله الكتاب فهو داخل فى ميثاق الذين أوتوا الكتاب أخذ آلله ميثاق هؤلاء وهؤلاء ، أن يبينوا للناس ماعلمهم آلله ونهاهم عن كتمانه ، ايا كان المقابل الذى وقع من أجله الكتمان ، قال تعالى ﴿ **واذا أخذ آلله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم آلله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزل آلله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك مايأكلون فى بطونهم إلا النار ولايكلمهم آلله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار** ﴾[3]

فبادروا أيها الأحبار بالبيان ، كلٌ على قدر طاقته ، وتطهروا من الكتمان ، ثم لا ترتكسوا فى خطيئته ، والبيان

(١) آل عمران (١٨٧)
(٢) البقرة (١٥٩ - ١٦٠)
(٣) البقرة (١٧٤ - ١٧٥)

يكون إما (١) أن يجعل احدكم من وقته جزءًا يبّين للناس فيه ماعلمه آلله من الكتاب وليثابر على ذلك فقد قال ﷺ [**أحب الأعمال الى آلله مادام وان قَلّ**][١] (٢) أن يرى فى الناس عملا بغير الكتاب ، فيأمر وينهى بما فى الكتاب ، ويرشدهم الى الصواب أو (٣) أن يُسأل عن شيىء فى الدين فيُجيب بما علّمه آلله ، والكتمان إما (١) أن يضن بوقته وجهده ، فلا يتطوع من تلقاء نفسه بأى بيان أو (٢) أن يرى فساداً أو ضياعاً ، فلا ينهى ولا يأمر بشيىء أو (٣) أن يُسأل فلا يجيب ، أو يُجيب بغير ماعلّمه آلله ، فهذا خسران وبهتان .

فالأحبار الذين كتموا ماأنزل آلله فى الكتاب ولم يبينوه ممالأة للطواغيت وتزلفاً للحكام ، أو مسايرةً لأهواء الغوغاء ، واسترضاءً للعوام ، أو مخافة البطش ودوائر الأيام ، أو لأى سبب كان ، هؤلاء قد عصّوا آلله بمعصية غليظة ، هؤلاء اشتروا بآيات آلله ثمنا قليلا ، أشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة هؤلاء مايأكلون فى بطونهم إلا النار ، ثم هم نقضوا عهد آلله من بعد ميثاقه قال تعالى ﴿ **والذين ينقضون عهد آلله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ماأمر آلله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾[٢]

والأحبار الذين كتموا ماأنزل آلله من الكتاب ولم يبينوا ما أنزل آلله فيه من البينات والهدى ، بل حكموا بغير مافيه بمحض ارادتهم وأهوائهم ، هؤلاء قد انسلخوا من آيات آلله

(١) فح لباس (٤٣)
(٢) الرعد (٢٥)

وأخلدوا الى الأرض واتبعوا أهواءهم ولقد ضرب آلله تعالى لهم أسوأ الأمثال قال عز وجل ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانو يظلمون** ﴾[1]

والأحبار الذين يكتمون ماأنزل آلله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا - سلامةً جلودهم وأموالهم - لاشك أنهم لايكتمون كل مافى الكتاب ولكن يكتمون شيئا ويبينون شيئا ، يتخيرون ما يأمنون ويتركون مايحذرون ، هؤلاء قال آلله تعالى فيهم وفى أمثالهم ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ومآلله بغافل عما تعملون ، أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يُخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون** ﴾[2]

فنصيحتنا للذين كتموا ماأنزل آلله فى الكتاب من البينات والهدى أن يبادروا بالبيان قبل حلول الغرغرة ، وبلوغ الروح الحنجرة فان الدنيا لاتغنى عن الآخرة .

(١) الأعراف (١٧٥ - ١٧٧) (٢) البقرة (٨٥ - ٨٦)

الباب الخامس عشر

(الجدال بالباطل)

ماقامت دعوة للحق إلا تصدّى لها المبطلون ، وما خرج للناس نبىٌّ إلا قعد له المكذبون ، والجدال بالباطل والقاء الشبهات هو سلاح المبطلين المكذبين ، لرسالات الأنبياء ولدعوات الحق فى كل حين .

قد فندنا فى الباب الثامن (**باب شبهات المتمذهبين**) طائفة من الشبهات التى تحجب الحق عن الكثيرين ، وتزين الشقاق والاختلاف للجاهلين ، فتمنع هؤلاء وهؤلاء من اتباع الهدى ، وتحبسهم فى الظلمات وهم لا يشعرون ، واذا كانت الشبهات التى فنّدنا ودحضنا هى أشهر مايستخدمه المبطلون فأن المجادلين بالباطل لن يُعضلهم أن يفتقوا غيرها لأن ماذكرناه منها لم يكن على سبيل الحصر وإنما هو لضرب الأمثال ، ولايتسنى التحرز من جميع الشبهات ماعرف منها ومالم يعرف إلا باجتناب مصادرها ومصادرها هم المجادلون بالباطل متى عرفتهم بسيماهم وبلجاجتهم أعرضْت عنهم لأنهم أهل لدد وخصام لاحجة عندهم ولاهم يقبلون الحجج الساطعة كالشمس من كلام آلله وكلام رسوله بل قلت لهم ماقال آلله تعالى فى كتابه ﴿ **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم * لاحجة بيننا وبينكم * آلله يجمع بيننا واليه المصير * والذين يحاجون فى آلله من بعدما استجيب له حجتهم داحضة عند**

ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾[1]

وسنذكر فيما يلى صفة هؤلاء المبطلين المجادلين بالباطل ، وحكم آلله فيهم لكى يحذرهم المؤمنون فلا ينخدعوا بمظهرهم ، ولايضلوا بشبهاتهم .

إن هذه الدعوة التى أقامنا آلله فيها لنبذ الفرق والشيع والمذاهب والأحزاب ، والاعتصام بالسنّة والكتاب إن هذه الدعوة للفوز برضوان آلله عز وجل والنجاة من سخطه وعذابه لاتتم بترك المذاهب والأحزاب .

هذه الدعوة سوف يلفحها المبطلون ، وينجبهـا المكذبون ، ويتألب عليها أعداء آلله من كل حدب وصوب ، سوف تخرج لها أعناق وألسنة وأقلام ويتحالف عليها عتو الأحرام ولدد الخصام ولكن من أخلص دينه لله لايبالى بشىء سواه هو حسبه وهو مولاه .

لقد هلهل القرآن المجادلين بالباطل كما ، هلهل المنافقين الأوائل لهما فى الآخرة شر المنازل فاسمعوا قول آلله فيهم .

صفة المجادلين بالباطل .

١ - وصفهم آلله تعالى بالكفر والتقّلب فى البلاد ، وحذر من الاغترار بما هم فيه من نعمة وسلامة فكذلك كان الذين من قبلهم قال تعالى ﴿ **مايجادل فى آيات آلله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد** ﴾[2]

٢ - ووصفهم آلله تعالى بشدة المخاصمة والصدود قال تعالى ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون** *

(١) الشورى (١٥ - ١٦)

(٢) غافر (٤ - ٥)

وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾[1]

٣ - ووصفهم آلله تعالى بالكبر والتجّبر وأنّ آلله تعالى والمؤمنين يمقتونهم مقتاً كبيراً (والمقت هو أشد الكره) قال تعالى ﴿ الذين يجادلون فى آيات آلله بغير سلطان أتاهم كبُر مقتاً عند آلله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع آلله على كل قلب متكبّر جبار ﴾[2]

٤ - ووصفهم آلله تعالى بأنهم لن يصلوا إلى الكبر الذى امتلأت به صدورهم قال تعالى ﴿ إن الذين يجادلون فى آيات آلله بغير سلطان آتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير ﴾[3]

٥ - ووصفهم آلله تعالى بالجهل لأنهم يجادلون بغير علم ووصفهم بالضلال لأنهم لا يتبعون الهدى من رب العالمين ولكن يتبعون الشياطين قال تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل فى آلله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يُضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾[4]

٦ - ووصفهم آلله تعالى بالجهل والضلال والغرور والأضلال وانعدام الحجة قال تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل فى آلله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل آلله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾[5]

(١) الزخرف (٥٨)
(٢) غافر (٣)
(٣) غافر (٥٦)
(٤) الحجر (٣ - ٤)
(٥) الحجر (٨ - ٩)

٧ -ووصفهم الله تعالى بالفرح والمرح بغير الحق قال تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات آلله أنّى يصرفون ، الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون من دون آلله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل آلله الكافرين . ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ، أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين** ﴾[1]

تلك بعض صفات المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق ، غروراً وكبراً وعناداً ، وجهلاً وعمى وضلالاً ، فما بلغوا كبرهم ، ومانصروا باطلهم وماسبقوا وما أعجزوا ولكن أهلكوا أنفسهم وهم لايشعرون ، بعض هذه الأوصاف يكفى لتنفير الرجل الرشيد ، وفى القرآن العظيم مزيد لمستزيد .

أصناف المجادلين بالباطل

هذه الأصناف توضح لنا الأسباب التى حملتهم على الجدال فى آيات آلله بالباطل ، وهذا البيان يعطى مزيداً من النور للمؤمنين لكى يتخذوا الموقف المناسب من هؤلاء الممترين المبطلين ، فعلى هذا الأساس تكون أصنافهم كالآتى :

(١) غافر (٦٩ - ٧٦)

١ - جاهل غبىّ لاعلم له بالسنّة والكتاب ، فهو ينعق بما لايسمع إلا دعاءً ونداءً صمٌ بكمٌ عمىٌ فهم لايعقلون
٢ - ظالم شقىّ متشكك فى الدين ملحدٌ مرتاب ، فهم دعاةٌ على أبواب جهنم ، من أجابهم اليها ، قذفوه فيها
٣ - مفتون مغبون ، قد قرأ الدين منكوساً ، وأُشرب الفقه معكوساً إذ تربَّى على مائدة المذاهب والأحزاب ، فطاب له الشقاق والاختلاف فى الكتاب ، قد طُمست بصيرتُه فأنَّى يرى الصواب ! !
٤ - عتل غليظ مستكبر قد أخذته العزة بالأثم فصعَّر خدّهُ صلِفاً ، ولوّى رأسَهُ جنَفاً ، ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ، لاخير فيه ، ولانور يهديه ﴿ **أفأنت تُسمع الصَّم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين** ﴾[1]
٥ - خبيث نفعىّ مُستكثر ، يعرف الحق ويدفنه ، ويعلم الباطل ويُزيّنه ، يداهن الحكام يرجو نفعهم ويدرأ شرهم ، وينافق العوام يستكثر من الأشياع ، ويفاخر بالأتباع ، قد اشترى دنياه بآخرته ﴿ **اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار** ﴾[2] أولئك عُبّاد المنافع ، وطلاب البضائع ما أجسرهم قد طارت المنافع وبارت البضائع فَياويل الخاسر الضّائع ، إلا أن يحيا بمتاب ، قبل أن يواريه التراب .

جدال غير متكافىء .

كل جدال بين الحق والباطل ، هو دائما جدال غير متكافىء ، مادّياً ومعنوياً ، أما ماديا فالمبطلون هم

(١) الزخرف (٤٠)
(٢) البقرة (١٧٥)

الراجحون ، هم الأكثر ظهيراً وعَدَداً والأوفر مالا وعُدداً ، والمحقّون قفْرٌ من المال والرجال ، وأما معنوياً فالمحقون هم الراجحون ، هم الأقوى حجة والأرسخ إيماناً ، والمبطلون هم المرجوحون ، هم الأفشل حجة والأضعف ايماناً .

ذلك بأن أهل الباطل يجادلون دائماً فى كثرة وصَوْلَة ، وأهل الحق دائماً فى البداية يدعون ويجاهدون ، فى قلّة وذلة ، ثم تكون العاقبة للمتقين ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وصدق ٱلله العظيم ﴿**ولقد نصركم ٱلله بِبَدْرٍ وأنتم أذلة فاتقوا ٱلله لعلكم تشكرون**﴾[1]

وصدق ٱلله العظيم ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم الطيبات لعلكم تشكرون** ﴾[2]

المجادلون بالباطل والأكثرون ولهم السلطان ، والعتاد والأعوان وعندهم جميع وسائل الأعلان ، بينما أهل الحق يعوزهم ذلك كله .

قد استحوذ المبطلون على ابصار الغَوغاء وأسماعهم ، واحتنكوا أفواههم واعتقلوا بطونهم وفروجهم ، وأخذوهم بالنواصى ، يعبئونهم أجناداً ويُلقّفونهم إفكاً وأحقاداً ، بينما أهل الحق لايملكون مالا ولاعتاداً بل يأمرون أصحابهم صبراً جلاداً ، فلا تكافؤ البتة بين الفريقين المتصَارعين .

(١) آل عمران (١٢٣) (٢) الأنفال (٢٦)

الفراعين يستخدمون سلطانهم ، ويحشرون جنودهم وأعوانهم لماصرة الباطل ، ومناهضة الحق ، قال تعالى ﴿ **فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون وإنّا لجميع حاذرون** ﴾[1] ودعاة الحق لا يملكون جاهاً ولاسلطاناً ، ولاجنداً ولاأعواناً

الفراعين يُمدون أعْوانهم بكل مال ، ويعدونهم كل منصب عال قال تعالى ﴿ **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئنّ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذاً لمن المقربين** ﴾[2] دعاة الحق يبلوهم ربهم بالناس ألوانا ، ويَعِد الصابرين فى الدنيا نصراً وتمكيناً ، وفى الآخرة مغفرة ورضواناً .

هذه هى سنّة آلله فى كل صراع بين الحق والباطل ، قديماً وحديثاً وإنا لنرى فى عصرنا هذا جميع وسائل الدعاية والاعلان مسخرة لأعوان الباطل ، فما يزيد ذلك المؤمنين إلا ايماناً .

الباب السادس عشر

(الطليعة الرائدة)

قد أوضحنا فى صدر هذا الكتاب أن الاختلافات فى الكتاب قد ظهرت بعد قبض رسول آلله ﷺ بزمن يسير وأن

(١) الشعراء (٥٣ - ٥٦)

(٢) الشعراء (٤١ - ٤٢)

تفرق الدين شيعاً ومذاهب قد بدأ بعد قرنين من وفاة النبى ﷺ واستمرت الاختلافات فى تزايد لم ينكرها أحد حتى خرج ابن حزم وأصحابه فى القرن الخامس الهجرى بثورتهم المباركة على تلك الاختلافات المشئومة ففندها ابن حزم أعظم تفنيد بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة فكانت أول صيحة حق كشفت تلك الضلالات وأول قبس من النور شق تلك الظلمات وأول رجفة صادقة أيقظت الغارقين فى السبات كانت بحق طليعة رائدة لمسيرة مجاهدة .

لقد كان تنبيه ابن حزم وأصحابه إلى فظاعة الاختلافات فى الكتاب وهول التناقضات فى الشرائع والأحكام كان تنبيهاً رائعاً قوياً يفيض غَيّرةً وإيماناً قوته فى حجته ونوره فى برهانه كان نقداً كامل الصحة بالغ الصواب فى كل مارده الى السنة والكتاب باستثناء هنات جَنَحَ فيها الى الحكم بالآراء فوقع فى طائفة من الأخطاء فجزاه آلله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

ولكن لحكمة يعلمها آلله تعالى لن تستمر ثورة ابن حزم التصحيحية اذ لم يتبنها بعده أحد فلم تحدث الأثر المرجو منها بابطال الاختلافات فى الكتاب ، ولا حتى بانقاصها أو تصحيح ماكان منها قائماً ، بل استمرت الاختلافات على شراستها الأولى حتى وصل المسلمون الى ماهم عليه الآن

﴿ ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾[1]
لكن بقى لهم أجرهم عند آلله ومازالت اسفارهم تحدث كل ناظر فيها بالحق الذى عرفوا ، والضلال الذى كشفوا .

لقد كانت ثورة ابن حزم وأصحابه على الاختلافات نفسها ، لاعلى ما ترتب عليها من خطيئة تفرق الدين شيعا ومذاهب ، لم يتعرض ابن حزم وأصحابه لتلك الخطيئة (خطيئة المذاهب) بكلمة واحدة ، بل استغرقوا فى تفنيد اختلافات الفقهاء فى الشرائع والأحكام ، فندوا كل حكم لذاته ، لبيان علته وذلاته ، دون التفات الى سببه ومصدره ، فغفلوا عن خطيئة تفرق المسلمين فى الشيع والمذاهب .

ولكن على الرغم من ذلك فقد كان عملهم جليلاً دون ريب ، إذ حطم وثنية الأئمة ، وكشف الحجاب عن أعين الأمة ، كان عملهم اصلاحاً لذات الداء ، لا لسبب البلاء ، وكان حرياً لو عُمل به لعدهم أن يصلا الى أصل الداء ، فيقتلع الأصل والفروع جميعاً ، فإن الأحكام الخاطئة سببها اختلاف المذاهب ، والمذاهب انما تولدت عن الاختلاف فى الكتاب ، الذى هو السبب فى كل البلاء ، فلولا الاختلاف فى الكتاب ماكانت المذاهب والأحزاب .

كل ذلك صواب وحق لو أن الأمر عولج من بدايته ، أما الآن ونحن نواجه تلك الأعداد الهائلة من المسلمين

(١) النور

المتمذهبين فإن العلاج يحتاج بالاضافة الى منع الاختلاف فى الكتاب – يحتاج الى ردّ تلك الجحافل البشرية المتمذهبة الى الاعتصام بالسنّة والكتاب بعد انسلاخهم من جميع المذاهب والأحزاب ، ولا سبيلا الى ذلك إلا بكشف خطيئة المذهبية وويلاتها للناس لعلهم يرجعون ، وهذا هو المقصود الأود من تأليف هذا الكتاب .

لقد كان النور الساطع الذى سلطه ابن حزم على اختلافات المذاهب فى الشرائع والأحكام أول تنبيه الى خطر الاختلاف فى الدين ، لقد كان تفنيداً قوياً للتناقضات المخالفة للنصوص ، ولكنه لم يتعرض الى خطيئة المذهبية نفسها ، خطيئة تفريق الدين شيعاً ، تلك الخطيئة التى جعل آلله نبيّه بريئاً من فاعليها ، وتوعدهم بأن أمرهم اليه ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ، لم يتعرض ابن حزم الى تلك الخطيئة ولم ينبه الى وبالها على الاسلام والمسلمين ، وقد بيّنا الفارق العظيم بين اختلاف الأفراد واختلاف الجماعات فى باب (مراحل الاختلاف)

وعلى الرغم من أن اكثر أحكام الظاهرية (ابن حزم وأصحابه كما يسميهم الناس) كانت صواباً لالتزامهم بالنصوص القطعية الثبوت فى أغلب الأحيان ، إلا أنهم لم يسلموا من الخطأ فى عدد غير قليل من الأحكام والشرائع ، وهى تلك التى حكموا فيها بالرأى دون النص الصحيح استناداً

الى المعلول من الأخبار ، أو الى التأويل دون التفصيل ، أو الى الغلو فى الدين بغير الحق .

ولقد إشتملت دواويننا التى أخرجناها للناس على أمثلةٍ لهذا الغلو والتأويل وغيرهما من أسباب الخطأ فى الأحكام ، وخلاصة القول أن ثورة ابن حزم رغم عدم إكتمالها كانت أول صيحة بالحق زلزلت عبادة الأحبار ، ونسفت قداسة الأئمة ، وهلهلت رداء الكهنوت فعرف من عرف من الناس ماهى عواقب الاختلاف فى الكتاب ، وماهو حكم آلله فى المختلفين فى الكتاب ، وماهى أبعاد الشقاق الذى وقع فيه المختلفون .

ثم أراد آلله عز وجل ، بعد قرابة عشرة قرون من ثورة ابن حزم وأصحابه أن يخرج للمسلمين صوتاً مجدّداً يحذرهم من مغبة الاختلاف فى الكتاب ، ويصارحهم جهرةً بخطيئة تفريق الدين شيعا ومذاهب ، ويدعوهم الى الاعتصام بالكتاب والسنّة وحدهما دون سواهما ، واجتماع المسلمين فى مشرق الأرض ومغاربها أمةً واحدةً ، كما أمرها آلله أن تكون ، فذلك الذى ندعو اليه ، وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

باب (دعاء ونداء)

الى مئات الملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، الى المقرين بقلوبهم قبل ألسنتهم ألا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

الى المؤمنين بالقرآن العظيم وأنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

الى المؤمنين بصدق كل مابلَّغ محمد ﷺ عن ربه ، وأنه ماضل وماغوى ومابنطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى .

الى المؤمنين بأن كل إبن آدم خطّاء ، وأنه لاعصمة من الخطأ فى الدين لأى انسان كائناً من كان دون رسول الله ﷺ .

أنشدكم جميعاً بالله رب السموات السبع ورب العرش العظيم القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

أنشدكم بالله العظيم خالق الخلق مالك الملك مدبّر الأمر احكم الحاكمين الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور .

أنشدكم بالله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه تُرجعون أنشدكم بذلك كله ألا يجرمنكم خلاف ناصح أو واعظ أو مُبّلغ على ألا تسمعوا لما يقول .

اسمعوا فقد يكون فيما يقول من الحق والعلم والخير مالم تعلموا فتتبعوا وتغنموا ، ولاتُعرضوا فتندموا .

اسمعوا فان آلله تعالى يقول ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم آلله وأولئك هم أولوا الألباب** ﴾[1]

اسمعوا فأننا لا نقولَ لكم البته أى شىء برأينا ولا برأى أحد من الناس كائنا من كان لأن الدين بالنص لا بالرآى .

اسمعوا فأنه إذا كان كل مانقول هو من كلام آلله وكلام رسوله فليس مؤمنا من يرّد كلام آلله وكلام رسوله أو ينكره .

اسمعوا فاننا لانفترى على آلله ولا رسوله حرفاً من كلمة ﴿ **قل إن افتريته فعلَّى إجرامى وأنا برىء مما تُجرمون** ﴾[2] أو كما قال مؤمن آل فرعون ﴿ **وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم إن آلله لايهدى من هو مسرف كذاب** ﴾[3] فأنتم الرابحون إن كنتم مؤمنين .

النصوص أمامكم ساطعة كالشمس ، قد عميت عنها القرون ، أفتريدون أن تعمهوا عنها كما كانوا يعمهون ؟

ليس قولنا ولا قول غيرنا من أول الدهر إلى آخره بمُسعدٍ شقياً ولابهادٍ عَمِياً ، ولكنه البلاغ المبين ، طاعةً لله رب العالمين ، قال تعالى ﴿ **فتوكل على آلله إنك على الحق المبين ، إنك لاتُسمع الموتى ولاتسمع الصمَّ الدعاء إذا وَلَّوْا مُدبرين وماأنت بهادى العمى عن ضَلالتهم إن تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾

(١) الزمر (١٧ - ١٨) (٢) هود (٣٥)
(٣) غافر (٢٨) (٤) النمل (٧٩ - ٨١) ، الروم (٥٢ - ٥٣)

والنصح يُلقى للناس أجمعين ، ولكن الناس معادن ، منهم صدّيق وكذابِ ومنهم موقن ومُرتاب ، والقلوب بيد آلله العزيز الوهاب ، يُقّلبها كيف يشاء ، معادن الناس ، كمعادن الأرض ، منها سبخه وجنان ، ومنها أجادب وقيعان ، فنحن نبذر البذر بإذن آلله ، والغنى الحميد هو الزارع ، يُعطى ويمنع كما يشاء ﴿ **مايفتح آلله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم** ﴾[1] ونحن إنما نؤدِّى ما أمرنا آلله به من البيان وعدم الكتمان ، وآلله بعد ذلك يفعل مايشاء ويحكم مايُريد قال تعالى ﴿ **من يشأ آلله يُضْلِلْه ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾[3] ياقوم إنى آمنت بربكم فاسمعون .

ياقوم قد جئتكم بالحق من ربكم فاتقوا آلله وأطيعون ، ياقوم هل أمر آلله أو أَمَر رسوله بالفرق والشيع والمذاهب فى الدين ؟ أفلا تذكرون ، ياقوم ألم يُحّرم آلله ورسوله تفريق الدين شيعاً ويتوعد الفاعلين بأشد الوعيد ؟ أفلا تنتهون ، ياقوم ألم يأمركم ربكم أن تكونوا أمة واحدة فتقطعتم أمركم بينكم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ؟ !

ياقوم ألم يقل الرسول الكريم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ؟ ! وهؤلاء ماكانوا متمذهبين لم يكونوا متفرقين شيعا ومذاهب ، أفلا تكونوا مثل الأكرمين وتتركوا فِعْل الأرذلين الذين فرقوا الدين ؟ !

(١) فاطر (٢)　　(٢) الأنعام (٣٩)
(٣) الرعد (٤٠)

ياقوم ألم يلعن آلله الذين اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون آلله ؟ ! ألم يبيّن الرسول أن عبادة الأحبار لَيْست ركوعاً ولاسجوداً ولكنها طاعتهم فيما يَشرعون وفيما يُحلون ويُحَرمون ، وهل إتخاذ المذاهب إلا عبادة هذه المذاهب فيما يحلون ويحرمون ؟ ! أفتأتون الشرك وأنتم تبصرون .

ياقوم ألم تعلموا أن شرائع آلله لا اختلاف فيها ولا خطأ ولا ضلال ، وأن شرائع المذاهب طافحة بالاختلافات والتناقضات ؟ ! أفتتبعون شرائع المذاهب وتتركون شرائع الكتاب والسنة ؟ ! أتشترون الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ؟ !

ياقوم ألم يأمركم ربكم أن تتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم وينْهكم أن تتبعوا من دونه أولياء ؟ فاتبعتم شرائع المذاهب والفقهاء الذين اتخذتموهم أولياء ، ولم تتبعوا ماأنزل اليكم من السماء ؟ آلله أذن لكم أم على آلله تفترون ؟ !

ياقوم ألم يأمركم آلله أن تعتصموا بحبل آلله جميعاً ولاتفرقوا ؟ ! ألم يأمركم أن تسْتمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها وآلله سميع عليم ، وهل حبْل آلله إلا القرآن وهل العروة الوثقى الا اسلام الوجه لله ، وأنتم اعتصمتم بالمذاهب وأسلمتم وجوهكم للفقهاء ، فتقطعت بكم الأسباب ، وضل عنكم الحق والصواب ، فَمن يُجادل آلله عنكم يوم الحساب ؟ !

ضرب آلله مثلاً ، وضرب رسوله مثلاً ، ضرب آلله مثلاً للذين تركوا شرائع آلله الطيبة الراشدة واتبعوا شرائع العباد الخبيثة الفاسدة ، ضَرب آلله لهم مثلاً أحقر الحشرات ، وأحمق الكائنات ، التى تعرش فى الهواء ، وتحتمى بالهباء ، فَلا مَنَعَةَ لها ولا وِجاء ، قال تعالى ﴿ **مثل الذين اتخذوا من دون آلله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يَعْلمون** ﴾[1] فالذين تركوا شرائع السنة والكتاب ، واتبعوا شرائع المذاهب والأحزاب ، شبههم آلله بالعنكبوت ، التى تأوى إلى أوهى البيوت ، اتبعوا شرائع الفقهاء الذين اتخذوهم من دون آلله أولياء ، فكان هذا منهم تعلقاً بالهباء ، لاأَمَنَة لهم فيه ولاغناء ، تركوا الركن الركين ، وتشبثوا بالهباء الظنين ، بئْس للظالمين بَدَلاً .

وضرب رسول آلله ﷺ مثلاً للذين يتبعون خُطُوات الشياطين ولايُحبّون الناصحين ، تلك الفراش والدّواب التي كلما ذُبّت عن النار تساقطت فيها قال ﷺ [**مَثلى ومَثَل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ، جَعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها فجعل الرجلَ يَزَعُهن ويغْلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذٌ بحجزكم عن النار وأنتم تَقْتحمون فيها**][2] فالذين تركوا شرائع آلله التى فى الكتاب والسنة واتّبعوا شرائع الناس التى فى المؤلفات ، قد انفلتوا من حواجز الأمان ، وتدافَعوا فى النيران ، كذلك غمار

(١) العنكبوت (٤١ - ٤٣) (٢) فح (٦٤٨٣)

الأوباش ، هم أحمق من الفَرَاش .

ياقوم قد ذكرناكم ، وبلّغناكم ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴿ **فستذكرون ماأقول لكم وافوض أمرى إلى آلله إن آلله بصير بالعباد** ﴾ .

باب (خلاصة الدعوة الجامعة)

فى ختام هذا الشرح المفصل لخطيئة المذاهب وماتولدت عنه وماتولد عنها ومااتصل بها من أسباب ونتائج نرى – وبالله التوفيق – أن نجمع للقارىء ملخصاً لأهم الأوامر والنواهى المتعلقة بذلك مدعمة ببعض نصوصها ، لتكون له تذكرة سهلة جلية ، تجمع شتات أفكاره ، وتُثَبِّت سابق استذكاره ، وترسى فى ذهنه قواعد الأثبات وتزيل عنه مايجد من الشبهات ، مع ترك باقى النصوص والشروح المفصلة لمتن الكتاب ، يرجع اليها من شاء ، وقتما شاء .

وقد رتبنا هذه الأوامر والنواهى فى دعوة جامعة ورقمنا عناصرها بأرقام مسلسلة ، ندعو إليها المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عسى آلله أن يستنقذ بها لفيفاً من المؤمنين ، ورهطاً من الصالحين ، وآلله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ، وفيما يلى عناصر تلك الدعوة :

١ – دعوة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى ترك

الاختلاف فى الكتاب قال تعالى : ﴿ **ذلك بأن آلله نزّل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد** ﴾[1] وقال ﷺ [**إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم فى الكتاب**][2] وقال ﷺ [**لاتختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**][3]

٢ – دعوة المسلمين الى ترك التفرق فى الدين شيعا ومذاهب قال تعالى ﴿ **أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه** ﴾[4] وقال تعالى ﴿ **منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾[5] وقال تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل آلله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[6] وقال تعالى ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى آلله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** ﴾[7] وقال تعالى ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسوّد وجوه** ﴾[8]

٣ – دعوة المسلمين إلى الاجتماع مرة أخرى أمة واحدة كما أمرهم آلله وكما كانوا من قبل قال تعالى ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾[9]

٤ – دعوة المسلمين الى اخلاص الدين لله وحده وذلك بعدم اتخاذ الأنداد والأولياء من دون آلله لقوله تعالى ﴿ **فلا**

(١) البقرة (١٧٦)
(٢) مسلم (٨ – ٥٧)
(٣) فح (٢٤١٠)
(٤) الشورى (١٣)
(٥) الروم (٣١ – ٣٢)
(٦) آل عمران (١٠٣)
(٧) الأنعام (١٥٩)
(٨) آل عمران (١٠٥ – ١٠٧)
(٩) المؤمنون (٥٢ – ٥٤)

تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون ﴾[1] ولقوله تعالى﴿ ومن الناس من يتخذ من دون آللّٰه انداداً يحبونهم كحب آللّٰه ﴾[2] ولقوله تعالى ﴿ **وجعل لله انداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار** ﴾[3] ولقوله تعالى ﴿ **اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون** ﴾[4] ولقوله تعالى ﴿ **إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد آللّٰه مخلصاً له الدين والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى آللّٰه زلفى إن آللّٰه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن آللّٰه لايهدى من هو كاذب كفّار** ﴾[5]

٥ - دعوة المسلمين إلى التبرؤ من عبادة الأحبار والرؤساء قال تعالى ﴿ **قاتلهم آللّٰه أنّى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون آللّٰه** ﴾[6] وقال تعالى ﴿ **وقالوا ربنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا** ﴾[7]

٦ - دعوة المسلمين إلى التطهر من الحكم فى دين آللّٰه بالرأى دون النص لأن ذلك هو اتباع الهوى قال تعالى ﴿ **فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل آللّٰه إن الذين يضلون عن سبيل آللّٰه لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾[8] وقال تعالى ﴿ **إنْ يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾[9]

٧ - دعوة المسلمين إلى الحكم بما أنزل آللّٰه وعدم الحكم

(١) البقرة (٢٢)
(٢) البقرة (١٦٥)
(٣) الزمر (٨)
(٤) الأعراف (٣)
(٥) الزمر (٢ - ٣)
(٦) التوبة (٣٠ - ٣١)
(٧) الأحزاب (٦٧)
(٨) ص (٢٦)
(٩) النجم (٢٣)

بشرائع الناس لقوله تعالى ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل ٱللَّه ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** ﴾[1] ولقوله تعالى ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل ٱللَّه فأولئك هم الكافرون** ﴾[2]

٨ – دعوة المسلمين إلى الامتناع عن أى تشريع فى الدين لأن ذلك خاص بالله وحده فمن فعله فقد أشرك نفسه بالله ومن أطاعه كان مشركاً لأن قبول الشرك شرك قال تعالى ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به ٱللَّه** ﴾[3]

٩ – دعوة المسلمين الى عدم تحريم ماأحل ٱللَّه أو تحليل ماحرَّم ٱللَّه لأن ذلك هو افتراء الكذب على ٱللَّه قال تعالى ﴿ **ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على ٱللَّه الكذب إن الذين يفترون على ٱللَّه الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم** ﴾[4]

١٠ – دعوة المسلمين إلى عدم ادخال أى بدعة فى الدين لقوله ﷺ [**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**][5] وقوله ﷺ [**من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**][6]

إن خطيئة المذاهب هى كبرى الخطيئات كلها ، هى أمها وجماعها ، لاتنفك الشرور والآثام تتولد عنها وتتدفق منها لتغرق الناس فى الضلال والخبال . لقد ذكرنا فى الباب السادس بعض ماتضمنته من الكبائر ، على سبيل الذكرى والبصائر ، لا على سبيل الحصر فما لشرورها من آخر .

(١) المائدة (٤٨)
(٢) المائدة (٤٤)
(٣) الشورى (٢١)
(٤) النحل (١١٦)
(٥) مسلم (٥ - ١٣٣)
(٦) فح (٢٦٩٧)

لولاها مااختلف المسلمون ، ولااقتتل المؤمنون ، ولاافترى الكذابون ولاأشرك الوضاعون ، ولا ابتدع المحدثون ، قال تعالى ﴿ **ولو شاء آلله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء آلله مااقتتلوا ولكن آلله يفعل مايريد** ﴾[1]

واقتلاع المذاهب واستئصالها ليس مجرد ازالة منكر أو إصلاح فساد أو احقاق حق أو إماتة باطل ، بل هو بعث كامل شامل للأمة الإسلامية كلها ، لتحيا بعد ممات ، وتصحو من ثبات ، وتطهر من الشرك والضلالات ، وتعود لصفائها ونقائها الذى تركها عليه سيد المرسلين ﷺ

يامعشر المسلمين قد وَصَّلْنا لكم القول لعلكم تذكرون يامعشر المسلمين قد قطع البلاغ كلَّ المعاذير ، أنْ تقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير ، فقد جاءكم بشير ونذير وآلله على كل شيء قدير .

يامعشر الفقهاء ضعوا الدنيا تحت أقدامكم واستقبلوا رضوان ربكم ، فالموت أقرب إلى أحدكم من شراك نعالكم ، وإنى وآلله لحجيجكم عند ربكم .

ياأيها الناس انى أشهد آلله واشهدوا أنى برىء من جميع الفرق والشيع والمذاهب والأحزاب لا أدين إلا بالسنة والكتاب فالحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا آلله (**ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير**)

(١) البقرة (٢٥٣)

الفهرس